

رواية

"الصفحة الثانية"

نورمان نصر

اسم الكتاب: الصفحة الثانية

اسم الكاتبة: نورهان نصر

تدقيق وتنسيق: نورهان هاني

تصميم الغلاف:

رقم الإيداع:

الترقيم الدولي:

كافة الحقوق محفوظة للناشر والمؤلف

لا يُسمح بإعادة طبع أو توزيع أي جزء بأي طريقة، بما يشمل ذلك التصوير أو الطباعة

أو التسجيل الصوتي أو أي وسيلة أخرى إلكترونية أو غير إلكترونية، دون إذن كتابي مسبق

من الناشر، ويسمح فقط في حال الاستعانة ببعض الفقرات لغرض النقد والدراسة، طبقاً لما

تحدده قوانين واتفاقيات حقوق الملكية الفكرية

رواية

"الصفحة الثانية"



مؤسسة
الكاتب
العربي
The Writer Operation



كان مجرد حلم.. لم يسعني إلا روايته

فالحلم.. هو واقع الاخرين

(حاضرنا...)

اليوم مضت خمس سنوات. مضت على كل شيء... زواجي، فقداني الأول، نضجي حتى يسعني القول عمري الذي مضى تحت مسمى الأرقام. بالتأكيد ليس تماما، ولكن يوما بالزيادة أو بالنقصان لن يغير الكثير. الوقت باكملة لا يشكل فرقا في حالاتنا. اليوم هو ٢٠٢١\٨\٢٢ الذكرى الخامسة التي لم تعد لزواجي فقط. بعدما أنضمت ذكرى حزينة أخرى لذلك التاريخ. أما هذا اليوم الذي مر عليه خمس سنوات كاملة. لم يكن مجرد يوم. بل من هولاء الذي تتغير حياة كاملة من بعده. والذي أستغرقت سنوات كي أدرك أنه لم يكن يسعني شيء سوى ما فعلته وقتها. أو بالاحرى ما قبلت بيه في تلك اللحظة.

ربما أستغرقت سنوات كي أدرك أنني لم أختار شيئا بين اثنين. بل كان الخيار الوحيد الذي فرض أمامي. ولم أدرك أنني أنسق اليه بلا وعي. أو تفكير. فاليوم وبعد خمس سنوات حين عادت إلي تلك الذكرى. و احتلتي نفس الغصة التي أصابتنى وقتها. كي أدرك أيضا أنني لازالت أعيش داخل ذلك اليوم. كأنه لم يمضى أي وقت أبدا. حتى نفس الدهشة التي حاوطتنى وقتها عندما أدركت أنني الوحيدة التي دفعت الثمن ليس لأخطائها بل أخطاء الآخرين.

فاليوم.. وبعد ما كنت قد قررت قبل أيام قليلة. قررت أن أترك بيتي. زوجي وعائلتي الأخرى. وأولادي ذاتا الأربعة أعوام. قد يبدو الأمر إهمالا - جنون - أنانية مطلقة - قد أبدو الآن أكثر الناس أنانية ونكرا للنعمة على وجه الأرض... ولكن كيف يمكن أن يحاكم الإنسان دون محاكمة؟ حتما هو شيء يحدث في هذه الدنيا فقط. الحقيقة أنني لن أحكم على ذاتي بأني الأفضل أمومة وحباً لأحد... بل هو العكس تماما يكاد يكون العكس في كل شيء بالأساس هو السبب في كل هذا.

فاليوم ليس النهاية أبدا... ربما هو البداية نفسها التي انتظرتها منذ أول يوم في زواجي من خمس سنوات. ربما هو اعتقادي الوحيد الذي بقى من ذلك الماضي "إذا أردت شيئا بشدة فأطلق صراحة". وهذا تمام ما أنوي فعله الآن هو ترك كل شيء أولا حتى أحسم إن كان لي بالأساس أم لا.

كيف أصبحت زوجة؟ كيف أصبحت أما؟ كيف صرت بهذا البيت بين هولاء الناس؟ والأكثر أهمية هو زواجي... لماذا أستمر من الأساس؟ هل حقا سيصمد أمام ماضينا وتركي لكل شيء الآن؟ أم هو لم يكن فقط إلا ورقة رسمية وولد و بنت للخلاص من هذا الماضي؟؟

(١)

المكان: المزرعة.. الزمن: يوما ما عام ٢٠٠١

اجتمع الأطفال كعادتهم للعب ومشاركة الحديث والطعام مثل كل أسبوع بالمزرعة. المكان الذي أصبح ملاذا للكبار والصغار معا. المكان الذي تشاركوا فيه السعادة والحزن معا. لم تكن المزرعة مثل أي مكان آخر يجمعهم. بل كانت المكان الذي شهد على أحلامهم و برائتهم وحتى أول دقة قلب لاحدهم. الحقيقة أنها أصبحت كما تمنى أبائهم لهم دائما. أساس متين وغصن ثابت لهم بالحياة. يجمعهم كي لا ينفرقوا أبدا.

فصداقتهم ومحبتهم لبعض أقوى من كل شيئا. فهم الأربعة أبناء أكبرهم ذو الاثني عشرة أعوام والثلاث الآخرين ذوات العشرة أعوام. الثلاث الذين ولدوا بنفس العام باختلاف الشهور بينهم كبروا سويا ليلتحقوا جميعا بنفس المدرسة ويتشاركون نفس مشاعر الود والصدقة تجاه بعضهم البعض ولا مانع من بعض الصفات الشخصية أيضا بدافع قربهم الشديد لبعض وربما بعض الأحلام والطموح أيضا.

وهذا تماما ما أدى بهم الى هذا الحديث اليوم.. حين طرح أكبرهم عمرا سؤال لهم جميعا بما فيهم نفسه ...

أنتوا عايزين تعملوا ايه لما تكبروا؟؟

ليرد شقيقه الاصغر عمر بعفوية طفل : نكبر ازاى يعني؟؟

نكبر ! نكبر يعني نبقى زي بابا وعمه طاهر كده. ماهو اكيد هما كمان كانوا زينا في يوم م الايام وبعدين بقوا بشكلهم ده دلوقتي.

ليتدخل هنا مراد طاهر ليرد نيابة عن أبيه مثلما طاف برأسه الان: أنا بابايا مش كبير ولا حاجه يا أكرم !!

ليتفاجوا جميعا من جوابه وينظروا اليه بدهشة مرددين : ايايه؟؟؟

يعني اكيد كبير بس أنا مش بحب افكر فيه عشان محسش انه ممكن يموت ويسيني في اي وقت.

ليه بتقول كده يا مراد؟؟!

كنت ف يوم مش عارف أنام لوحدي. قلت اروح أنام عند بابا ف أوضته يمكن يجيلي النوم تاني. بس لما وصلت عنده لاقيت الباب موارب عرفت انه لسه صاحي بس وأنا داخل لاقيته ماسك صورة لماما الله يرحمها وبيقولها وحشتني تقريبا كان بيعيط -بس أوعوا تقولوا قدامه اني خدت بالي- بعدين لما حس بيا نداني رحته قام خدني ف حضنه وباسني سالني ايه الي مصحيني قتلته لو ممكن أنام جمبه انهارده. ضحك وقالي تعالى ولو عايزيني احكيلك حكاية كمان أنا معديش مانع ..

عمر بعفويته السريعة المعتادة : وبعدين حصل ايه ؟؟ حكاية فعلا ؟؟

ليبتسم أكرم على لطافة أخية المعتادة ويربت على راس أخيه مبتسما له. حين ادار أكرم وجه لمراد لاكمال حديثه من حيث توقف تماما.

كمل يا مراد .. احنا معاك.

ليسترجع مراد ما حدث يومها يكمل قائلا : أنا وقتها مكنتش عايز اسمع حكايات بس كان في حاجه نفسي اساله عليها من أول ما سمعته بيكلم الصورة.

ليردوا البقية في نفس اللحظة : الليه هو ؟؟؟

ليكمل مراد : بابا هي ماما ماتت ليه ؟؟

(البداية...)

لنتفاجأ الأب من سؤال ابنه في هذه اللحظة تحديدا فكان يتوقع ان يرجح ابنه كفة الحكايات افضل, ولكنه غلب ظنه الأول عندما تاكد انه يقف على باب الغرفة فلم يرد ان يكمل حديثه المعتاد مع صورة زوجته وحببيبة عمره الوحيده مثلما اعتاد ان يناديها حتى بعدما أنتقلت الي رحمة الله قبل عامين كاملين اثر مرضها الشديد الذي لم يكن يعلم عنه شئ سواه هو .. عندما اشتد المرض عليها في مرحلته الأخيره. فأذ بيه يعثر على ورقة من أوراقها الخاصة سقطت سهوا عنها من ملفها المرضي الذي كانت تحتفظ بيه بعيدا عن اعين زوجها و ابنها الوحيد مراد. فحين تكرر أغمائها كثيرا بالايام الماضية. ربط طاهر كل ما حدث. فوقف امامها محاولا اخفاء ما طال قلبه من خوف شديد من ان يكون مايشعر بيه حقيقي الان فعلا .. ولكن عندما مر أمام عينه اسم زوجته بجانب خانة اسم المريض : جميلة عز عبد الهادي . لم يجد نفسه سوى وهو امام هذه المواجهة الان وهي تقول له عن طبيعة مرضها وانها تتابع الموضوع منذ عدة اشهر مع طبيب خاص مسؤل عن هذه الحالات. محاولة فقط ان توضح له انها لم تستطع البوح بما يحدث معها لانها لم ترد ابدا حزنه ولا قلقه عليها بهذا الشكل. ليبيكي الاثنين معا .. فهما زوجين لم يجمعهم طوال عشر سنين من الزواج غير كل الحب والاحترام وايام جميلة مثلما يطلق عليها طاهر تيمنا باسم جميلته الوحيده.

صحيح أنها لم تكن المحنة الاولى التي تمر عليهم منذ زواجهم. الا أنهما لم يجعلوا شيئا يدخل بينهم ابدا. مهما شددت بهم المحن والصعوبات.

وربما هذا تماما ما جعل قصتهم مميزة وذات أثر كبير لدى الجميع. وليس فقط المقربون منهم. خاصة بعد ذلك اليوم المشهور. الذي شهد فيه كثيرين على محبة طاهر لجميلة. وليس فقط هي. كان هذا حين مر العام الأول من زواجهم بدون انجاب. وكانت والدة طاهر تعيش معهم في ذلك الحين. أم طاهر - مثلما احبت دائما ان يتم مناداتها لما تحمل من فخر وعزة عندما يرتبط اسمها باسم وحيدها طاهر الذي لم تنجب سواه ولم ترضى ابدا ان يكون في حياتها رجل غيره بعد وفاة أبيه .. فكانت تقول دوما "أنا ام طاهر و فقط لا اريد ان اشغل خانة اخرى غير خانة الام لما بقى ف حياتي"- ولذلك كانت جميلة تشعر بالود والواجب تجاهها فهي مثلها تماما لم ولن تحب احد في حياتها غير طاهر ولن تريد سواه ايضا اذا نفذ امر الله.

حتى مرت السنة الثانية على زواج طاهر وجميلة . لم تحمل جميلة ابدا خلال تلك المدة و لم يثر هذا تفكير احد خلال هذه الفترة فالجميع يعلم وموقن ان مشيئة الله بالوقت والحال ولكن ماحدث في السوق هذا اليوم هو ما فتح هذا الباب عليهم. فعندما كانت جميلة وام طاهر يتسوقوا لاغراض المنزل. واثناء وجودهم في السوق مر بيهم بعض المعارف لتبادر أحدهما قائلة:

ايه يا جميلة.. مش هنفول مبرووك قريب بقه ولا ايه؟؟

مبرووك على ايه يا حسنة؟؟

ياالحيبتي مينفعلش تسكتي على نفسك ده كله.. طاهر الله أكبر عليه زينة الشباب.. بكرأ واحدة تلف عليه بحجة الخلفة تاخدوا منك وانتي الي تزعلي.. أنا بقولك كده عشان خايفة عليكى أحنا ستات زي بعض... أقوولك تعالي نروح للدكتور الي قلتلك عليه قبل كده... باذن الله نطمئن عليكى. وتطلعي تمام.

لنتوقف جميلة بعدما القت ما بيدها ارضا حيث بدء الاضطراب على وجهها محاولة فهم ما تشير اليه حسناء.

بقولك ايه يا حسنة.. أنتي واخدة بالك احنا فين ولا مش في وعيك ولا ايه بالظبط؟؟

استدرت حماتها لها لتفهم ما حدث ولماذا توقفت جميلة بهذا الشكل وما تقولنا هولاء , ولكن لم تكن بمفردها ايضا فبقية الجيران كانوا يسيرون مع ام طاهر مما دفعهم ايضا للتوقف في هذه اللحظة. وحدها حسناء فقط هي التي سحبت جميلة ببطء للخلف لتحبك قبضتها عليها .. لم تدرك انها تحفر حفرتها بيدها وان جميلة لم تعطها هذه الفرصة ابدًا.

ماهو مش معقوله بردوه بقالك اكثر من سنتين متجوزة ولا سمعنا خبر حمل كاذب حتى. ايه حصل مثلا ومخبية عن العين ولا أنتي بقه الي مش عايزة تجيبي وريث لام طاهر كده يملى عليها البيت ماتحضرينا يا ام طاهر معقوله مأوعيتش مرات ابنك ولا ايه ده الواحدة لازم ميعديش عليها سنه جواز الا وهي ع الاقل معها عيل ف الايد وحامل ف الثاني ولا مش عايزة تربطي جوزك جم...

لم تتمكن هذه الحسناء من أكمل جملتها أو ما بقى حتى من حديثها فبعدها تلقت هذه الصفعة القوية التي جعلتها تعجز حتى على مضغ علكتها. فهذه الصفعة لم تكن الا الرد المناسب في الوقت المناسب من ام طاهر بنفسها.

لما تتكلمي مع مرات ابني اعرفي حدودك كويس واحفظي ادبك .. صحيح مينفعلش الست تعيب الست الي زيتها بس مادام أنتي مش فاهمه ده يبقى تستاهلي مية قلم على وشك يا مدام اش حال ما كنتي من دور جميلة جايه دلوقتي عملي عليها استاذة وتديها دروس في الجواز والخلفة .. جميلة دي تديكم كلكم دروس مش بس ف الجواز ف الادب والاخلاق كمان يا هوانم الي واضح انه في منكم متعلموش لا بيت اهليهم ولا بيت اجوزاهم كمان ...

بينما كانت جميلة تحاول السيطرة على دموعها التي سبقتها ارضا رغما عنها. الا أنها تمسكت بيد حماتها قائلة:

حماتي يلا بينا من فضلك دي متستاهلش تتعبي قلبك عشانها

لا استني يا بنتي وهو أنتي يعني الي تستاهلي تسمعي كلام وقلة قيمة من واحدة زي دي .. الا قوليلي يا حسنة أنتي ابنيك الصغير الطفل الي لسه مش فاهم حاجه ده فينه امال مش بنشوفه يعني لا معاكي ولا مع حد ف الشارع خالص. ولا بلاش دي لاحسن أنتي طول عمرك بتخافي من عيون الناس أنا عارفه امك الله يرحمها بردوه كانت فاكره نفسها حاجه فكانت فاكرة فلانه وعلانه قال ايه هما الي مانعينا تجيب الواد لابوكي لحد ماجابتك أنتي الدنيا سبحان الله عرفت ساعتها ان العيب فيها مش ف الناس ...

ليس فقط حسناء من اصابها الخرس في هذه اللحظة بل وجميع من شهد الموقف لم يستطع وضع منطوق اما ام طاهر أو حتى يعرضها فيما تقول .. فالجميع يعلم صحة ما تقوله ام طاهر الان فلوم حسناء ولسانها الحاد هو فقط ما بقى لها من امها بالاضافة الي ما اضافته الايام عندها هو تدخلها وفضولها ف حياة كلا من هم افضل واحسن منها. فمثلما حاولت تجريح جميلة الان فعلت مسبقا مره واثنين ولكن وحدها ام طاهر من أوقفتها عند حدها الان. بل وبنفس السكين الحد الذي تستخدمه حسناء ضد الناس .. فهي تبرع في اختيار الوقت والمكان الغير مناسبين تماما لطرح فضولها على الملاء امام الناس. متخيلة انها اذا تصرفت بهذا الشكل. لم يتمكن أحد من الرد عليها كما سبق كثيرا من قبل.

سبحان الله طول عمري شايفة انك الوحيد الي ف الدنيا دي الي نصيبها مش من اسمها ابدأ. مش عارفه شافوا فيكي ايه دول عشان يسموكي حسنة ده حتى لا ... ولا ...

ايه تحبي اكمل واجرحك قدام العالم دي كلها كده زي ما أنتي ماشية تعلمي ف الخلق ولا اكملك ف بيت جوزك احسن ع الاقل جوزك اكيد عارف الي هقوله يعني ... ولا يكونش هو كمان ...

خلاص يا حماتي عشان خاطري يلا نروح احنا.

رغم اني كان نفسي اديها قلمين كمان بس معلش اديها بقيت عبرة لاي حد يفكر يدخل في الي ميخصوش تاني .. استني بس يا جميلة رايحة فين ... هنمشي كده من غير ما نردلك حقك ...

حق ايه بس يا حماتي ده أنتي ردتى حقوق الناس كلها .

لا أنا ردت حق مرات ابني بس انما حقك أنتي لنفسك يا جميلة لسه اصبري بس .. اعتذري يا بت أنتي ...

موجه كلامها لحسناء التي كانت ومازالت متمسرة ف مكانها كانها لم تعرف السير مطلقا .. اعتذري لجميلة الي أنتي جربتني بس تجرحيها بكلامك كانها تخصك مع العلم ولا حتى الي يخصوكي يستحملوكي أنا عارفه .

|||||أنا |||||

مستكبرة تعتذري صح .. تلاقيني أول مره ف حياتك هتقولي حاجه عدلة لحد معلىش ..
عودي نفسك يمكن متقوليش غيرها بعد كده !! خلصينا يلا احنا مش فاضليك .
... انا اسفه يا جميلة اسفه ...

ايوه كده شاطره احنا بقه هنبقى نفكر نقبل الاعتذار ده ولا لأ .. المهم أنتي بقه تفضلي فاكرة
طول عمرك انك يوم ما اعتذرتي .. كان لجميلة مرات طاهر عبدالله سليم.

أنتصرت ام طاهر في معركتها..بعدها أعطت هذا الدرس المناسب بالوقت المناسب
تماما.. تاركة وراها حسناء والجميع مذهولين على ماشهدوا حتى وان عاد كل شئ الي حاله
الطبيعي بعد بضعة دقائق فقط. فما حدث اليوم سيظل يتردد اصداؤه ايام وربما
شهورا بعدها.

في البيت مساء لم يتغير الوضع كثيرا عما كان عليه صباحا فكانت ام طاهر وجميلة
جالسين كعادتهم منتظرين طاهر وهما على يقين انه سيعود وهو على علم بكل ماحدث اليوم
وربما بما قيل بالحرف ايضا .. ولكن قبل مجيئه لم تتمكن جميلة على خوض الحديث فيما
حدث صباحا ابدأ .. فهي مازالت مصدومة مما سمعت ومما شهدت وربما ايضا من ردة فعل
حماتها شخصيا. فهي لأول مره تشهد على هذا الوجه من ام طاهر .فائتاء ما كان عقلها
يسترجع ما حدث ولسانها يعجز على الحديث .. قطعت ام طاهر حبل افكارها وشدة حزنها
هذا البادئ عليها تربت على يدها بحنان قائلة :

جميلة أنتي كويسه يا بنتي؟؟

...

أنا عارفه انك مصدومة رغم سابق معرفتك بحسنة الا انك عمرك ما شفتي تجريحها ولا قلة
ذوقها كده ف الوش ..

كنت فاكرها صاحبة عم... كنت فاكرها صاحبتى.

مفيش اسهل من تجريح الناس يا جميلة .. والاسهل منه انه يكون من باب الصداقة
والمحبة بس لو تعرفي الفرق بين اني اجرحك عشان بحبك أو اجرحك عشان أنا هتبسط
بجرحك ده. تعرفي انه حسنة دي عمرها ما كانت صاحبة حد ولا عزيزة على حد. أنا اصلا
لحد دلوقتي مش عارفه أنتوا اصحاب ازاي . ده من وأنتوا في المدرسة كان طاهر يقولي في
واحدة معكم في الفصل بتحب تاخذ كل حاجه من جميلة بس عشان عارفه ان حاجتها غالية
عليها . ورغم كده جميلة مش بتقولها لأ. ولا يوم فرحك وقفها مكانتش وقفة واحدة جاية
تبارك ولا تفرح .. خليني ساكته احسن يا بنتي بلاش ناخذ ذنوب على قفا واحدة زيتها...

أنا مش فاهمه حاجه يا حماتي .. أول مره اخذ بالي انها مكنتش بتسأل عشان تظمن عليا
دي كانت بتسأل عشان تعرف احنا كويسين مع بعض ولأ .. لتكون فاكره اننا مش عايزين
نخلف من بعض يعني .. ليه كده بس !!

لتبكي جميلة بكائها التي لم تتمكن منه صباحا.. لم تعرف انها تبكي ليس بسبب حسناء فقط بل بسبب تلاعب عقلها بيها ولو للحظة ان تكون حسناء محقة هل فعلا طاهر حزين انها لم تنجب حتى الان؟ هل يفكر أو خطر بعقله لحظة ان تكون هي المانع؟

وحدي الله يا جميلة امال.. مش هقولك بطلي عياط على فكرة ده الدموع دي بتشيل كتير أوي عن صاحبها.. بس خلي في بالك انك بتعيطي عشان موقف وعدى مش من زعلك على حد هااا واخدة بالك أنتي!

تفتكري حد كلم طاهر قاله ولا يكون عرف كده ولا كده؟

هيعرف منين بس يابنتي معقوله حد هيتصل بيه يقوله امك ضربت واحدة في الشارع!؟

معقوله يا حماتي أنتي مستهونة بالجملة يعني ده السوق كل اتفرج ولا وأنتي بتقولي اسمي .. ده مش بعيد يسموا الشارع باسم جميلة خلاص بعد الي حصل.

ايوه عندك حق جميلة مرات طاهر الي امه ضربت واحدة في الشارع بردوه.

ليضحكوا الاثنين سويا كأن مع حدث فعلا يثير سخرية الناس اكثر من غضبهم. فأم طاهر تعلم تماما ان حتى وان لا يعلم طاهر من ساكنى السوق .. فسوف يفتح الموضوع تحديدا بين اصدقائهم. اذا تقايلوا بمكانهم المعتاد ليلا.

بقولك ايه يا جميلة الي حصل حصل خلاص يا بنتي مفيش حاجة حد يلومك عليها حتى لو ابني نفسه.. لما يجي عيشي جوزك يا بنتي ولا كأن حاجه حصلت واضحكي في وشه كده ولو عايزة تحكي حاجه براحتك شوفي ايه المناسب بينكم يا بنتي.. ومتخافيش من حاجه طاهر عاقل ومش هيرد على واحدة ست أنا ادتها الي في النصيب خلاص.

ربنا يستر يا حماتي أنا كل خوفي على زعله وانه حد يوقفه وقفنا بتاعة الصبح دي بعدين....

السلام عليكم جميعا.. ازايك يا امي؟

جميلة حبيبتي اعذرني معرفتش اكلمك بالنهار خالص .. الجو زحمة في الشركة عشان فترة اجتماعات أنتي عارفه.

لم تعلق احدهما فقط اکتفوا بالنظر لبعضهم والرد على طاهر كالمعتاد واستقبله.

ااا ولا يهكم يا حبيبي المهم انك بخير .. عقبال ما تاخذ نفسك كده اكون جهزت الاكل خمس دقائق بالطبط.

انسحبت جميلة في صمت .. لم تكن تفهم ما يحدث أ حقا لم يعلم طاهر اي شئ؟

خارج المطبخ.. حيث يجلس طاهر و والدته...

طاهر يا ابني .. أنا حافظك كويس أنت كويس يا حبيبي؟

الحمد لله يا امي في احسن حال طول مانتوا كويسين.. بس ايه السؤال ده؟

يعني راجع بدري .. خير كفى الله الشر؟ حصل حاجه في شغلك؟

ابتسم طاهر كانه اطمئن تماما ان والدته تقصد شئ اخر غير السبب الحقيقي وراء رجوعه الان فعلا..

لا يا امي مفيش حاجه متقلقيش.. بس عشان كان يوم مرهق ولما خلصنا اخر شغل في الموقع بدري مدير المشروع صرفنا انهارده بدري فمشينا على اساس اخر الاسبوع بقه نرتاح شوية... الا جميلة طبخلنا ايه انهارده؟

مع مجئ جميلة في نفس اللحظة .. لترد هي عليه الان...

عاملت مكرونة بشاميل وفراخ .. بس لو عايز حاجه تانية دلوقتي قولي ...

لا لا يا حبيبتي تسلم ايدك .. بس قلبي بيقولي انكم لسه مكالتوش بردوه .. تعالوا ونسوني ع الاكل بقه انهارده ..

نظرت جميلة لام طاهر لتزيد تأكيد ام طاهر ان ابنها يخفي شيئا حقا ولكنه يحاول اخفائه اكثر بهذة اللطافة الزيادة اليوم.. فهو يعلم ان امه لا تأكل مساء وان جميلة تنتظره على العشاء وليس على الغداء .. ومع ذلك اردوا اكمل اللعبة الي النهاية لعله يكشف عما بجوفه على الطعام.

ايوووه يا سلام مفيش احلى من الاكل وسطكم والله.. عارفه يا جميلة انهارده طول اليوم الي رايح والي جاي يعزم عليا بالاكل وأنا سبحان الله كأني حاسس اني هرجع بدري قتلهم لأ اهلى مستنيني معهم في البيت مقدرش اتاخر.

بالهنا يا شفا يا ابني مطرح ما يسيري يمري يارب.. الا قولي يا طاهر أنت بكر اجازة مش كده .. خلاص خد جميلة واخرجوا شويه بقه.. حاسه كأنكم بقالكم كتير بين الشغل والبيت .. مش كده ولا ايه يا جميلة؟

لتشير والدة طاهر لجميلة بعينها فتدرك الموقف هي الاخرى..

ااه لو وقته يسمح طبعا .. طاهر عارف اني مش بطلب منه خروجات وكده وقت ما يحب بنروح اي مكان المهم نكون سوا..

ليتدخل طاهر سريعا..

والله فكرة أنا معنديش مانع طبعا .. اصلا الجو بره تحفة سبحان الله كفاية شوية هوا ساقع على سخن كده متبقاش عارف يدفي القلب ولا يمرضه ههههههههه

ليضحكوا جميعا.. مأكدين ثلاثتهم بهذا الحديث ان طاهر يخفي شيئا حقا وانه لا يتحدث الان فقط لغرض ما بنفسه.

بعد حوالي ساعتين انسحب طاهر قليلا معللا انه واعد احد اصدقائه الليلة ويجب ان يذهب الان حتى يعود باكرا ليرتاح قليلا استعدادا ليوم الغد..

طاهر أنت رايح المكان بتاعكم صح؟؟ جمبنا يعني مش بعيد..

جميلة اطمئني متلقيش الموضوع عندي دلوقتي المهم انك متتاميش زعلانه مهما حصل انهارده.

كنت عارف من بدري صح؟ كل الي قلته بره ده عشان تهدي الجو مش كده؟

مبتسما لجميلة يقبل راسها متذاكرا ما حدث نهارا حين جائه اتصال من طارق زوج حسناء بعد ساعتين مما حدث في السوق.. بدأ عليه التوتر سالا عن صحته واحوال اهل بيته؟ وانه لم يلتقي معه منذ زمن واذا كان وقته يسمح اليوم يريد ان يلتقي في مكانهم المعتاد كما السابق.

يعني شوية .. باستثناء طبعاً خروجة بكرا دي من كل قلبي والله.. لتبتسم جميلة له ضاربة كتفه بيدها ليمكن هو من خطف يدها في لحظتها ليقبلها بحنان كما يفعل دائما ليكمل حديثه...

حبيبيتي .. أنا رايح اقابل صحابي مش اكرتلا هي خناقة ولا احنا مفتريين كل الحكاية انه الكلام من راجل لراجل .. الي دارمادام دار في السوق قدام الناس يبقى لازم الحق يرجع قدام الناس بردوه بس كده.

بس والله حماتي ردت وبزيادة وطارق ملوش دعوة يعني هو بردوه الشهادة لله عكس مراته خالص.. يعني ده الي فهمته انهارده أخيرا.

أنتي هتقوليلي على امي أنا عارف قدراتها كويس.. وطارق زي ما بتقوليني أنا لو مش متأكد من كده مكنتش هحافظ على هدوئي لحد دلوقتي أنتي عارفه.

أنا بس الي يهمني هو أنت وبس.. مش عايزة حد يقولك كلمة ولا تجريح على حاجه مش ... مش بتاعتك أنت يعني .

ومش بتاعتي ليه؟ مش أنتي مراتي بردوه والي يخصك يخصني.. على فكرة بقه أنا عارف الي وجعك اكثر م الي حصل انهارده ده؟

لتجيب هي بعفوية طفل سريعا.. ايه الي تعرفه؟

جميلة ... أنا بحبك واتجوزتك عشان نكون مع بعض يعني نعيش كل حاجه سوا الحلو والوحش. الي عايزنه والي مقسوملنا.. عشان كده خليكي متاكده ... أنا ولا مره لومتك ولا هلومك ولا شاغل بالي ابدأ بإمتي وازاي هيحصل كده.. وقت ما ربنا يكتبلنا هيجي ابننا ولا بنتنا سوا غير كده أنا مكتفي بيكي أنتي ومش عايز م الدنيا غيرك أنتي .. فاهمه حاجه ولا هتفضلي باصلي كده لحد ما احلف اني ما انزل واخذك افهمك على رواقه كده بقه الي بقوله ده.

لم تكن تبكي حزنا على ما جال بخاطرها صباحا فقط دموع الفرحه اجتحت كيانها الان .. فكلمات طاهر لم تطيب خاطرها فقط بل وقتلت كل ما ورد بعقلها صباحا من افكار .. وكأنه مر بعقلها حين رودتها هذه الافكار ويعرف تماما خوفها وترددتها. ويعرف ايضا كيف يأمن خوفها هذا في الوقت المناسب.

لتقبل رأسه وكل كيانها يبتسم معها. قائلة:

بحبك يا طاهر.

وأنا مبحبش قدك في الدنيا.. بس أوعي تعرفي امي بقه لاحسن تعاملك على انك ضررتها كده من هنا ورايح ..

تاركا بسمه مريحة على وجهها ذهب وهو يعرف تماما .. ما سيقود له الحديث مع طارق زوج حسناء.

مكان اللقاء في المقهى...

كان طارق يجلس منذ ساعة تقريبا لا يتحدث مع احد ولا يرد على احد .. فقط شاردا هكذا حتى صالح صديقهم المشترك لم يستطع جذبته من هذه الحالة الحرجة التي تسكنه منذ علم ما حدث صباحا .. الغريب في الامر انه هذه المرة علم من زوجته نفسها ليس من احاديث الناس المتدواله كما حدث في حوادث حسناء السابقيه.. ولكنها اليوم رجعت بيبتها وعينها تفيض حرجا ودموعا مما اثار شك زوجها طارق وعندما سالها عم بها لم تنكر ابدا فقط ارتمت باحضانه صارخة بانها فعلت شيئا مروعا وما اصار ذوهوله ايضا هو عدم انكارها ابدا بشعة ما فعلت بل لقد اعترفت تماما انها زادت من الحد مع جميلة وان ام طاهر اعطتها الجواب المستحق.. ولكنها لأول مره شعرت بمدى الحرج الذي سينال طارق خاصة بعد علم طاهر بهذه الحادثة.. فطارق وطاهر وصالح اصدقاء طفولة كبروا ونشأوا سويا وبينهم رأوبط قويا جعلت طاهر لا يعلق على تصرفات حسناء ابدا من قبل احترامها لصدافته بطارق و وعدم رغبته في دخول مثل هذه الاشياء بينهم.. وبالمقابل طارق كان حريص الا تؤثر تصرفات زوجته وام ابنه الوحيد على علاقاته ومعرفته باي حد في المدينة .. حتى لا يخسر الجميع مثلما صار مع ام حسناء بالظبط ..

ومع دخول طاهر المكان الان صمت الجميع .. فقط صالح استطاع ان يتحدث لينبيه طارق بدخول طاهر المكان.. وان كان احس الاخر بان لا مفر الان فلا حل غير مواجهة ما صار صباحا...

ايه ده طاهر وحشتني يا جدع

سلام عليكم جميعا.. ازايك يا صالح؟

ليجيب السلام جميع الحاضرين ويقبل صالح ليتحضر طاهر بقوة رغم وجودهم معا صباحا .. ولكنه اراد انه يهمس له أولا...

منطقش من ساعة ما جه .. عارف انك عاقل بس براحه عليه لو سمحت.

ليتنهم طاهر خوف صالح صديقه على ثالثهما ويطمئن من نظرة عينه ان طاهر لم يأتي في شر ابدا.

ايه يا طارق مش هتسلم عليا ولا ايه ؟ شكلك مشربتش قهوتك انهارده بقه!

فورا تطلع طارق بصديقه طاهر ليلتمس من وجهه نظرة الود هذه . وبالفعل قفز فورا ليسلم عليه ولكن في نفس اللحظة تماما قام طاهر بهمس شئ ما في اذن طارق.. ولكن ابتسامه طارق لحظتها هي التي طمنت صالح ان كل شئ سيكون على ما يرام واصدقائه ايضا.

طارق أنا عارف أنت بتفكر في ايه .. بس أنا

معلش يا طاهر بس في حاجه لازم تقولها الأول ولكل الحاضرين كمان.

زي ما تحب قول الي أنت عايزه...

أولا يا جماعه أنا مش جاي اعلق على التصرفات الحريم ان كانت جماعتي ولا جماعة اخويا.. بس بما ان الي حصل حصل في السوق طاهر اصر انه يكون الكلام وسط الناس بردوه عشان الي فيه حق يرجعه .

وطبعا دي حاجه بينا يعني احترامنا للحريم واجب فوق كل شئ عشان كده لا جماعة طاهر ولا جماعتي ليهم علاقة بالحوار ده دلوقتي.

مش كده ولا ايه يا طاهر؟

تفهم طاهر فورا موقف طارق ورغبته في الحفاظ على اسم زوجاتهم سويا لا ان يتم تداول اسمائهم بين الناس ثانيا بعد أنتهاء هذا الحديث في المقهى.. مواكدا على كلامه...

طبعا يا اخويا معاك حق.. الي هنقوله ده بينا احنا اتين صحاب واخوات مع بعضينا.

عشان كده الي جابني دلوقتي مش حاجه غير اني اسكت اي حد هياخذ الي حصل ده لعبة في ايده يتسالي عليها الايام الجايه. أنا ومراتي احرار في الي بيتنا وأنا وطارق بردوه صداقتنا مش سهله عشان تتوه وسط كلام الناس.

طاهر أنا عارف انه الي حصل عيبة كبيرة أوي .. و زي ما قلتلك بعيدا عن تصرفات الحريم. أنا مش جاي اعتذر نيابة عن حسنة بس عايز اقولك ان بعد الي قالته لو مكنتش عرفته منها بنفسها كان زمانى بناديك دلوقتي تشهد على عقد الط...

-كفى الله الشر يا طارق ربنا ما يجيب حاجه وحشة لا ليا ولا ليك.. أنا عايز اقولك حاجه بس.. تفتكر اني لو مش بخلف اصلا هاجي اقول لمين أول واحد؟

هنا تماما لم يستطع الحضور خفي صدمتهم فبالاساس كانوا بين الحين والآخر يستمعوا لحديث الاصدقاء بتركيز ولكن يعودوا مره اخرى للانشغال بما يفعلوا. حتى تمكن صالح من الرد عما سمع...

طاهر أنت بتقول ايه يا اخويا؟ أنت لسه قايل كفى الله الشر

مش شر ولا حاجه يا صالح .. هو في حد في الدنيا دي بيحي وهو عارف هيكسب ايه ويخسر ايه؟ واهو أنا واحد من الناس مش مكتوبلي الخلفة نعمل ايه والمشكلة فيا وأنا عارف وراضي يبقى ايه الوضع بقه؟

يا حول الله يارب .. كل حاجه وليها حل يا طاهر ان شاالله.

ساكت ليه طارق ؟ أنت صاحب عمري وعارف غلأوتكم عندي أنت وصالح ؟ أنا بشارك معكم الي جوايا زي العادي.. رايك ايه دلوقتي تخاف عليا ولا على جميلة؟

-طاهر أناااااا.. حقك عليا يا صاحبي والله حسنة طيبه أنت عارفها كلامها م الهوا دايمنا أنا لولا عارف ان الحاجة ام طاهر ردت عليها مكنتش زمانى قاعد قدامك دلوقتي.

بردوه مردتش على سوالي تفنكر في وضع زي ده .. مين الي المفروض نطيب خاطره أنا ولا جميلة؟

اااااااااا أنت ... أنتوا الاتنين يعني دي حاجه بينكوا وان شاءالله الموضوع يطلع بسيط وربنا يتم نعمته عليكم يارب.

طارق ... هي الكلمة الي قلتها دي هي الحل في كل حاجه تعرف كده...
كلمة ايه ؟

دي حاجه بينكوا... تعرف لو كل واحد فهم انه الحاجه الي بين اتنين تخص اتنين.. في حاجات ومشاكل قد كده في الدنيا مكانتش هتحصل اصلا.

قصدك ايه يا طاهر؟

ليجيب طاهر على صالح فورا ...

يعني الفكرة مش ان ليه حسناء اتكلمت مع جميلة في الشارع وسط الناس. الفكرة في هي ليه اتكلمت اصلا.

يعني أنتوا دلوقتي اصحابي واخواتي مخبش عليكوا حزني وفرحي.. ومع ذلك أنا متأكد ان نص خضتكو دلوقتي اصلا لما قلتكووا اني مبخلفش هي عشان أنا اتكلمت وسط الناس كده في المأ .. خفتوا عليا ان الكلام يتطور وابقى لبانه في بوء الناس.

وهي دي النقطة بالظبط .. تفنكر أنت بقه شعور جميلة ايه لما حسناء وقفنها وقالت وعادت وهي عارفه كويس ان لا المكان ولا الموضوع مناسب.

صح ولا أنا غلطان؟

أنا مش لاقى حاجه اقولهاك يا طاهر غير حقك عليا أنا وحق جميلة كمان عندي .. عندك حق حسنة معرفتش تفرق بس الي اعايزك تتأكد منه انها مش هيصدر منها الحاجات دي تاني لا لجميلة ولا لاي واحدة غيرها حسنة عرفت ان الله حق لما داقت الي بتعمله في الناس وخذت جزائها م الحاجه ام طاهر ومني أنا جوزها.

صدقني يا طارق أنا ميسعدنيش ابدا مشاكل بينك وبين اهل بيتك أو اني اخسرك اصلا تحت اي ظرف.. بس أنا مش هواجه جماعتك في الشارع والومها على حاجه صدرت منها لواحدة ست زيها حتى لو تخصني عشان كده كلامي معاك أنت. راجل لراجل مش عشان نتخانق عشان أوصل لجماعتك ان جميلة مينفعش يحصل معها كده.

ليبتسم له طارق من قلبه...خافضا صوته ليستمع طارق و طاهر فقط له.

احنا مش بس صحاب يا جماعة احنا في بنا ايام حلوة كتير بس الاهم من ده كله هي الايام الوحشة الي بتمر بينا.

ليضحكووا ثلاثتهم معا معلنين تصفية حدة الموقف منذ قليل.

عشان ضحكة طارق دي بقه .. عايز اقولكم حاجه أنا كمان ...
خير يارب اللهم اجعله خير. لا يا صالح متخافش المره دي خير بجد.
الي أنا قلته من شوية مكانش حقيقي ولا حاجه.. الحمدلله على كل شئ بس هو اذن ربنا الي
مش رايد دلوقتي لا أنا مش بخلف ولا عمرنا فكرنا ندور ورا حاجه كده اصلا.
الله اكبر هو ده الخبر ولا بلاش مش قللتك كل حاجه وليها حل.
يا ابني بقولك ارادة ربنا مش كنت مبخلفش والمدام حامل دلوقتي.
ايه ده ايوه صح ..

الف حمد وشكر يا طاهر بجد ربنا يسعدكم ويرزقكم الذرية الصالحة بجد.
معرفة الناس كنوز ما بالك لما يبقوا رجالة بجد زيكوا كده .. صحيح احنا ناقصنا واحد
دلوقتي فعلا بس هانت بكرة يرجع م السفر ونكمل .

صحيح أنتوا حد فيكوا كلم يحيي ابدا ؟ الواد ده السفر واخده مننا كده ليه؟!
ما انت سفرت أنت كمان يا صالح مش عارف لولا ملك كنت هترجع ازاى بجد.
لا لو سمحت أنا رجعت عشان كلمتى معهم ان الجواز يكون السنه دي لولا كده كنت خدتها
من بره بره وفاضلنا في السعودية مش اقل من سنتين والله بعد الجواز.
يا ساتر للدرجة دي قعدتنا تهزق ؟ شكلك لازم ترجع تفكر يا طاهر فعلا في خسارة حد
فينا هههههه

ايوه فعلا .. اهو ده اخر واحد كنت اتوقع انه بيعنا كده هو أنت يا صالح دي مجاتش م الي
اتربى وعاش بره يا اخي ايه ده...

يا جماعة استهدوا بالله بس ..كل الحكاية بس والله اني لسه مش مستقر على حاجه فجاه حبت
فجاه خاطب فجاه لازم استقر هنا فترة عشان خاطبتي فجاه هتلاقوني اتجوزت ويا عالم
هعرف اقعد معكم القعدة دي تاني ولا لا!

بس دي سنة الحياة.. يعني ندمان على حاجه ولا ايه؟؟

لا بالعكس يا طارق ابدا أنتوا عارفين أنا بحب ملك قد ايه وكان كل خوفي اني مبقاش جدير
بيها في اي وقت من أول ما عيني شافتها في الجامعة وأنا حسيت انه هي دي الي بدور عليها.
امال مالك بس ليه التوتر ده؟

مش عارف يا طاهر خايف قلقان خايف من الاستقرار فجاه كده .. انه يبقى في حد مستنيك
في البيت كده وأنت عارف انك لازم ترجعله بس رغم كده والله لما بقف عند الحته دي بفرح
أوي لما افكر انه الي هتستنني دي هي ملك الحمدلله.

ااه فهمت قول كده بقبه يا اخي ده توتر قبل الجواز كده كلنا عدينا بالمرحلة دي .. ده أنت هتفاجئ اكثر بقبه لما تعرف انك ممكن بعد يومين تقول لا لا مش قادر اكمل الحقوني ... ههههههه

يا شيخ أنت بتتكلم جد .. ممكن يحصل كده فعلا؟

ايوه طبعا طارق قالي انه حس بكده بردوه وأنا كذلك .. بس الحمد لله مقولتش مش عايز اكمل ولا حاجه دي جميلة يعني...

يا اخي أنت بتطلع قلوب لوحديك أول ما تيجي سيرتها.. طب قدر موقفي شويه بقولك خايف وقلقان...

يا بني صدقني هو ده الحلو في الموضوع خليك فاكرا دائما انك بتتجوز واحدة بتحبها وعايز تبني معها بيت واسرة صالحة وعيشة كاملة ده لوحده كفيلا انه يرعك عن ااي افكار سلبية بتيجي الفترة دي.

هنا تماما شرد طارق مره اخرى ..ولكن هذه المرة في حياته مع حسناء هل فعلا كانت هذه هي الحياة الذي يحلم بيها مع حسناء ؟ هل من الاساس حسناء هي الزوجة الذي ارادها في حياته..

طارق لم يكن يختلف كثيرا عن بقية جيله فهو مثل طاهر وصالح وحتى يحيي الذي استقر مع اهله في الخارج وكان لا يعود غير في الاجازات الصيفية عند أنتهاء فترة الدراسة في البلدين. لكن طارق كان لا يملك شيئا في حياته غير صداقته معهم سنوات دراسته في المدرسة و الجامعة حتى عمله بعدها .. ولكن لم يدرك خلال كل هذا ان هناك احد اخر يفكر عنه في خطط حياته فكانت ام حسناء دائما على الوجه الاخر للقصة .. فمع كبر حسناء وفور تخطيبها العشرين عاما وجهتها دائما الى انها لايد من ان تتزوج شخصا عاديا ولكنه اشياء ليست بعادية في حياته لم تهتم بكونه غني أو فقير بل الاله من ذلك هو كونه عاديا لا يملك صراعات ولا عدوات ولا يحلم بالكثير .. فقط حتى تتمكن من توجيهه هو وابنتها معا نحو ما تريد هي .. حسناء فقط هي ما كانت تشعر ان طارق غير عادي صحيح انها احبته من النظرة الأولى عندما راته خلال سنوات دراستهما معا بالكلية.. الا ان خوفها من عقل امها في البداية هو ما أجل اي مشاريع اخرى لدى حسناء فكانت تؤجل مشاعرها واي اشارات بينها وبين طارق الى ان مضت سنوات الدراسة على خير.. لم تدرك ان امها ادركت من البداية بحقيقة مشاعر ابنتها وتأكدت اكثر عندما سمعتها تتحدث مع احدي صديقتها عنه ورأت صورها معا بين صفحات احدي كتبها. صحيح انها كانت صورة جماعية لهم جميعا كدفعة دراسية الا ان نظرة ابنتها له بين الحاضرين خفت عين امها فور رؤيتها لها.

وهذا تماما ما عملت عليه ام حسناء فور أنتهاء دراستهم. كانت دائما تسعى لتقريب طارق من ابنتها دائما ما كانت توفر مناخا للتعارف والتقارب بينهم عن طريق والده طارق ايضا وهكذا حتى صار ما اردات فقط بعد مرور ست اشهر بعد تخرجهما. وهذا تماما ما اثار ذهول الجميع حولهم كيف ولماذا بهذة السرعة حتى ظل البعض للفترة من الوقت يقول

" مستحيلة الست دي حد يعمل عمل لبنته كمان احنا بقينا في زمن العجايب بجد" مرت الاشهر الأولى من زواجهم سريعا وكان طارق لا يعير اهتماما لاي مما يقال عن حماته وافعالها بالنساء وسط السوق .. حتى تمكنت من جر حسناء في طريقها هذا ولم يتمكن هو من ضبط لسانها ايضا مع مرور الوقت. لا نعرف ان كانت سلبية أو خوفا من هد البيت كما كان يقول. ولكن دائما ما كان يقول ان وجود حمزة ابنهما الوحيد في حياتهم هو ما يصبره على هذا البلاء كما يعلل احيانا فانشغله وفرحته حين ولد و يقينه بان وفاة ام حسناء سوف يغير الكثير في حياتهم على الاقل سوف يضيف بعض الهدوء على حياتهما معا كمان كان يتمنى.. ولكنه ايضا كان يعرف تمام المعرفة بينه وبين نفسه ان حسناء لا تستطيع فقط التخلص من عبء والدتها عليها ولكنها اطيب منها بكثير وهذا جديا ما ينتظره منها للظهور يوما ما. فعندما سمعها ذات مره تتحدث مع ابنهما ذو التسع اشهر عن الناس اراد طارق وقتها فوراً ان يتدخل ويمنعها من تسميم ابنهما ايضا ولكنه تسمر مكانه فور سماعه جزء من الحديث حين كانت تقول بصوت منخفض :

أوعى يا ابني لسانك يسبقك زيي كده .. أنا معرفتش افلت من ورث امي ولا احافظ على حد كويس في حياتي زي ابوك .. ابوك اصلا هو الحاجه الوحيدة العدلة في حياتي مش عارفه ازاي ساكت عليا لحد دلوقتي ده أنا أوقات كتير بقوم من نومي اتأكد انه لسه جمبي على السرير مهجر نيش زي الباقي.. بس عارف أنا متأكده انه أنت السبب ده أنت الي مخلي باقي عليا و رغم كده أنا راضية والله .. مش عارفه هيجي يوم وابقى ام كويسه عشانك ولا لأ .. بس صدقني أنا دايماً هابقى عايزة اكونلك احسن و اكون لطارق كمان .. عشان هو فعلا يستاهل الاحسن زي ما صحابه بيقلوا دايماً.

كان هذا الحديث هو النقطة الفاصلة في حياتهم الزوجية بعد ذلك .. هنا تماما ادرك طارق ان حسناء افضل بكثير مما كان متوقع منها على الاقل كانت تريد ان يظل ابنهما بعيد عن كل هذا الشوك والشر.

ايبيه رحى يا طارق ؟ احنا هنا لسه

خارجا من شردوه فجاه متذاكرا انه مازال بين اصداقاء بالمقهى ..

جماعة ما تخلونا نخرج نتمشى شويه احسن من خنقة المكان هنا أنا حاسس انه الناس كلها معنا ع الترابيزة يعني.

منتبهين لرغبته الشديدة في الخروج بعيدا عن الناس و اصواتهم لعله يريد الهروب من شئ ما ...

طبعا يلا بينا اسبقوا أنتوا حتى وأنا هحاسب واجي وراكم على طول خده يا طاهر أنت يلا

في مكانا ما قرب المزرعة...

طارق أنت كويس؟ كلامى ضايقك في حاجه انهارده ؟

... لا بالعكس أنت معاك حق يا طاهر دائما كان معاك في الي بتقوله الجواز مشاركة وتفاهم .. أنا بس يمكن الي فهمت ده متأخر...

ممکن اسالك سؤال يا طارق؟ وأنا اسف سؤال شخصي يعني لو مش عايز تجاوب طبعا براحتك...

يعني لو مش هتقولي اتجوزت ليه اصلا هجاوبك...

ههههههه لا لا بجد والله سؤال ثاني .. هي حسناء كأم عاملة ازاي؟ شايفها ازاي يعني؟ مهملة مفترية كويسة وحشة .. كده يعني؟

توتر طارق في بداية الامر فهو يعرف تماما ما سيؤدي له سؤال صالح الان ولكنه اراد فعلا معرفة ما يفكر بيه اصدقاءه في شكل حياتهم على الاقل بعد ما صار من احداث مواخرا...

يعني كويسه بصراحة ولا مره شفتها سايبه غير طبعا لما بتنزل السوق ده حوار ثاني بس هي بتبقى عارفه انها مش هتتاخر اكثر من ساعة يعني و ده كل فين وفين... مثلا كمان ولا مره شفتها بتضربه شفتها بتقسي عليه حتى لسه كنا بنتكلم انها عايزة تقدمله في المدرسة الي كنا فيها ان شاءالله السنه الجايه...

طب حلو وقالتك كده ليه بقه؟

يعني بتقول انها عايزه يتربي ويتعلم زينا يعني لعله كمان يلاقي صحابة حلوة كده ويكونوا المدرسين كمان افضل منها في البيت.

طب بذامتك يا أخي ده لوحده مش كفاية .. أنت طول ماحنا قاعدين جوه كنت بتقول حسناء طبيه والله .. و ده الحقيقي كلنا عارفين كده.. مش كده يا طاهر ولا ايه؟

ايوه بالظبط .. حتى صحيح افكرت أنت قلت انها هي الي جات قالتك ع الي حصل انهارده وندامنة وكده.. تفتكر دي كلها مش حسنات زيادة فيها.

عايزين توصلوا لايه يعني؟

مش هقولك لسه بتحبها ولا لأ يا طارق أنا عارف ده سؤال صعب دلوقتي.. بس ع الاقل يا أخي فكر شويه اربع سنين جواز ولا اكثر تقريبا مش كفاية انك تفهم ان حسنة عايزة تبقى احسن بس يعني لازم كل فترة فلتة كده .. يا اخي تلاقيا بتكسر الروتين يعني... هههههه

مش عارف يا صالح .. مبققاش عارف اي حاجه. انهارده بالذات كنت بدأت احس انها النهاية حتى لما جات قالتي بنفسها وكننت أول مره اشوفها مكسورة كده .. بس لما لاحظتها مفكرتش في حاجه غير يا ترى طاهر هيعمل ايه دلوقتي؟ قلت اكيد أنا كنت بخدع نفسي بأني لسه بحبها صحيح حمزة هو الي فارق معيا اكثر بس لو هي ترتيبها هيبقى التالت في حياتي .. يبقى أنا بظلمها معيا بردوه صح ولا ايه؟

امممم موضوعك صعب يا صاحبي.. بس اكيد ترتيب ربنا احسن من دماغنا مهما فكرنا ولا قررنا ربنا هو الاعلم بالاحسن ليك وليها.. عشان كده اخر حاجه هقوله لك في النقطة دي اصبر وشوف الايام الجاية مخبيالك ايه .. متقرررش حاجه في لحظة غضب ولا بناء على مواضع عدت وانتهت.

صح يا طارق صالح معه حق.. صدقتي أنا مفيش في قلبي حاجه ناحيتك دلوقتي ولا تجاه حسناء كمان أنت لسه اخويا وصاحبي وعلى معادنا يوم الجمعة عادي في الماتش .. أوعي تفكر انك لما تقول كده هتقلت من العزومة يعني هههههههه

يا سيدي العب أنت الأول صح بس وبعدين فكرني بالعزومة.

ايوه كده اضحك بس وميهمكش اي حاجه. عارف امي مره قالتلي انه ربنا سبحانه وتعالى وزع رزقنا على حاجات كتيره أوي مش بس فلوس وشغل. الغباء بقه اننا نبص على رزقنا في حته واحدة بس ونقول هي مالها انهارده مش عاجبني ليه أو مالها انهارده ماشية كده ليه.. كله مقدر ومكتوب.

وأنتوا بجد رزقي الي عمري ما ندمت ولا هندم ان ربنا انعم عليا بيه...

وأنت كمان يا طاهر بجد. موقفك انهارده اثبتلي انك راجل على حق وقلبك أبيض.. مش بس صاحب و اخ جدع.

ليتحضنوا الاثنين بعضهم بود حقيقي مثلما كانوا وسيظلوا دائما... حتى قطع المشهد صوت نحيب صالح بجانبهما.

ايه ده في ايه؟ يا عم أنت متعرفش تكمل الجد لاخره ابدأ.. ما أنت كنت ماشي كويس ايه الي حصل؟

بس بقه يا طاهر أنت عارف اللحظات دي بتأثر فيا ازاي ..خلتوني اعيط والله يا جماعة كفاية كده انهارده بقه أنا تعبت مشاعر فياضة انهارده.

والله يا بني أنت حقك فعلا تتجوز وربنا يرزقك بينت حلوة كده تهديها مشاعر الحب الفياضة دي وتقعدها تعيطوا أنتوا الاتنين بقه ع الافلام الي بتحب تشوفها دي.. تخيل كده ههههههههه

لو سمحت يا طاهر كله الا افلامي.. متعرفش أنت ساعتين الفيلم دول بيفصلوني ازاي.

يا بني ما الافلام دي هي الي مغلبتك كده .. بتشوف قصص العرسان الي بتهرب قبل الفرح وتيجي تطلعه عيلنا هنا عيب والله.

ياالحيي الله يكرمك اطلع م الجدع ده شويه هيسحبنا وراه كده مش هنخلص من احلامه دي..
كنت عايز تقول ايه؟ شكلك نسيت اصلا .

هههههههه لا لا فاكرا يا طاهر هي دي متتنشيش اصلا.. في الحقيقة هما خبرين كده بس
الأول عشان مسلوكش معيا. أنا خلاص هستقر هنا ومش مسافر تاني.

ياااااا فرج الله ايه الجمال ده ومخبي عننا بقالك أسبوعين يا شيخ..

في الحقيقة هو سبب التأخير اني كنت بتأكد من حاجه كده هي الي على اساسها هنقرر أنا
وغالبة هنستقر خالص ولا لسه احتمالية الرجوع قائمة.

طب خير يارب كل كويس من عند ربنا. واتأكدت خلاص هتقعدوا هنا صح.. جميلة هتفرح
أوي بجد بالخبر ده.

في الحقيقة هو اكيد غالبية قالتهم دلوقتي خلاص بس الخبر الي كنا بنتأكد منه من اسبوعين
هو ... يعني ان شاءالله كده أكرم هيسنتي اخوه ولا اخته السنه دي هههههههه

مش معقوووووولة الف مبروووك يا يحيي الف مبروك يا اخويا الحمدلله.

الله يبارك فيك يا صالح عقبال عندك يااa

الف الف مبروك يا يحيي هي دي الاخبار الحلوة بصحيح .. ربنا يبارك فيه يارب و ويجيبه
بالسلامة لاخوه كده.

الحمدلله يا طاهر بجد أنا لحد دلوقتي لسه مصدق اصلا.. غالبية كانت تعبانة أوي مواخرا
هناك وكل مره اقولها تعالي للدكتور مفيش فايده مرضتش ابدا لحد قبل الفرح بيومين كده
عاملت التحاليل وقالتلي يوم الفرح على طول.

ما شاءالله ربنا يبارك يارب .. فعلا ازاي كنتوا هتسافروا في وضع زي ده؟!

في الحقيقة هي كانت رغبة غالبية من بدري .. كانت دايمًا تقولي عايزة أكرم يتربي في بلده
ووسط اهله واهلنا حتى كانت بتقولي مش عايزة اخويه هناك في الغربه.. بس الحمدلله ارادة
ربنا برده ناخذ خطوة السفر عشان الفرح وتتأكد من الخبر هنا في البلد.

الحمدلله على كل شئ يا صاحبي.. ما شاءالله عايلتنا بتكبر يوم عن يوم اهي بكر العيال دي
يتجمعوا مكانا هنا والمزرعة يبقوا اتنين وتلاته.

على رايك صح ربنا يقوم غالبية بالسلامة بس ومش عايز حاجه تاني.

باذن الله يا صاحبي المهم متخدناش في دوكة .. باذن الله الي جاي ده عريس بنتي خلاص
مفيش كلام أنا حاجز اهو.

ههههههههه أنت جاي في اي حاجه كده وخلص.. طب افرض أنا جيت بنت مثلا ؟

أنت اش عرفاك ااصلا انك هتجيب بنت الأول يا بني أنت؟

مثلا!!

بنفس صباح اليوم.. بيت طاهر وجميلة...

جميلة أنتي كويسة؟؟

طاهر .. في حاجة كده حصلت وكننت عايزك تيجي معيا انهارده يعني وأنا بأخذ النتيجة.
نتيجة ايه؟؟ أنتي وشك اصفر أووي ...

بصراحة كده لما الايام الي فاتت تعبت يعني ومكنتش بقدر اشم ريحة الاكل مرضتتش اخض
حد فيكوا بس طلبت من غالبية تيجي معيا اعمل تحليل يعني وقتلتها هابقي اقولك أنت يوم
النتيجة عشان تيجي معيا.

معقوله عاملتي كده لوحذك؟؟ ده ولا حتى امي قالتلي حاجة؟

هو بالصراحة أنا مقولتلهاش حاجة .. بس هي شاكة كده في شوية حاجات ولما قالتلي أنا
مصدقتش فقلت اعمل تحليل عشان اتأكد بردوه.

أوووعي يكون الي بالي؟؟

هو المشكلة انه غالبية كمان بتأكد على كلامها ده.. بس أنا مش فاهمه يعني وبالصراحة مش
عايزة أتأمل في حاجة قبل ما اتأكد.

أأأأأ أنتي بتهزري يا بنتي .. أنتي عارفة ده معانه ايه .. احنا هنب...

طاهر طاهر .. ارجوك بلاش اي انفعال ولغبطة دلوقتي.. أنا عارفة ان أنت عايز تفرح
من زمان.. بس والله لولا خوفي اني اعرف لوحدي مكننتش قلتلك دلوقتي ومش عايزة اتعب
غالبية معيا اكثر من كده كفاية الي هي في بردوه.

خايفة من ايه بس .. ان شاءالله خير .. يعني ان كان في اعراض ولا حاجة وامي ادرى
بردوه دي مولدة يجي خمس سنة قبلنا يعني .. اكيد في حاجة حلوة جايه في السكة...

دول اكثر من سنة ونص يا طاهر احنا داخلين على سنتين مع بعض .. مش عايزة اكسر
مجادفيك بس ارجوك استحملني انهارده.. أنا محتاجلك أووي.

ليضمها اليه على الفور يقبل كف يدها ليضعه على قلبه كعادته...

عارفة ايه اكبر دليل على الي هما فكروا فيه ده؟

ايه يا ترى؟

الي أنتي بتقولي دلوقتي ده ؟ دي الهرومانات يا بنتي اشتغلت خلاص.

يا طاهر بفه.

يا مدام يا ملك أنا قلت لحضرتك من أول يوم ضعف بنيان جسمك هيخلي فترة الحمل فيها صعوبة شويه وكل ما حجم الجنين بيكبر بيضغط على باقي الاعضاء .. عشان كده في حاجات كتير ممكن تتأثر بجانب المعدة والجهاز الهضمي كامل.

امممم يارب يا دكتور لاحسن أنا فعلا مبققاش اقدر اطلع السلم مع اني في الدور الثاني بس من كتر النهجان الي بيحصل.. بقيت اخاف أووي فبطلع سلمة سلمة واقعد يجي نص ساعة في الطلوع والنزول.

هزودلك ع الادوية المصروفلك الفترة الجاية جرعة فيتامينات قوية ده غير ...

ده غير ايه يا دكتور؟ اتكلم من فضلك؟

يعني في الغالب هنحتاج اشعة معينة لما تدخل في السابع على طول لزيادة الاطمئنان بردوه .. وعشان وجود خطر الولادة المبكرة.

متخافيش يا مدام ملك دي حاجه بتحصل لكل ستة من اصل عشر سيدات .. المهم ننتبه كويس الفترة الجاية زي ما قتلتك.

حاضر يا دكتور ان شاءالله... بس من فضلك زي ما قتلتك بلاش صالح يعرف حاجه عن كل ده لو سمحت أنا مش عايزة اقلقه طول ما مفيش حاجه اكيدة.

اكيد يا مدام ملك أنا متفهم.. عشان كده مجاش معاكي متابعة انهارده مش كده؟

لا لا أنا حجزت انهارده مخصوص في معاد مختلف عشان اطمئن الأول .. وافهم من حضرتك لحد معادنا الجاي... شكرا لحضرتك يا دكتور.

مع السلامة يا مدام ملك في رعاية الله.

لم يكن صالح يفوت موعد واحد مع ملك خلال الست اشهر الماضية .. حتى انه صنع لنفسه جدول مخصوص بمواعيد المتابعات حتى لا يجاذف بنسيان معاد واحد لها ليكي يطمئن على صحة طفله القادم وملك في المقام الأول.

ولكن هذه المرة تحديدا .. ارادت ملك الحصول على موعد مختلف لرؤية الطبيب لمعرفة الحقائق حول ما يدور بخاطرها الاسابيع الماضية حين وجهت صعوبة غير عادية في صعود السلم ونهجان وكان اكثر ما اثار شكها في امر ما هو ألم قلبها الذي تكرر بشكل مستمر مواخرا. فارادت معرفة الامر أولا ثم تقرر لاحقا ان كانت تخبر صالح أو لا؟

وبالفعل فضلت عدم الافصاح لصالح بأي شئ حتى بعد صدور نتيجة الاشعة المنتظرة خلال عدة اسابيع اخرى فقط كما قال الطبيب.

ايه رايك كده يا صالح؟؟ الأوضة اهي زي ما طلبت أنا قلت للاسطى سيد يسيلك مساحة عشان السرير الجديد الي عايز تجيبه.

تمام يا صاحبي زي الفل تسلم ايدك.. المهم الاقي سرير يكفي بقه الحثة دي ويكون يسعى ثلاث افراد مش فردين بس.

ياسيدي ان شاءالله يكون ببشيل خمسة مش تلاتة بس .. نعمله احنا بايدنا كمان ولا تشغل بالك ابدا.

هههههههههههه لا مش للدرجة يا طاهر كفاية تلاتة دلوقتي.. اصل

اصل ايه؟ مالك يا صالح شكلك متوتر بقالك كام يوم كده شايل هم حاجة.

... مش عارف يا طاهر بصراحة بس ملك شكلها تعبان أوي بقيت بتهرب مني بالنوم .. بس أنا حاسس ان في حاجة غلط.

لا لا بعد الشر خير ان شاءالله .. ده عادي بردوه في الفترة دي الستات بيحصلهم كده كتير.

ما أنا عارف بس بردوه في حاجة واكله قلبي كده... ربنا يستر

متقلتش يا اخويا كله هيبقى كويس والله وهتطلع أنت واهم نفسك بردوه كالعادة.

اهو المره دي بالذات بتمنى يطلع كده يا صاحبي.. بقيت اقوم من النوم قبلها ابص في وشها الأول عشان عارف انها بقيت اليوم هتاخذ عينها مني بين كل ساعة والتانية.

يا حول الله يارب خير يا حبيبي باذن الله.. لعلها فترة توتر طبيعية عشان معادها قرب بردوه .. أنت مش شايف يحيي هيتجنن ازاي ولا كأن هو الي هيوولد مش مراته.

ههههههههه

ايوه كده اضحك أنت بس وسيبها على الله.. هتشوف هترجع احسن م الأول ازاي بعد ما تشوف مفاجاتك ليها في المزرعة.

بتجيب سيرة يحيي ليه يااااا كابتن أنت وهو؟ مش كفاية واقفين هنا وأنا مع الاسطى سيد جوه كل دماغى على لون الأوضة... تمام يا اسطى سيد زي الفل كده تسلم ايدك يا حج.

عاجبكهم كده .. اهو اقتعني انه الازرق السماوي هادي عشان عيون الطفل.

هههههههههههه ايوه صح ما هو محدش يعمل كحلي في وش العيل أول ما يصحى.

قلتك قبل كده اسمه ازرق غامق .. عشان الشمس لما تدخل متعكش عيون العيال.

يا سلام ع الهندسة .. أنت مدير المشروع بتاعك في السعودية كان سايبك بالازرق ده عادي كده.

ااه يا حبيبي كنت صرفله ازرق بزيادة مع الحديد هههههههههههه

لم يكن صالح يسمع ما قيل الان بالاساس حتى نكزه يحيي قائلا:

مالك بس يا صالح؟ قلقان على ملك ولا ايه؟

أنتبه صالح للحديث حتى طاهر ايضا شد أنتباهه ما قيل الان.

ايه ده أنت عرفت منين؟ أنت عارف حاجه يا يحيي ومخبي عني؟

اايوه طبعا.. احنا قلت أنتوا هتولدوا ورا بعض كده مين هياخد باله منكوا.. طبعا احنا موجودين بس بردوه الونس وكمان عشان تبقوا مطمئنين على بعض وبما ان الفرق ما بينكوا اقل من شهر يبقى كل واحدة تولد تيجي هنا مع جوزها يستقروا لحد ما الباقي يحصلوها.
لا بجد دهشتني ... اااااااا الفكرة العظيمة دي.. ده احنا ولا حسينا.. والبنات بقه عرفين الكلام ده؟

لا خالص والله احنا قفلنا ع الموضوع بنا احنا التلاته كده لحد ما نخلص المكان.. بس أنا قتلهم خليني أنا الأول اعرفك عشان لو حابة ننقل هنا من دلوقتي عشان مبيقاش مجهود عليكى..

أنا مش قادرة اصدقك بجد يا يحيي .. االحلى مفاجاة تعملها ربنا يخليك لينا.
حبيبتي ربنا ما يحرمني منكوا أنتوا الاتنين ابدأ ياارب .. اقصد أنتوا الاربعة كمان... بس مش عايز عياط بقه خليكى بتضحكي زي مأنتي.
هههههه لا لا خلاص دي دموع الفرحة أنت عارف انه ... ااااه
ايه دي في ايه مالك؟

مش عارفه ياااا يحيي بطني.. شكلي هولدي.. الحقني ياااا يحيي
اااااااا ده تولدي ايه بس ده احنا لسه في أول تاسع.
ما الناس بتولد في التاسع يااااا يحيي اااااااااه

عندما زادت الالم على غالية.. ادرك يحيي سريعا ان الولادة حأنت بالفعل وسريعا اخذها على السيارة مسندا اياها وحاملا أكرم على كتفه .. وبرغم صعوبة الطريق عليهم بسبب صراخ غالية وبكاء أكرم الشديد الا انه تمكن من الوصول لأقرب مستشفى من المزرعة وسلم غالية للطبيب واحتضن أكرم محأولا تهدئته وابلغه ان كل شئ على مايرام فقط قدوم اخواته الصغار الان استدعى بعض الضجيج.

وبالفعل استغرقت الولادة اكثر من المعتاد ليس فقط لانه تؤام ولكن بسبب اصرار غالية كثيرا على ان تلد بدون تدخل جراحي وان كان هناك بعض المخاطر لانها تحمل روحين.. في الوقت نفسه كانوا طاهر وصالح قد وصلوا الي المستشفى بمجرد تبليغ يحيي لهم بما حدث ..

متقلقش يا يحيي ان شاءالله خير .. طبيعى تتأخر كده بردوه.
ربنا يستر يا طاهر ربنا يستر.

حبيبي متخافش عمه صالح معاك اهو ماما كويسه.
متخافش يا أكرم أنا معاك يا حبيبي.

طاهر أنا هقوم اصلى العشا تكون حضرت العربية بسرعة عشان نلحق نروح ونسيبهم
يسترحوا كده تمام.

اااااااا في الحقيقة يا امي .. كان في تفصيلة صغيرة كده مقولتلكيش عليها من اول النهار..
اااااااا مش هنروح في حته.. أنا جبتك انهارده عشان نقعد كلنا هنا مع بعض لحد ما ملك
وجيملة يقوموا بالسلامة ونطمئن عليهم كلهم بخير.

صدقني يا ام طاهر انا غرضنا راحتك قبل اي حاجه .. مش عايزك تزعلني مننا أو تفكري
انه امر واقع.. كل الحكاية انه زي ما قلناك كده .. كنا الشهور الي فاتت دي بنجهز المكان
هنا عشان راحتنا كلنا سوا يعني. وأنتي أولنا طبعاً.

وكمان يا حماتي أوضتك جاهزة و زي الفل هستريحي ع الاخر .. اديكي شايفه غالية على
حمل قد ايه وملك كمان قربت أوي وأنا وراهم.. فكلنا محتاجنيك جمبنا هنا.. أنتي الخير
والبركة بردوه.

هاااa

سكتت والده طاهر قليلا منصتة الى محاولات هذة في اقناعها بالمكوث معهم
بالمزرعة.. كانوا يحاولوا اقناعها بكل الطرق مخافتنا ان ترفض لمجرد انها تشعر بانها
سوف تكون حمل زائد عليهم.. ولكن ما كانوا لا يعرفوه هو انها كانت تفهم لعبتهم منذ أول
دخولها المزرعة حين رأت بقيتهم متجمعين بينما كان بعضهم بملابس المنزل ايضا .. مما
اثر شكها انهم مقيمين هنا ليس بزمن بعيد..

خلصتوا ولا لسه هتقولوا حاجه تانيه؟

يعني لو لسه عايزين تقولوا اسباب تانيه عشان اعرف اهمية وجودي هنا.

يااا امي أنا بس كل غرضي...

أنت كدبت عليا يا طاهر .. وأنا مرتبكش على كده ابدأ.. حتى الي أنتوا بتقولوه دولقتي ده لو
حقيقي.. فأنا مش مصدقه خلاص.

عامة أنا مقدره الي أنتوا في بس أنا مكاني في بيتي .. مش أي حته تانيه.

كانت جميلة على وشك التدخل لاقناعها.. ولكنها ارتجعت حين اشار طاهر لها بأن لا
فائدة من الحديث الان .. خاصة وهي غاضبة هكذا .. ولانه لا يريد ايضا ان يغضبها اكثر
فضل عدم الاستزاد في الحديث الان.

خلاص يا امي على راحتك .. الي أنتي تشوفي هو الي هنعمله .. بعد العشا هنتحرك ان
شاءالله.. جميلة هتجهز حاجاتها بس ونمشي.

وأنت بقه عايز تسوق بيها بليل وهي في وضعها ده.. لا وكمان تسبب اخواتك وهما محتاجينك جمبهم كده.. افرض حد م العيال الصغيرة تعب ولا حاجه وملك الغلبه دي مش شاييف وشها مصفر ازاى .. مش لازم تكون جمب صالح في الايام الصعبة دي.. أنا ربك على كده بردوه؟

هو الي أنا بسمعه ده صح يا جماعة؟

الأنتي بتقولي ايه يا امي.. اكيد مفيش اهم منك؟

غلط يا حبيبي حتى لو .. الدنيا فيها التزامات تانيه وادوار كتيرة الواحد مكلف بيها .. وأنت مش بس ابني أنت اخ وزوج وهتبقى اب باذن الله .. وأنت قدما وقدود يا حبيبي ربنا بيقويك عشان اكل الي وراك ده.

اقبل طاهر على يد والدته ليقبلها فورا ..بينما كان يحيي يشاهدهم ابتسمت جميلة لما احسته من حديث حماتها .. فهي صارت تعلم الان ما سيؤول اليها هذا الحديث.

ربنا يخليكي ليا يا امي.. يعني افهم من كده انك مش زعلانة مني؟

عمري ما ازعل منك يا حبيبي.. وطبعا معاك حق في الي فكرت فيه المكان هنا احسنلكم عشان تبقوا جمب بعض وونس.. وأنا مفيش حاجه تريحيني قد راحتكوا أنتوا.

الله ينور عليك يا ام طاهر .. أنتي بركاتنا بردوه.. كنت عارف انك مش هتكسفينا والله.

أنا ثقتي فيك قد الدنيا يا حبيبي.. وعارفه انك عمرك ما تتأخر ع الي وراك ابدأ.. واليومين دول بقه مفيش حاجه اهم من عايلتك وحبأبيك.. مش كده ولا ايه؟

صح الصح يا امي .. المهم وجودنا مع بعض وأنتي فوق رأسنا.

ربنا يبارك فيك يا يحيي ويخليكوا لبعض يا حبيبي...

يعني خلاص يا حماتي هتفضلني معنا هنا صح؟

مادام ده الاحسن ليكوا كلكوا يا حبيبتني هعترض أنا على ايه بس.. المهم تبقوا بخير وتقوموا بالسلامة يارب.

تسلملي يا امي ربنا يبارك فيكي يارب.

ويبارك فيكوا يا حبيبي ويقويكوا على ايامكم ويجعلها كلها خير وسعادة وتفضلوا ايد واحدة مع بعض دايمًا.

قالت والدة طاهر جملتها وهي تقبل رأس طاهر الذي كان جالساً عند ركتبها حين اراد ان يسترضيها منذ قليل.. ومن ثم استقرت والدة طاهر بالغرفة المجاورة ليحيي وغالية في الدور الارضي من البيت حتى لا تضطر لعود ونزول السلم يوميا .. واثناء حدوث ذلك كانوا صالح وملك قد اقتربوا من باب البيت ولكنهم فضلوا الجلوس قليلا في الحديقة خاصة حين راؤا ان يحيي وطاهر كانوا مازالوا يتحدثوا مع والدته..

ايوه يا ستى شفني.

ماشاءالله اسم جميل خالص.. ربنا يبارك فيه يارب ويحفظه بصحة وسلامة.

اميبيين يااارب العالمين.. خلاص مش ناقض غير الجميل بتاعنا بقه يجيي ينور هو كمان.

قال طاهر جملته وهو يربت على بطن جميلة.. فابتسمت هي الاخرى حين فعل ذلك بينما داعت والدته لهم بدوام الفرح والصحة وجعل ذريتهم خير الذرية.

مرت عدة ايام سريعا بين زيارة ملك وطفلها في المستشفى والاهتمام بالبقية في المنزل .. الا ان غالية وجميلة منعزه من زيارة المستشفى بسبب حالتهم الصحية وخروج ملك المحتم قريبا.. حتى مر اسبوع كاملا جاء موعد خروج ملك وطفلها من المستشفى بذهبوا طاهر ويحيي لاخذهم وحين رجعوا المزرعة سويا كانوا الجميع بانتظارهم فرحين حتى اقبلوا الى الباب لاستقبلهم ورؤية هذا الوجه الجديد في العائلة.

حمدالله ع السلامة ياالحبيبتى الف مبروك.

الله يبارك يا غالية.. تسلمولي يااارب.

الله اكبر الجميل ده ربنا يحمي.

شوف بقه يا سي كريم .. دي عايلتك كلها اعمامك وخالاتك وستك بركتنا كلنا ودول اخواتك الصغيرين .. ماعدا حبيبي اكروم طبعاً ده كبيركم كلكوا.

اخذ صالح صغيره بحضنه واخذ يشرح له عن عائلته وهو يشير لكلا منهما حتى جاء دور أكرم ففسر سريع انه اكبرهم سنا .. مما جعل الجميع يضحكوا من قلبهم على هذه اللحظة اللطيفة بينهم..

صارت الايام بالمزرعة تمر سريعا فههم السيدات ينبهوا على ابنائهم الصغار .. بينما يتناوب الرجال على الاهتمام بالجميع بما فيهم الصغار .. حتى اصبح أكرم لا يفارق عمه صالح بينما كريم بيده وملك التي تبدي اهتماما كبيرا بمساعدة غالية على الاهتمام بتوأمها وجميلة التي دخلت في شهرها التاسع وكانت والده طاهر لا تتركها ابدا وتسعى دائما الى راحتها حتى تكاد تكون لا تترك احد السيدات يقوم بفعل شئ بالبيت بينما تتساعد هي والرجال في بقية الاشياء المنزلية.

مر اكثر من شهر ونصف تقريبا منذ ولادة ملك .. والان صار الجميع في أنتظار جميلة وطفلها ايضا.. حتى جاء ذلك اليوم .. يوم ولادة ابن عمي الوحيد مراد طاهر عبدالله.

طااهر طااهر قوم بسرعة.

جميلة مالك؟

مش عارفه حاسه بوجع جامد اووي.. والنبي خليك معيا.

الاهدي بس حاسه بايه؟

مش عاارفه بط... ااااه طاهر الحقني.

شكلك بتولدي ولا ايه؟

مش عارفه وديني المستشفى بسررعة والنبى.

جميلة مالك؟؟ بتولدي ولا ايه؟

مش عارف يا امي شكلها كده..

طب يلا يلا بسرعة هات العربية وأنا هسندها معاك على بره..

طب و...

مش وقته دلوقتي قوم بسرعة الحق مراتك.

بالفعل كما صارت العادة الان اخذ طاهر زوجته سريعا متوجها الى المستشفى.. الفرق الوحيد هنا.. ان يحيى وصالح تأخروا قليلا على المجئ بسبب وجودهم على سطح المنزل بالمزرعة .. للأنتهاء من عدة اصلاحات .. حتى لمحتهم والدة طاهر بالاسفل فصارت تحثهم على النزول سريعا قائلة: ياااا صالح يااا يحيى الحقوا بسرعة..

خير يااا امي في حاجه ولا ايه؟

جميلة بتولد .. طاهر اخدها ع المستشفى بسرعة الجروا الحقوا .

ياااانهار أبيض حاضر حاضر.. ياااايحيى يا ابني تعالى بسرعة جميلة بتولد.

اااااه ... يلا يلا.

نزلوا سريعا حتى كادوا يخرجوا من البيت بملابسهم ملطخة.. حتى لاقتهم زوجاتهم سريعا فرجعوا للدخل في اقل من دقيقتين وانطلقوا في الطريق الى المشفى المعتادة...

كانوا طاهر وجميلة قد وصلوا مسبقا وبدات عملية وضع جميلة لطفلها.. مرت العملية على خير وانجبت جميلة وليدها .. الذي كانوا لم يتفقوا على اسمه بعد.. حتى نادى الطبيب طاهر واخبره انه يستطيع رؤية زوجته وابنه الان.. فدخل الغرفة ونظر الي جميلة أولا التي بالفعل كانت لا تزال غير واعية .. فقبل جبينها ونظر الى طفله الذي كان نائم بجانبها هو الاخر. اخذه بين يده وضمه اليه بشدة كأنه يريد تنفس نفس الهواء معه فقط. واذن في اذنه ثم قال ما لم يدركه من قبل: ما شاءالله ولا قوة الا بالله.. أخيرا يا حبيبي جيت ده أنا كنت مستنيك بقالي كتير أوي.. كنت حلمى الي مستني من حب حياتي .. مش عارف ازاى الايام عدت هوا كده .. بس عارف كله يهون عشانك يا ابني. كل التعب والخوف راح دلوقتي بس لما شفتك وضممتك لقلبي.. عشان كده هسميك... هسميك مراد. مراد طاهر عبد الله. ابن عمري وأول فرحتى.

في هذه اللحظة تماما فتحت جميلة عينها بينما كان طاهر يسمي وليده. فكان أول ماتسمعه حين ادركت نفسها هو اسم ابنها مراد.. فجاء ردها على الفور: حلو أووي الاسم يا طاهر.

ههههه حمد لله ع السلامة ياقلبي.. عامله ايه دلوقتي؟

الحمد لله .. ابننا كويس؟

كويس بس.. ده البطل بتاعنا ربنا يحمي.

هنسمي مراد؟

-ايه رايك؟؟ مش هو كان مرادنا الوحيد في الدنيا.

ايووه .. حبيبي شبهك خالص يا طاهر.

حبيبتني ده كله أنتي.. المهم انه منك انني وبس.

ظل طاهر مع زوجته وابنه بالمستشفى طوال اليوم .. نسي الدنيا وما فيها. وحين رجع يحيي وصالح الى البيت طمئنوا الجميع عليهم. واعطوا الخبر السار لوالدة طاهر بنفسهم بقدم حفيدها الأول والوحيد مراد طاهر.. التي لم تتمكن من كتم دموع فرحتها فصليت ركعتين شكرا وحمدا لله على فضله عليهم الذي من بيه على هذه العائلة الكبيرة الذي اكتملت الان بقدم أولادهم واحفادهم المنتظرين.

مرت عدة ايام حتى خرجت جميلة وابنها من المستشفى ورجعوا سويا الي المزرعة التي صارت الان ملاذهم الامن.. ومنفذ اصوات ضحكهم وبكاء اطفالهم الذي يعطيهم معنى الحياة جميعا. فدائما ما كان صوت بكاء طفل واحد منهم كافيا ان يبكي بقية الاطفال مما يصير ضحك ابائهم عليهم وعلى هذه الحالة التي وصلوا اليها. وهكذا انقضت ثلاثة اشهر كاملة بعد ولادة جميلة كان عمر وعليها ابناء يحيي وكريم ابن صالح ومراد ابن طاهر تمكنوا من تخطي شهورهم الأولى في الحياة. حتى أكرم صار مقربا اكثر فاكثر من الصغار جميعا كان بمثابة اخ كبير لهم حتى وان لم يدرك ذلك في هذه السن الصغيرة.. كان يهرع أولا عند بكاء احدا منهم. كان يضحك على ضحكهم وحيانا كثيرة يبكي على بكائهم ايضا.

مرت الشهور سريعا حتى نسوا انهم تركوا منزلهم جميعا واصبحوا يعيشون بالمزرعة الان. كأنها لم تكن فقط الملاذ بل صارت بيت عائلتهم الكبيرة. صاروا الرجال يذهبون الى اشغالهم صباحا بينما تظل النساء والاطفال بالمنزل. حتى اعتادوا جميعا العيش سويا بل ولم تمضي الايام غير بكل السعادة والمحبة بينهم. كان كلا يعرف حدوده. لم يتدخل احد بحياة الاخر ولا شئونه.. بل لم يزجج احد الاخر ابدأ. فقط اجتمعهم على الطعام اذا ارادوا التجمع جميعا. وقضائهم وقتهم مع أولادهم سويا وهكذا حتى مضى عاما كامل واكثر بقليل. فكانت بداية عام ١٩٩٣ هي الاحزن على الاطلاق. حين استقيظ الجميع ذلك اليوم على صرخة طاهر بغرفة والدته.. حين رائها ساكنة مكانها على مقعد صلاتها بعد الفجر ولا تحرك منطلق. فادرك ان امر الله قد نفذ في سلام تاما كما عاشت حياتها بينهم ايضا. فقط جلس

بجانبتها على الارض كما اعتاد ان يفعل معها.. واضعا رأسه على اقدامها لعله يخزن رائحتها داخله ولو لآخر مره.. فقط رحلت ام طاهر التي استطعت طوال حياتها الطيبة على الارض ان تمنح امومتها ليس فقط لولدها الوحيد أو زوجته ايضا. بل لجميع اقاربه واصدقائه الطيبين التي حبتهم سويا دون تفرقه عن ابنها. بل دائما سعت الى حسمهم على الصحيح وابقاء ذكرى طيبه بينهم جميعا.. حتى أولادهم صاروا بمثابة احفادها جميعا ولا فرق لهم عن مراد طاهر الذي اكتملت فرحتها حين رآته أول مره ولمسته بيدها واطمنت ان نسل ابنها لن يتوقف في الدنيا. بل انعم الله عليهم جميعا بروية ابن طاهر وجميلة بعد شوق طويل لهذة الروح الصغيرة.

انتهت الاجراءات سريعا ومضوا الرجال وطاهر في مقدمتهم لتوصيل والدته الى مساواها الأخير. بجانب حبيبها الوحيد عبدالله سليم زوجها ووالدها ابن عمرها طاهر.. الذي لم يبكي رثاء لامة طوال ثلاثة ايام كامله بعد ذلك اليوم ولكن كان بداخله متاكدا انها اصبحت الان في مكانا افضل بكثير مع أناسا افضل بكثير حتى منه هو شخصيا. كان يرمي نفسه بين يد الله سعيا وراء سكينته وتنفيذا لحديثها معه دائما. ان الله هو الذي يضع المأزق والمخرج وان لا مفر منه الا اليه ولا بد لك ان تعود اليه حتى قبل ان تدرك ان لا حل في الدنيا غيره. بل الله سبحانه وتعالى هو خير الملجاء والمنفذ اذا تعودت ان تدرك ان الله هو لذي يبسرلك الاخرين لمساعدتك وليس الاخرين هم من يساعدوك.

كان يتذكر حديثها دائما بينه وبين حاله. حتى حين ينظر لابنه وحيده مراد كان يرى فرحتها ودعائها لهم دائما بان يجعله خير الذرية وخير الابن مثلما كان أبيه لها في حياتها وحتى بعد مماتها.. كانوا البقية يحأولوا التخفيف عنه باي شكل. رغم حزنهم ايضا ووجعهم على فراق ام وكبيرتهم وبركة حياتهم كما يقول لها صالح دائما. حتى مرت ايام واسابيع هكذا لم يستطع طاهر الخروج من حزنه بشكل نهائي فقط يقضى وقته بين عمله وبيتهم واسرته الصغيرة واصدقائه المحيطون بيه دائما. لم يرد ترك المزرعة بعدها ابدأ.. قائلا انها اكثر مكان شهد على ضحكة والدته وطمننتها بينهم.. ولذلك لم يرد ايضا اصدقائه تركه ولا ترك المكان ابدأ..

كبروا الاطفال ايضا حتى اصبح عمر أكرم قرابة الاربع اعوام .. بينما عمر وعليا وكريم ومراد قرابة السننتين.

(٢)

الان مضت ستة اشهر كاملة على وفاة ام طاهر.. لم يتغير الحال كثيرا عليهم. فقط ضحكة طاهر الذي اصبحت باهته كثيرا والبقية الذين لم يعودوا بنفس حيويتهم ايضا بعد فقدان اعز عزيز عليهم جميعا.. حتى جاء ذلك اليوم الذي غير الكثير بعده بحياة صالح وملك أولا ثم البقية ثانيا.. حين استقيظت ملك يوما ما على اخر شئ كانت تنتظر حدوثه بعد ولادة ابنها كريم. ادركت لحظتها ان حياتها سوف تتغير للابد بعد ذلك اليوم حين حملت نتيجة تحليلها الأخير بيدها في غرفتها بالمزرعة بعدما رجعت من موعدها المعتاد مع طبيبها الذي لم تخبر صالح بملازمتها به لاكثر من سنة ..

كانت قد قررت رؤية نتيجة ذلك التحليل بالبيت ايضا.. بعدما شعرت انه يحمل شيئا سوف يغير حياتها بعده.. وبالفعل قد كان .. حين بدأت قراءة ما فى ادركت انها الان اصبحت...

!!!! أنا حامل...

رجعت بذاكرتها سريعا الى وقت بعد ولادة ابنها كريم فقط باسبوعين.. حين ذهبت للمعاينة المعتادة مع طبيبها الذي فضل تركها اسبوعين للراحة والاعتناء بابنها. ومعاودة رؤيتها بعد ذلك للاطمئنان على سريان نشاط قلبها.. الذي شهدت عميلة ولادتها الأولى بعد الصعوبات بسبب ضعف عضلة قلبها الذي وان كان في بداية نشاطه ولكنه حذرنا من هذه الاثار الجانبية الذي قد تواجهها باي وقتا كان خاصة بعد ولادتها- ان مضت على خير- كانت قد حاولت التهرب من مجئ صالح معها هذا الموعد مخافة ان يتحدث الطبيب الان امامه بموضوع مرضها.. ولكنه لم يفتنع ابدا لتركها هي والصغير الذهاب وخدمهم ابدا.. فقط لم تنفع حججها معه. توكلت على ربها وذهبوا سويا الى الطبيب..

صباح الخير يا دكتور.

!!!! صباح الخير يا استاذ صالح ازاي حضرتك؟

الحمدلله شكرا لحضرتك.

مدام ملك عاملة ايه دلوقتي؟؟ والصغير كمان؟

!!!! الحمدلله يا دكتور كويسين .. لسه الجرح تعني شوية بس.

طبيعي يا مدام ملك متقلقيش .. كنت قلت لحضرتك علة التوابع دي.

!!!! صالح اصر يجي عشان يطمئن من حضرتك بردوه... على الجرح يعني وعلى كريم بردوه.

ااه اهلا طبعا .. اتفضلوا...

دكتور هو كريم كويس مش كده؟؟ وملك كمان خلاص وشها مش هيبقى مصفر كده تاني؟

متقلّش يا استاذ صالح .. كل شئ تمام باذن الله... الحقيقة بس محتاجين من حضرتك حاجه كده؟! كده!

ااه طبعا اتفضل..

حضرتك هتفضل مع الممرضة دلوقتي .. نعمل تحليل صغير منه نضمن على نسب حضرتك والطفل بردوه ونشوف مدى امكانيات نقل جينات خطيرة أو حاجه.

... اااا في خطورة على حياته ولا ايه؟؟ قولي يا دكتور من فضلك.

لا لا ابدأ متقلّش خالص.. احنا كنا عاملنا التحليل ده لمدام ملك بردوه قبل خروجها على طول.. بس لازم نضمن من طرف الاب بردوه.. مش كده يا مدام ملك؟

اااا ايوه بالظبط.. كانت الممرضة قالتلي حاجه كده ساعتها فعلا.

... تمام تمام.. مفيش مشكلة المهم بيقوا بخير.

متقلّش حضرتك.. احنا موجودين لاي ظرف.

شااa

نادى الطبيب على احدى الممرضات لآخذ صالح للحصول على عينة دم منه.. بينما بقيت ملك والصغير بالرفة.. حيث تسنت الفرصة أخيرا للطبيب للتحدث ...

دكتور هو ايه التحليل الي حضرتك بتقول عليه ده؟؟

متقلّش يا مدام ملك.. أنا لحظت ان حضرتك مش عايزنا نتكلم قدام استاذ صالح بردوه.. خرجته بحجة بس متقلّش.. هناخد منه عينة دم صغيرة نعملها فحص شامل مش اكرر.

اااa

مدام ملك أنا فاهم رغبتك كويس.. رغم عدم موافقتي عليها طبعا.. بس دي حرية المريض الي بتبقى جزء من قسمنا بردوه.

يا دكتور حضرتك مش عارف لو صالح عرف تحت اي ظرف ان فيا حاجه ولو صغيرة ممكن يعمل ايه.. حضرتك مشفتش فرحته ازاي بالولد و اهتمامه بيا طول الشهور الي فاتت .. تخيل مدى المه بس لو عرف ان كل ده كنت على محك الموت تقريبا.

أنا مقدر طبعا.. وحضرتك ادري. عشان كده طلبت من حضرتك المتابعة بعد الولادة على طول ان شاء الله .. عشان يعني لازم نط احتمالات مواجهة اي مضاعفات ممكن تحصل من دلوقتي.. بما ان الولادة عدت على خير الحمدلله.

هو فعلا حضرتك عدت على خير؟ يعني صالح قالي ان العملية طولت شوية.. هل ده فعلا بسبب انها جراحة يعني ولا؟؟

ان شاءالله بعد ثلاث ايام كده. بس متقلقيش خالص.. مش لازم تيجوا مخصوص ابدا أنا
هتواصل مع حضرتك على طول يا استاذ صالح لو لا قدر الله في حاجه.. غير كده اشوفكم
ان شاءالله المعاينة الجاية بعد اسبوعين بردوه.

تمام تمام يا دكتور.. شكرا لحضرتك مرة ثانية.

العفو يا فندم.. نورتونا.

مرت الذكرى على رأس ملك كأنها البارحة تماما.. تذكرت كيف حذرنا الطبيب من
فرص الحمل مرة اخرى .. ومدى خطورة ذلك عليها وعلى طفلها القادم تحت اي ظرف..
لذلك جلست مكانها على سريرها محاولا ادراك ما اصبح امرا واقعيا الان بين يدها.. انها
بالفعل اصبحت حامل وفي مدة اقل من سنتين بقليل بعد ولادتها الأولى.

كانت ملك قد دوامت بشكلا ما على متابعتها مع طبيبيها. كانت تذهب اليه اثناء غياب
صالح في عمله وتعود مرة اخرى الى المزرعة. واذا صادفت احدي اصدقائها مستقظين في
عودتها كانت تخبرهم انها تذهب للتمشية حول المزرعة بالطفل حتى يستفيد باشعة الشمس
الصباحية قليلا. وان كان تم سؤالها مرة واحدة من قبل غالية الا انها لم تعاود سؤالها مرة
اخرى ابدا.

وهكذا حتى مر كل ذلك الوقت.. الا ان وصلوا الى هذا اليوم.. الذي عجزت فيه عن
الرد والتفكير حين علمت بامرها .. كان اكثر ما يشغل بالها هو صالح وطفلها الذي يكاد
يكون لم يعد وحيدا الان. ماذا سوف تقول له الان؟ ماذا سوف تفعل اذا بالفعل وجهت
خطورة اثناء الحمل؟ كيف لها ان تهتم بذلك الحمل الان ؟ وماذا ينتظرها بعد هذا
اليوم الان؟؟

... اليوه صح .. اكيد صح.

ادركت ملك ما كانت تحأول فعله منذ قليل .. وانها لن تستطيع البقاء بين عدم بوحها لصالح بمرضاها و عدم رغبتها باستمرار ذهابها للطبيب وحدها بعد الان.. فقط اختارت الثانية وانها لا شئ بوسعها الان سوى أنتظار رأي الطبيب فيما جرى ومدى احتياجها لصالح الان ودائما.

بعد ما يقرب من ساعة تمكنوا من الذهاب الى الطبيب أخيرا . الذي لم يستطع صالح كتم فرحته امامه قائلا: يااا دكتور في احتمال ان ملك حامل!!

ااا مبروووك مبروووك يا استاذ صالح على خير يااارب.

اثناء محاولة الطبيب كتم اندهشه الان بوجه صالح.. شعرت ملك ايضا ببعده الدوار بجانبه .. حتى لم تستطع كتمه فقالت لصالح: ااه راسي بتلف بيا شوية يا صالح.. معلش لو سمحت ممكن تجييلي مياة بس من بره؟

حبيبييتي عيوني حاضر.. هجيبلك حاجه سريعه كمان ثانية واحدة.. بعد انك يادكتور..

اتفضل اتفضل يا استاذ صالح.. أنا هشوف ضغطها حالا بردوه.

تمام ياريت...

خرج صالح مسرعا من غرفة الطبيب.. تاركا ملك ورائه التي تطلعت فورا باتجاه الباب خلف زوجها .. التي تجمعت بداخلها عدة مشاعر الان أولها كان الغضب من حالها على ما حدث.

ااا أنا كويسه يا دكتور.. بس عاملت كده عشان يخرج شويه.

مدااام ملك أنتي...

ايوه يا دكتور.. التحليل الأخير بين كده... ايه الوضع دلوقتي؟؟

أنا مش عارف اقول لحضرتك ايه حقيقي.. الوضع دلوقتي اختلف تماما..

دكتور من فضلك قولي الحقيقه.. خلال السننتين دول تقريبا حصلش اي تحسن يخلي الفرصة دي تستمر على خير؟؟

مع الاسف يا مدام ملك.. كنت قلت لحضرتك قبل كده .. اي اجهاد زيادة هيودي حضرتك في حنة تانيه خالص.. احنا كنا بنحأول نصمد بس الوقت الي فات ده. انما الحمل دلوقتي.. وفي المرحلة دي من الحالة غير مجزى تماما لحضرتك.

صممت ملك محاولة استيعاب ما سمعته الان من طبييها.. واثناء محأولاتها مسح دموعها قالت: يعني مفيش اي امل؟

مدام ملك.. املنا الوحيد دلوقتي هو سلمتك أنتي.. عشان كده لو لازم نفكر في حاجه دلوقتي.. هي قرارك أنتي بردوه.. هل يستمر الحمل ده ولا لا؟؟ وطبعاً مش محتاج أوضح لحضرتك رأي الطب والصح المفروغ منه في حالتك دي دلوقتي.

يعني مطلوب مني دلوقتي اختر بين حياة ابني وحياتي؟؟!

لا يا مدام ملك من فضلك.. حضرتك بتختاري حياتك أنتي في المقام الأول.. تفتكري لو حضرتك مش كويسه أو صحتك مش سليمة هيبقى في فرصة لحصول الحمل ده اصلاً؟؟! يبقى الطبيعي الأولوية بتكون للام. عشان كده بأكد على حضرتك مرة تانيه حياتك دلوقتي اهم من اي حاجه تانيه.

... حضرتك مش فاهمني.. بقولك أنا حامل حامل.. عارف ده معنى ايه؟؟ جوايا في بني ادم بيتخلق دلوقتي. جوايا حتى من جوزي وحب عمري كله. جوايا اخ ولا اخت لابني الي ممكن ميبقاش وحيد في حياته ابد بعد كده.. أنا... يمكن دي تكون فرصتي الأخيرة عشان صالح يبقى الاب للبننت الي اتمنها طول حياته.

... مدام ملك أنا مدرك الي حضرتك بتقولي طبعاً وحقك اكيد.. اي ام في مكانك بتفكر كده.. بس هو ده بالظبط الي لازم تفكري فيه.. انك ام وبس.. متنسيش الطفل الي حضنك ده محتاجك أنتي جمبه مش اخته ولا اخوه الي مجوش الدنيا لسه.. زوج حضرتك الي لسه لحد دلوقتي مش عارف اي حاجه حصلت وبتحصل معاكي.. هيبقى ايه وضعه لما يعرف انه فجأة ممكن يخسر مراته وطفله الثاني مع بعض؟ صدقني يا مدام ملك الوضع دلوقتي اكبر من كل الاحتمالات التانيه.. حياتك هي الأولى صدقني.

... أنا... مش عارفه افكر ولا اعمل اي حاجه دلوقتي.. حضرتك تعرف اني عرفت الموضوع بقالي اربع ايام.. اربع ايام قافلة على نفسي وابني مش عارفه اتكلم مع حد ولا عارفه ابص في عين حد.. عايلتي في البيت وجوزي لما يسألوني كان فيكي ايه اقولهم ايه دلوقتي بس؟

الله يكون في العون يا مدام ملك بجد.. أنا مقدر خوفك وحقيقي مديكي كل الحق.. بس زي ما حضرتك قلتي تمام.. احنا في الدنيا دي مش لوحدها ابداء. ورأنا عايلة واصحاب ناس بتحبنا بجد. اكيد لازم نفكر في دول كمان قبل م ناخذ اي قرار يأذينا أو يأذي الي حوالنا مش كده..

قرار ايه ده الي ممكن يأذنا يا دكتور؟؟

جاء صوت صالح من الباب حين دخل الغرفة فجأة اثناء حديث الطبيب جملته الأخيرة لملك.. وقف يحمل الطعام والماء بيده.. محاولاً فهم يا يحدث الان بالفعل امامه...

ملك.. قرار ايه ده الي ممكن يأذينا.

... صالح لو سمحت...

استاذ صالح اتفضل استريح.. ممكن تسمع من مدام ملك دقية بالظبط.

ملك في ايه؟؟ فهموني أنا حاسس من قبل ما نيحي.

نظر صالح الي الطبيب كأنه يحثه على تأكيد ما يقوله الان بالفعل حتى وان كان غير صحيح قليلا.. ولكن على الفور ادرك الطبيب ما يحأول هذا الزوج الحنون فعله لزوجته الان.. وان لا يدرك ما تعاني بداخلها الان.

بالظبط يا استاذ صالح.. متقلقيش خالص يا مدام ملك كله هيبقى احسن ان شاءالله.

ان شاءالله ... صاالح خدني من هنا خلينا نرجع بيتنا بسرعة.

عيوني.. يلا يا حبيبتي.

اخذ صالح بيد ملك وهو يقبلها.. وخرج من غرفة الطبيب والمستشفى كلها.. ممسكين بيد بعضهم بقوة حاملين طفلهم وفرحتهم الأولى بين يديهم.. وحاملة بفرحتها الثانية ايضا. التي ادركت انها سوف تكون بنت منذ وضعت يدها على بطنها الان على الفور.

حين رجعوا الي المزرعة ظلت ملك داخل السيارة قليلا.. تطلع الي مبنى المزرعة تنتظر واذ بصوت غالية تنادي ابنها أكرم يأتي من الداخل وضحك جميلة يأتي خلفهم حتى طاهر كان قد ابتسم قليلا حين شهد حركة مراد الجديدة الذي صار يفعلها كثيرا مؤاخرا. بينما يحيي كان يسقى نبتة ام طاهر الذي كانت قد زرعتها من قبل لتبقى ذكرى طيب تحأوطهم بعدها.. اخذ صالح ابنه كريم من اريكة السيارة للنزول بيه.. بينما تطلع الي ملك بجانبه ليشهدها تبتسم على ما تشاهده امامها الان.. فقال لها بعدما اخذ بكف يدها فورا ليقبله:

الجميل سرحان كده ليه؟؟

بقي عندنا ذكريات كثيرة حلوة هنا يا صالح مش كده؟

ياااه ده احنا شفنا ايام.. معقوله حد يصدق ان عدى علينا يجي سنتين تقريبا. هنا مع بعض كلنا.

كنا مبسوطين أووي صح؟

طبعا ومازلنا الحمدلله. ولسه يا قلبي هتشوفي ربنا هيفرحنا كلنا ويعوضنا خير في الي جاي ازاي.

تطلع الجميع ببعضهم بينما وقفت جميلة وغالية للانتباه الى ما تقوله ملك..
ليه بس؟ لو حابه تتكلمي مع غالية ولا جميلة لوحدكوا. اتفضلوا براحتكوا خاالص.
هههههه لا لا ابدأ أنتوا اخواتي.. معقوله اخبي عنكوا. بس اصل الوضع رخم بالنسبه لي
بردوه.. أنت عارف غلاوة والدتك عندي ازاي..

مالك يا ملك .. قولي ياا حبيبي براحتك؟؟

الحقيقه يا بنات و طاهر ويحيي كمان.. أناااا أنا حامل.

تفاجئ الجميع بهذا الخبر السعيد فرحين بما سمعوا حتى ضموا الفتيات ملك اليهم سريعا
مباركين اليها.. بينما وقف طاهر قليلا يتطلع الى صالح الذي كان من المفترض ان يرقص
فرحا الان حتى يحيي ادرك الامر فوقوا سويا قليلا مرتين على كتف صديقهم صالح.
محاولين فهم ردة فعله الغريبة هذة وهذا الصمت والقلق الشديد المحأطين به.

مبرووووك يا ملوكة الف مبروك يا حبيبي..

معقولة ده خبر تحرجي منه؟! ربنا يتمهلك على خير يا حبيبي يارب.

اااااا مبروك يا ملك الف مبروج يا صاحبي ربنا يكرمكم يارب ويجيبه بالسلامة.

الله يبارك فيك يا يحيي.. ويبارك فيكوا كلكوا يا بنات.. تسلمولي بجد.

اااااا مبروك يا صالح.. معقوله الخبر عامل فيك كده؟

ههههههههه أنتوا عارفين صالح بيتخض ازاي؟؟ اااا خلي معكم هنا يا طاهر أنت ويحيي
بقه أنا عايزة ادخل ارتح شويه.

اااااا طبعا طبعا.. هو هيروح فين يعني.

اتفضلي أنتي يا ملك براحتك سيبنا كريم بردوه وصالح احنا هنتصرف سوا متقلقيش.

ربنا يخليكوا ليا يارب.. معلش يا بنات عن اذنكوا شوية...

ذهبت ملك باتجاه غرفتها بعدما حاولت افلت يديها من يد صالح قليلا حين اشارت له
بعينها ان كل شئ على مايرام.. وانها ستكون بجانبه فقط بالغرفة المجاورة له.. بينما ذهبت
الفتيات خلفها قليلا لعلهم يساعدها في شيئا ما وتركوها عند باب غرفتها.. بقى الرجال
يتطلعون ببعضهم قليلا .. حتى اخذوا صالح سويا للذهاب الى مقعد الحديقة الخلفية للمزرعة.

صالح أنت كويس؟؟ ساكت كده ليه؟ حصل حاجه في المستشفى صح؟

صالح أنت عارف تقدر تتكلم معنا اي وقت؟ قول متخافش.

... ملك ... ملك بتضيع مني يا صاحبي.

قال صالح جملته بينما ارتمى على كتف اصدقائه سويا يبكي بكاء صغيره. بكى كما لم يبكي من قبل.. كأنه كتم بكائه كله حتى يخرجوا من المستشفى سويا. مضت دقائق وصالح يحكي لهم عن قلقه السابق اثناء حمل ملك الأول وشعوره الدائم بانها تخفي عنه شيئا خاصة حين يتعلق الامر بأولادهم.

اثناء ذلك كانوا طاهر ويحيي يستمعوا له فقط.. حتى يتمكن من الحديث واخراج كل ما يشغل عقله بالفعل. حتى افاض ما بداخله. علق طاهر قائلا: يا حول الله يارب .. بس مفيش حاجه اكيده مش كده؟؟ يعني طول المدة ديلا الدكتور بيقول حاجه ولا هي قالتك حاجه مش كده؟

يعني يا صالح يا اخويا أنا مقدر خوفك ده والله.. بس ليه بردوه لازم نكون متفائلين مادام مفيش حاجه غير كده في ايدنا.

بالظبط يحيي معه حق.. يعني أنت خايف عليهم بزيادة والاجواء متوترة اصلا. بعدالشر يعني طب هي ليه تخبي عنك كل ده لو في حاجه؟

... عشان... عشان هي كمان خايفة عليا. ملك مبتحبش تقلقتني عليها في حاجه. يمكن حاسة اني مش هفهم يمكن حاسة اني مش هعرف اتصرف.. معرفش معرفش حاجه خالص.

يا حول الله يارب.. متقولش كده يابني. هو أنت عيل صغير يعني بالعكس أنت عارف ملك شايك ازاى وأنت عندها ايه.. اكيد كل ده من حبها فيك اصلا. هو أنا الي هقولك يعني.

أنا مش فاهم اي حاجه دلوقتي غير اني بقيت متأكد خلاص انها مخبية حاجه عني.. متأكد من كده.

يابني أنت كده هتجنن. ارجوك يا صالح حاول تهدى شوية. اقولك على حاجه سيب الدنيا تمشي زي ما هي كده. بص صدقني لو في حاجه مستخبية هتظهر مع الوقت. بس مادام مفيش يبقى مينفعش تعذب نفسك وتوترها كده معاك بردوه. دي حامل يابني

صالح.. سيبها على ربنا واتفائل خير لو سمحت ربنا مش هيعمل حاجه وحشة ابدًا. خليك واثق من كده.

يارب يا جماعه بجد ياالرب.

حاول صالح ادارك ما يقولوا اصدقائه قليلا وان كان الامر صعبا بسبب انشغال كل تفكيره بما يحدث وحدث من قبل. حتى فكرة ان الامر طبيعيا بسبب طبيعة ملك الحساسة صار بمثابة عبث بالنسبة له . لانه يعرف تماما متى تكون ملك على طبيعتها ومتى تكون منفعة جديا بسبب امرا ما.

رغم ذلك حاول في الايام التالية ان يحافظ على هدوئه وثباته امامها لما في من فائدة لها خاصة في فترة الحمل الأولى هذه. الامر الذي اخذ حيز تفكير من الجميع الان وادخل سعادة كبيرة على قلوبهم جميعا بعد فترة طويلة من الغرق في التعاسة والحزن بعد فقدان والدة طاهر.. صارت تمر الايام بشكل اسرع الان. كلا لديه شيئا يشغله. يحيي وغالية مع أولادهم. طاهر وجميلة مع مراد. صالح الذي اصبح بمثابة حارس لملك لا يتركها ولو لثانية واحدة بمجرد عودته من العمل حتى نومهم مساء. حتى اهتمامه بولده اصبح اكبر بكثير. كان لا يتعب ملك في شيئا على الاطلاق. يفعل كل ما يجب فعله بنفسه.. يهتم بيها وبابنهم كريم بشكلا كبير. حتى صار الاعتقاد انه يحب فعل ذلك من قلبه حقيقة وليس فقط لراحة ملك والتخفيف عنها قليلا..

مرت الشهور الأولى على الخير كانت ملك تذهب للمتابعات المعتادة في موعدها حيث كان صالح لا يتركها ابدا. بينما لم يحظى الطبيب بفرصة ابدا لتحدث معها في امر تعبها. الامر الذي جعله اكثر من مره على وشك التحدث امام صالح في الامر. ولكنه كان يتراجع في اخر لحظة. حتى لا يسبب مشكلة لمرضيته وايض حين شعر اكثر من مره ان ملك تنهى اللقاء سريعا بحجة انها تريد بعض الراحة وايضا بان ولدها يحتاج شيئا ما الان..

مضت اربعة اشهر كاملة من مدة حمل ملك .. لم يختلف الحال ابدا عما كان يسير عليه من قبل.. فقط شيئا واحدا وهو ان صحة ملك اصبحت ضعيفة بعض الشيء.. اصبحت لا تحتاج لبذل مجهود مثل صعود السلم أو المشي حتى تتعب. بل كانت في كثير من الاحيان تعثرها ضيقة في التنفس أو خفقان شديد حتى اثناء جلوسها. الامر الذي لفت أنباه بعضهم.. واصبح جزءا من يوم غالية وجميلة ان يطمئنوا على جريان الامر لديها هكذا.. ومع مرور الوقت صار الامر ملفتا اكثر فاكثر بسبب شدة الالم الذي تجتاحها حتى اثناء نومها في بعض الليالي.

ملك أنتي كويسه؟

اااا بأول اتنفس بس .. تمام تمام.

أنا شايقة الموضوع ده بيتكرر معاكي كتير أوي. مش بتسألني دكتورك على اسبابه.

اااااا قتلته طبعا.. حتى صالح مش بيديني فرصة اخبي حاجه اصلا. بيقوله دي فيها كذا وكذا من أول ما بندخل..

عنده حق الصراحة خايف عليكى بردوه.. أنتي وشك بيصفر يوم عن يوم اصلا.

الحمل بقه أنتي عارفه بيعمل اكثر من كده.

اااا ايوه صح.. أكرم بردوه كان تعبني شويه كده... بس ملك عايزة اقولك على حاجه.. أنتي عارفه انك اختي يعني.. تقدري تقولي لي اي حاجه في اي وقت اصلا أنتي عارفه كده صح؟

ياحبيبي لا.. وهي الارملة مش ست يعني.. بس افهم.. ايه الي وصل الدنيا لكده؟؟

بصي يا ستي.. فاكرة الرجل الي كنت قتلتك مسؤول عندنا في الموقع عن نقل الاساسات وكده.. الراجل ده اتوفى من سنتين.. بعيدا عن ظروف وفاته يعني.. بس الست دي تبقى اخته الوحيدة بقه جات الشركة اكثر من مره بعدها بتدور عن مستحقته وكده.. كلمة في التانيه فهمت ان في واحد حيوان كده بيوقفها في الورق عشان معندوش ضمير عايز منها حاجه.. المهم كنت أنا اساسا متابع الموضوع ده يعني عارف المرحوم اخوها وعزيز عليا بصراحة.. كمان لاقيتها ست لوحدها كده وشايلة بنتها على ايدها.. ورغم كده سبحان الله كان ربنا رايد ان كل مره تيجي الشركة اقابلها أنا الأول وبعدين صدفت مرتين كده اني اكون قريب من أوضة الراجل الحيوان ده.. قمت في مره كده سمعته بيعاكسها بزيادة شوية.. وهي يا عيني تقأومه وتعلي صوتها.. وهو لا الهوا.. قمت يا غالية ملقتيش نفسي غير داخل عليه الأوضة بزقق ويا دوبك لاحق نفسي بالعافية اني مضربوهش لاقيته بيبجح وأنت مين وصفتك ايه.. لاقيتني بقوله أنا جوزها عايز حاجه..

هوب الراجل نزل عليه سهم الله.. طب ازاي يا استاذ وحقك عليا يا استاذ.. قتلته خليك في حالك لسه عرسان جداد ومقولنش ليك فيه. قمت خدتها من الأوضة ودخلت المكتب عندي وهي منهارة يا عيني.. لاقيتها بتشكرني وكتر خيرك وبتاع.. عينها خطفني خطف يا غالية والله.. ملقتش نفسي غير بقولها وتعذري ليه؟ ما نخليها حقيقة ونتجوز فعلا. منفهميش بقه قالت عليا مجنون ولا ايه.. بس حقيقي الي شفته في عينها ساعتها طمني أوي.. ع الاقل انها مش شايفني زي الحيوان ده مثلا بقول كده عشان اغراض دنيئه في نفسي. بس يا ستي بعدها بيومين كده لاقيت الكلب ده بيخلص كل الورق والدنيا مشيت.. قمت بعثها الورق ع البيت مع بوكية ورد محترم كده.. وكارت بقولها في اني بعذر لو اتخطت حدودي.. بس أنا حابب اساعدك واكون معاكي في الغربة واني أنا كمان وحيد.. ويمكن ربنا عمل كل الترتيب ده بس عشان نتقابل.. لو راضية بيا ع الاقل كفرصة هستناكي في المكان الفلاني. وبس يا ستي جات فعلا.. لما جت حست فعلا انها بتدور على امان والغريبة ان كان في عينها نفس نظرة الامتنان بتاعة الصبح.. يعني لا كانت خايفة مني ولا مجبرة عشان تنقذ نفسها فاهمه.. عشان كده أول ما قعدت قدامي قتلها اني عايز اتجوزها على سنة الله ورسوله فوراً.. وعارف انها عندها بنوثة عمرها سنتين ونص وانها اترملت في سن صغير ولولا سفرها مع اخوها وقعدتهم في السعودية يمكن كانت اتشردت من زمان.. عشان كده أنا راضي بكل ده وموافق على كل شروطها.. ومش بس هكون اب لبنتها.. دي هتكون في ولايتي ورعايتي حتى بعد موتي.

بعد الشر عنك متقولش كده...

حبيبتي تسلمي.. وبس يا ستي كتبنا كتابنا ثاني يوم على طول وقعدنا في بيتي..
مكديش عليك في الأول محبتش اطفال عليها ابدأ.. ليها أوضتها وليها خصوصتها. مع
الوقت خدنا على بعض وفهمت اني مش مؤذي.. بقيت احس ان مع الوقت بقى بينا حاجة
اكبر من الحب بكثير.. مش مجرد اني مسؤول عنها وحاسس ان لها حق عندي. بس بروده
فكرة انها تكون مطمئنة لمجرد وجودي في البيت. متعرفيش الشعور ده عمل فيا ايه.. مع
الوقت بقيت احب ارجع البيت بس عشان اشوفهم واقعد معهم. نتكلم في اي حاجه في الدنيا.
متعرفيش ازاى عدت سنة بسرعة يا غالية. كنت حاسس نفسي ناسي الدنيا ب الي فيها والله.
بعدها بقينا واحد بجد. حسيت ان الدنيا مش ساعني لسه ربنا مكتبلناش ان يكون بينا اخ ولا
اخت لريم بنتها بس حقيقي ربنا رزقني بنعمة اكبر مما كنت احلم والله.
يااااا يا الأكرم.. عينيك منورة أوي وأنت بتتكلم عنها.

بجد ياغالية أنا بقيت احسن كثير بعض وجودهم في حياتي.. عارفه يمكن أول مره
اقولك الكلام ده. بس طول عمري كنت بحس اني مديون أنتي شاييتي البيت على كتفك بعد
ماما الله يرحمها وأنا وبابا اتلهينا في الشغل. حتى لما ماتت افتكرت ان حملك هيخف لكن
الحقيقة ان حملك زاد .. حتى بعد ما اتجوزتي يحيي كنتي بتفكري فيا دايمًا. عشان كده أول
ما جاتلي فرصة السفر والاستقرار بره مرفضتش .. اتعاقبت ببعدني عنك اه.. بس الحقيقة
اني كان عمي بس انك تعرفي تعيشي من غير ما تفكري فيا الأول بس. عارف انك ممكن
تزعلي مني بس دي الحقيقة. مش بس عشان أنتي اختي الصغيرة بس ده أنتي سميتي ابنك
على اسمي كمان. كأنك بتقوليلي شوف أنت معيا حتى ولو بعيد.. بس دلوقتي بقت احس
حاجه ثانيه خالص. كأنني فهمت دلوقتي أنا عايش ليه .. فهمت ان ربنا اداني العمر عشان في
ناس تانية كمان محتاجني. يمكن كل ده حصل بس عشان افهم انك شيلتي همي كمان عشان
بتحبنى مش كنت حمل عليك زي ما كنت فاكر الأول. عشت سنين وأنا فاكر اني تعبك معيا
. لكن دلوقتي لما بقيت في مكانك وشايل هم فاطمة وبناتها وبقوا جزء مني .. فهمت ان حبك
لحد بيخليك عايز تشيله من ع الارض شيل. مش بس تفكر فيه. بتبقى مش عايز حاجه بس
اكثر من ضحكته وامانه. وأنتي عاملتي كده معيا بالظبط يا غالية. عارفة أنا فهمتك اكثر لما
فاطمه بقت في حياتي.

لم تتمكن غالية من حبس دموعها اكثر.. التي اجتاحتها بسبب امتنان اخوها لها
وشعورها ان رحلتهم سويا لم تكن مشقة على الاطلاق . بل كانت محبتهم وارتبطتهم سويا
هو ما يهون عليهم كل ما مروا بيه.

لا ما أنا مش بحكيك ده كله عشان تعيطي كده.. معقولة ابكيكي من أول يوم.

ايوه بعد اربع ايام كده .. بس مش كتير هخلي طرفي هناك. واجيبهم واجي.. عشان كده عايز استغل اليومين دول كده في تجهيز الشقة وتنظيفها.. ولما هما يجوا بقه يختاروا الحاجات الي عايزنها.

بس مش هتغير مكانك صح؟؟ هتفضل في شقتنا القديمة.

ياالحيبتي ما هو دي شقة العايلة بردوه يعني تخصك زي.. عشان كده هشوف شقة تانية قريبة بردوه ودي تفضل بحالها كده.

أنت بتهزر صح؟؟

غالية.. أنتي عارفة رايي في الموضوع ده.. خلينا زي مالنا وكده اريحلي والله.. أنا بكره ان شاءالله هشوف يحيي كده يساعدي وندور على حاجه صغيرة يعني.

وهو يحيي هيستناك يابني أنت؟؟

اااهلا تعالى يابني فينك كل ده؟؟

مأنا قلت اسبيكم تحلوا الشوق ده شوية كده.. أنا عارف غالية مش هتحلك لحد ما تظمن منك خالص.

يحيي.. أنت كنت عارف ان أكرم متجوز من بدري مش كده؟

ااااحم أنت لاحقت تعترف.

يعني كنت عارف؟؟

ياالحيبتي صاحب الشأن قالي متقولش اتكلم أنا بقه على اي اساس. وبعدين أنا عارف بقالي سنة بس.. انما هو عملها بقله سنتين مش كده يا افندي.

أنا مش مصدقوا بجد!!

حبيبي .. في الأول والآخر هو صاحب القرار ومعملش حاجه غلط يعني.. بالعكس. وبعدين الراجل لحد اخر لحظة كان عايزك تعرفي منه هو. اقوم اجي أنا وابوظ الدنيا يعني.

غالية أنا فعلا قلت ليحيي يوم كتب الكتاب اصلا.. وهو مشكور مسألش في تفاصيل اصلا. بس كان لازم اقله يعني .. بس وامأنته امانة انه ميقولكيش خالص لحد اما أنا اجي واقولك بنفسي. وبصراحة هو صان الامانة أوي.

حبيبي يا اكرام.

وقفت غالية تنظر لهم في تعجب وهم يضحكون ويضربوا كفهم ببعضهم.. حيث ظلوا ثواني يضحكون على صدمتها بهم. لذلك اقبلوا عليها سويا يقبلوا يدها ورأسها ساعين لتسامحها معهم.

خلااااص أنت وهو سيونى.. تيجي بس مرات اخويا بالسلامة وأول حاجه هتعرفها انها لازم تاخذ بالها منكوا أنتوا الاتنين اصلا.

بعد اربعة ايام رجع أكرم الى السعودية لاحضار زوجته فاطمة وابنتهما. فاطمة التي اعترتها فرحة كبيرة عندما طمئننها أكرم بان اخته وزوجها ليس لديهم اي مشكلة مع وضعها أو ظروف زواجهم. بعدما كادت ان تجن بسبب اضطرابها لرغبة أكرم للرجوع والاستقرار بمصر مع اهله. ليس فقط بسبب خوفها على ابنتها ان علم اهل زوجها المرحوم انها تزوجت . بل ايضا لعدم معرفتها ان كانت سوف تقبل بين اهل أكرم ام لا.. بعدما صارت على علم بان عائلته لم تكن عبارة عن غالية اخته وزوجها يحيي فقط . بل وهناك اصدقائهم ورفقاء دريهم ايضا. صالح و طاهر وزوجاتهم والان صاروا أولادهم ايضا.

مضى اسبوع كاملا على عودة أكرم وزوجته فاطمة وابنتها ريم. فبمجرد وصولهم تعرفت الى غالية وبقيّة السيدات الذين حرصوا بشدة على عدم شعورها بالعزلة ابدأ بينهم .. بل العكس تماما صاروا مقربين اكثر وتعاملوا معها بمثابة اخت جديدة لهم.. حتى ان خوفها الشديد وقلقها السابق كاد ان يختفي تماما. ولكنها ارادت ايضا ان تتوخي الحذر حتى لا تتخطى حدود احديهما بالقوة.

الان صاروا جميعا سويا غالية التي اطمئن قلبها أخيرا من ناحية أخيها واستقراره وجميلة التي تهتم بزوجها وابنها الوحيد وملك التي على وشك ان تصبح ام للمرة الثانية رغم كل تعبها وصعوبة وضعها الان.. الشئ الذي جعل طبييها يصر على التحدث اليها بشكل سريع حتى يخبرها بالتطورات الجديدة. مما دعا للمرة الثانية ان تذهب الى الموعد اثناء غياب صالح في عمله ولكنها هذه المرة طلبت من غالية ان تأتي معها.

مدام ملك حضرتك دلوقتي في شهرك السادس.. الحقيقة الوضع مش مبشر خالص.

أنا عارفه يا دكتور كل مره كنت باجي المتابعة هنا. بفهم من تعبيرات حضرتك ان الوضع سئ للدرجة دي.

مع الاسف اكيد اي دكتور في الدنيا صعب عليه يواجه مريضه انه ناقصه ايام ولا حتى شهور.. بس وضع حضرتك الحالي يستدعيني لكده.

اتكلم يا دكتور مفيش مشكلة.. أنا جايه وعارفه اني ممكن اسمع الاسوء.

... الحقيقة يا مدام ملك.. قلبك مش مستحمل خالص الضغط الى عليه وكنت قلت لحضرتك قبل كده مدى الخطر الموجود عليكي لو حصل حمل ثاني. بس الي خليني استعجل مقابلة حضرتك هو حاجه اهم دلوقتي... الحقيقة احنا احتمال كبير ساعة الولادة نواجه اننا نضطر نختار بينك وبين الطفل.

لان معتقدش في حالتك انكوا أنتوا الاتنين تصمدوا في العملية.. ومع الاسف كل التحاليل ورسم القلب الي عاملنهم الفترة الي فاتت بتؤدي للاحتمال ده.

لم تصدم ملك امام طبييها فقط بسبب انها توقعنت الاسوء. ولكنها ايضا شعرت بالايام الماضية حين اشتد عليها التعب كثيرا. انها ربما تواجه قدرا محتوما بالمساءة.

ايه المطلوب مني يا دكتور؟؟

مدام ملك .. الموضوع دلوقتي خرج من كونه اختيار. عشان كده بطلب من حضرتك دلوقتي وباسرع ما يمكن انك تبليغي استاذ صالح قبل الوقت ما يتاخر اكثر من كده. عشان... عشان لو حصل الي متوقعينه هيكون الاختيار بينكوا على عاتق استاذ صالح. المريض مش بيكون اهل للاختيار بنفسه.

اقوله ...!! ا قوله على مرضي ولا ا قوله اني ممكن اموت ولا ا قوله بنتك هتموت لو أنا عشت؟ ولا ا قوله أنا بقالي سنتين تعبانة وخبت عليك؟ ولا ا قوله كل الي اتمنتته طول عمرك ممكن في ثانية يروح منك؟

الله يكون في عونك حقيقي أنا مقدر الي أنتى فيه.. بس حضرتك فاهمه صعوبة الموقف بردوه. أنا بأول احفظ على سرية موقفك لآخر لحظة لان دي رغبتك أولا وأخيرا. بس الفترة الجاية من الحمل ممكن متبقاش تحت ادراك أنتى شخصيا. وبدوري كطبيب لازم أوصي حضرتك باختيار الشخص المناسب للمرححة دي. وطبعا قانونا دلوقتي مفيش غير الاستاذ صالح.

ارجو حضرتك تفكري في كلامي كويس وتاخدي قرارك بسرعة قبل دخول الشهر السابع. وتأكدي انه ده مهم لمعنوياتك بردوه.

تمام يا دكتور أنا فاهمه.. ربنا يسهل ان شاءالله.. استذان حضرتك دلوقتي عشان اتاخرت. في سلامة الله يا فندم.. المرة الجاية هتكون نتائج اخر تحاليل طلعت نأمل ان شاء الله انها تطمنا شوية.

أنا خلاص يا دكتور مبقتش اقلق من نتائج التحاليل ولا أنتظرها.. اتعودت مع السلامة.

خرجت ملك بصعوبة من غرفة الطبيب. محاولة تمالك نفسها قليلا حتى رأتها غالية التي كانت تنتظرها على مقاعد الأنتظار بجانب الغرفة. فجاءت اليها فورا.

ملك أنتى كويسه؟ الدكتور قالك حاجه؟

مش قادرة اتكلم دلوقتي يا غالية لو سمحتي.. خديني من هنا بسرعة لو سمحتي.

تمام تمام يلا.. اكلم حد في البيت طيب؟

لا لا ارجوكي بلاش دلوقتي.

طب تعالي نخرج بس الأول.

استندت ملك على غالية وخرجوا سويا من المستشفى متوجهين ناحية سيارة التاكسي. التي كانت تنتظرهم بالخارج. ثم تواجهو الى منزلهم على الفور.

في المنزل كانت جميلة وفاطمة يهتمون بالأولاد اثناء غيابهم وغياب الرجال في اشغالهم.. وبمجرد عودة ملك وغالية الى المنزل . استنذاتهم فاطمة للرجوع الى منزلها حتى تجهز طعام أكرم. بينما ارداد ملك البقاء بمفردها قليلا حتى تتمكن من اخذ القرار المناسب بخصوص ما قاله طبيبها اليوم.

بينما ظلت غالية بجانب جميلة بالخارج يهتمون بالاطفال.

غالية هو ايه الي حصل؟؟ أنا مش عايزة اسالها بس شكلها متوتر أوي.

أنا مرضتشد ادخل معها لما حسيت انها عايزة تروح دلوقتي مخصوص عشان صالح ميكونش معها. بس مش مرتاحة بردوه.. حتى لما خرجت مكانتش كويسه ابدأ.

تفتكري في حاجه تخص البننت؟

مش عايزة افكر بتشاؤم. بس قلبي بيقولي الموضوع كبير بجد.. عامة خليها تستريح دلوقتي. ولو بقت احسن شوية قبل صالح ما يجي نتكلم معها.

بالفعل مرت ساعتين تقريبا لم تخرج ملك فيها من غرفتهم ولم يسمع فيها بكاء ابنها كريم. كأنه على علم بحالة والدته ولم يكن يريد ارهاقها في اسكاته ايضا.

كانت الساعة توشك على بلوغ الثانية اي قبل ساعتين من رجوع الرجال الى البيت. الامر الذي دعى غالية تحأول الوصول الى ملك لتتأكد انها على ما يرام. ذهبت الى غرفتها ودقت الباب مرتين قبل ان تناديهما من الخارج.

ملك أنتي كويسه؟؟ لو صاحبة طمنينا عليكى بس.

بعد عدة ثواني جاء صوت ملك من خلف الباب..

أنا صاحبة يا غالية ثواني.

طيب يا حبييتي على راحتك .. احنا مستنينك.

بعد دقائق خرجت ملك من غرفتها وبيدها ورقة. ذهبت حيث جميلة وغالية يجلسون. الذين بمجرد رؤيتها قادمة اليها وقفوا على الفور لمساعدتها.

أنا كويسة كويسه. خليكوا.

ملك طمنييني عليكى. غالية قالتلي انك مكنتيش كويسة عند الدكتور ابدأ.

الحمدلله يا جميلة. أنا بس عايزة اتكلم معاكم شوية. قبل ما حد منهم يرجع.

قولي طبعاً. الي أنتي عايزة.

أنتوا عارفين أنا بحبكوا ازاي. وأنتوا اكثر من اخواتي والي مرنا بيه سوا والعيش والملح الي بنا يخليني مطلبش من حد غيركوا الطلب ده.

ملك اتكلمي لو سمحتي ايه الي حصل؟

غالبية أنا عندي مشكلة .. مشكلة يمكن متخلينيش اعرف اهتم بولادي لفترة طويلة. عشان كده قبل ما اقولكم اي حاجه عايزة اطلب منكوا طلب واحد بس.. لو ربنا مآردش انى اكون موجوده بعد كده عايزة الامانكم على كريم و... و نور.. أنا قلبي حاسسني أوي انها بنت وكنا متفقين أنا وصالح من زمان لو رنا رزقنا ببنت هتكون نور ان شاءالله.

ايه الي بتقولي ده يا ملك؟ بعد الشر عنك ربنا يديكي الصحة ويديمك لولادك يارب.

ياريته بسهولة انه يخلص بالدعاء يا جميلة والله.. كنت دعيت لنفسى ليل ونهار. بس الحقيقة دلوقتي أنا يهمني حاجات تانية اكبر بكتير مني.

لو سمحتوا عايزة منكوا وعد دلوقتي. ان الي هقوله مش هيطلع منكوا ابدًا. ومش بس كده . ولادي يا بنات ارجوكم اهم حاجه ولادي. أنا عارفه صالح مش هيخليهم يحتاجوا حاجه. بس مين يقدر يعوض مكانة الام بردوه مهما كان ودول صغيرين لسه. الموضوع مش بس اكل وشرب. حنان الام وعطفها عليهم اهم من اي حاجه. مش عايزهم يطلعوا وحشين ولا فاسدين عشان نقصهم حاجه في بيتهم. خليه يطلعوا زينا كده يطلعوا مليونين حب ومحبة واحترام لكل الناس. عشان خاطري اعتبروا ده أول واخر واهم طلب اطلبوه منكوا.

اثناء حديث ملك هكذا لم تتمكن جميلة من حبس دموعها اكثر. فقط دموعها تمكنت من قول ما لم تتمكن من البوح بيه وشكها في الفترة الماضية.

أنا عايزة ازعلكم. بس أنا مليش حد غيركوا الامانه ع الي باقي مني. ولا حد تاني اتكلم معه ف الي حصل. عشان كده اخر حاجه عايزة اقولكم عليها هي... هي اني عيانة . عيانة في قلبي من زمان. مكانش عندي مشكلة مع الموضوع زمان. قضاء ربنا وقدره والحمدلله. بس الي حصل دلوقتي اكبر م الي كنت فاكرة اني اقدر اشيله لوحدي.

انهارده الدكتور بلغني انه الحالة اتقدمت لدرجة في احتمال كبير مخرجش من الولادة ابدًا.

انهت ملك جملتها وهي تعرف تماما. تعرف ما معنى حديثها . وانها تنقل لهم خبر وفاتها مسبقا الان. حتى رؤية تعابير وجههم اكدت لها ما فعلته الان. حتى دموع جميلة التي انهمرت سريعا وصمت غالبية المؤلم ذلك اكدوا اكثر على فعلتها هكذا. ولكن كيف يمكنها الان تخطى ما حدث؟ كيف يمكنها المضي قدما وكانت تشعر بكل ذلك مسبقا؟ الم تبكي هي ايضا سابقا الم تصمت حين وجدت كل الكلمات ولكن لم تعرف كيف تكملها؟ ولكن لم يعد الامر في نطاقها الان ؟ لقد اضطرت اسفا ان توجع اصدقائها ايضا ليس الا لحماية صغارها.

أنا مش عايزكوا تقولوا حاجه دلوقتي.. وعارفه كويس أنتوا حاسيين بايه دلوقتي. أنا كمان عيطت كثير وبكت كثير مكنتش قادرة اخبي ولا قادرة اتكلم. ويمكن مكنتش اتكلمت ابدًا لولا الي الدكتور قالهولي. أنا عارفه اني بضغظ عليكوا دلوقتي ومحملكوا فوق طاقتكوا. بس أنا مش عارفه كنت هقدر اقول كل ده تاني امتي؟

لم تتحمل جميلة وقامت تحتضن ملك سريعا باكيا. بينما انضمت اليهم غالية بعد ثواني حين تمكنت من استجماع نفسها وايجاد الشجاعة الكافية لدعم ملك بعد هذه الصدمة. احتضنوا السيدات الثلاثة بعضهم بكل حب وامتنان لعشرتهم ورحلتهم معا. وكلا منهما على حدى تخشي ان لا تستمر هذه الجمعة اكثر من ذلك.

بعد ما يقرب من ساعة كانت جميلة قد اخذت ابنها مراد للتمشية حول المنزل وايضا كي تتمكن من استجماع نفسها قليلا قبل مجي طاهر. كي لا يري عينها محمرة من اثر البكاء. بينما ظلت ملك وغالية في شرفة البيت. تحدثت ملك قائلة: مش عايزة تقولي حاجه يا غالية؟

بدعيلك من كل قلبي ربنا يسترها معاكي. كنت الايام الي فاتت كلها حاسة انك مخبية حاجه. بس كنت دايمادعوي ربنا انها متكونش حاجه وحشة. طلع انها الأوحش. أنا مش عايزكوا تزعلوا عليا. ولا عايزه الي عرفتوا يخليكوا تزعلوا لدرجة انه يآثر على يحيي وطاهر.

وأنتي؟ وصالح؟ تفنكري هيفهم أنتي خبتي عليه ده كله ليه؟

أنا خايفة عليه ياغالية .. خايفة يحس انه بيخسر حياته في ثانية. أنا خبت عليه عشان مش عايزة يشيل فوق طاقته. هو عمره ما حسساني اني حمل عليه ولا هو مش قد المسؤولية. بس كل الي حصل وبيحصل لحد دلوقتي مكانش بايدي. أوقات كتير خفت وضعفت وزعلت. تفنكري ينفع اخلي صالح يعيش كده كمان؟ تفنكري اتحمل انه الحزن يطفي عينه بدل ما هو مالي عليا حياتي فرح وسعادة؟ يمكن دي أنانية مني؟ فاكرة اني مش هتحمّل كمان زعله عليا. بس أنا رضيت رضيت بكل الي عيشته. هو هيخاف. والخوف غدار ممكن ياخذ قلب البني ادم في ثانية . وأنا اهم حاجه محتاجها تكون عنده في غيأبي هي قلبه يا غالية. عيالي مش هيجتاجوا غير قلب صالح الي احتواني وحماني أنا كمان قبلهم. أنا حاسة بيكي. بس تعرفي أنتي اقوى واحدة أنا عرفتها في حياتي. ميتهيأليش.

بالعكس.. القوة مش بس انك تقدري تتكلمي. القوة انك ترضي فعلا. القوة انك لسه قادرة تفنكري في الي حواليك وسط ده كله. أنتي مشفوتيش نفسك وأنتي بنتكلمي كنتي عاملة ازاي. كأنك بتحكّي حكاية. أنا عارفة انك راضية. عارفه انك قابلة حقيقة انك ممكن متبقيش موجودة بعدين. احنا اساسا كلنا بنعيش واحنا عارفين اننا هنموت. بس أنتي غير. أنتي قابلتي الحقيقة دي. تفرق كتيرأوي يا ملك.

مش عارفه . يمكن مكنتش واخدة بالي من كده...

أنتى قوية يا ملك. متقلقيش هتعيشي وتربي ولادك وهنفرحي بيهم. ربنا مبيعلمش حاجه وحشة.

يارب. بس زي ما قلتي. أنا عاريزة افضل راضية باي كان الي هيحصل. ربنا هو الاعلم بحالي. كل الي همماني دلوقتي ان ربنا يقويكوا أنتوا من بعدي. ويقوي صالح ويفضل الاب الصالح لولادنا.

غالية... عايزة اطلب منك حاجة تانيه.

اخرجت ملك من جيبها الورقة نفسها التي خرجت بيها من غرفتها قبل قليل. وضعتها امام غالية على الطاولة.

أنا... كاتبة الورقة دي لصالح. لو سمحتي خليها معاكي.. اليوم الي هكون مش قادرة اتكلم مش قادرة افق قدامه واقوله الحقيقة بنفسي. اليوم الي هكون مش قادرة اخذ بالي من ولادي ولا اشوفهم. ارجوكي اديله بنفسك. هيلاقى فيها جواب اسئلته الي هيكون محتاجها وقتها.

أنا عارفه اني مش محتاجة اقولك بلاش حد يعرف عنها خالص. حتى يحيي.

اخذت غالية نفسا عميقا. تطلعت الي الورقة التي اصبحت بيدها الان كأودت الصمت والنظر الى ملك ثم قالت: حاضر يا ملك أوعدك.

....

(٤)

مرت الايام التالية سريعا. مرت دون تغيير ملحوظ. السيدات التي حاولن قدر الامكان اخفاء حزنهم على صديقتهم امام ازواجهن وامام ملك ايضا.

وملك التي كانت تحاول قضاء كل وقتها مع ابنها كريم والتحدث مع ابنتها ايضا داخل بطنها التي امنت دائما انها تسمعها وتشعر بيها رغم كل شئ.

بعد ثلاثة اسابيع. دخلت ملك في شهرها السابع. الامر الذي جلب بعد المتاعب الجديدة لها. حتى انها صارت تشعر الان بخطورة حملها اكثر فاكثر.

كانوا السيدات يظلوا معها منذ خروج ازواجهن صباحا وحتى قبل رجوعهم الي البيت. لم يتركوها ابدا. حاولوا طمئننتها دائما وبعث التفاؤل فيها. حتى مساعدتها على الحركة والتنفس بشكل صحيح اكثر. حتى قربت على دخول شهرها الثامن الا ان قبلها بعدة ايام فقط. شعرت بالم شديد في بطنها صباحا يشبه الم الولادة بشدة. حتى سمعوا غالية جميلة صراخها بالاسفل. وذهبوا اليها سريعا ليجدوا انها واقعة على الارض تصرخ من شدة الام الذي نوه عن ولادتها الان. حاولت غالية مساعدتها سريعا بينما طلبت سيارة الاسعاف على الفور. الى ان جاءت كانوا نجحوا برفعها من الارض قليلا. حتى جاءت سيارة الاسعاف وذهبوا سويا الى المستشفى.

كان كل ذلك قرابة وقت الظهيرة. اي اثناء عدم وجود اي الرجال معهم بالمنزل. بينما كانت فاطمة بمنزلهم. طلبوا منها ان تنتظر وتحاول التواصل مع مكتب صالح لتخبره ان ملك على وشك الولادة اليوم.

وبالفعل بمجرد اطمئننتها لركبهم السيارة الاسعاف. توجهت مباشرة الى الهاتف الارضي للمزرعة وتوصلت الي صال لتخبره على الفور. حتى لم يكذب خبرا ولم تمر اكثر من ساعة حتى اتوا جميعا الى المستشفى. لتوجهم غالية على باب غرفة العمليات أولا.

حصل ايه يا غالية ؟ ملك فين؟

جوه جوه يا صالح خدوها على العمليات على طول. الدكتور معها جوه.

ياالرب يارب خير باذن الله.. بس دي لسه في شهرها السابع.

... مااا مع الاسف احتمال كبير يولودها انهارده .

و ده عادي يعني؟ مفيش خطورة عليهم؟

نظرت غالية الى جميلة. كانها تحنها على استكمال الحديث مكانها. حتى انها لم تكذب خبر واكملت سريعا.

اااا متقلقش يا صالح. بتحصل في حالات كثير.. ان شاءالله نطمئن عليهم الاتنين.

مرت قرابة النصف ساعة دون اي خبر من غرفة الولادة. حتى علامات القلق والخوف الشديد التي ظهرت على وجه غالية وجميلة. اثار شك يحيي قليلا. بينما كان طاهر بجانب صالح يحاول تهدئته.

اقترب يحيي الى غالية قائلا: مالك يا غالية قلقانة كده ليه؟

ااااا مفيش يا يحيي أنت عارف الجو متوتر بس. ولما لاقينا ملك ع الارض كده اتخضنا.

-بس وشك مصفر كده وخايف زيادة عن اللزوم.

ادعيلها يا يحيي لو سمحت .. متقلقش عليا دلوقتي أنا كويسه.

لم ترد غالية ان تثير شك يحيي اكثر. حاولت اغلاق الحديث معه . بينما ادرك هو ان هناك شيئا ما مريب بالفعل يدور . ولكنه اراد عدم الضغط عليها حاليا اكثر. على الاقل حتى الاطمئنان على حالة ملك وطفاتها.

بعد مرور عدة دقائق اخرى خرج الطبيب من غرفة العمليات. ووجهه ينذر بقدم الخبر السي الان.

طمني يا دكتور ملك ولدت؟

ااا استاذ صالح. احنا بنحاول ناخر الولادة على قد ما نقدر كل ما الطفل قعد في الرحم اكثر كل ما كان احسنه . متنساش انها لسه في اواخر الشهر السابع. يعني في جميع الاحوال الطفل هيجتاج الحضانه اول ما ينزل.

دكتور لو سمحت طمني.. هيبقوا كويسين صح؟ ملك وبنتي؟

ااا في الحقيقة أنا محتاج اتكلم مع حضرتك على انفراد الأول قبل اي حاجه. لازم حضرتك الي تقرر هنعمل ايه.. أنا كنت نبهت مدام ملك ليوم زي ده. بس الحقيقة هي...

دكتور ممكن دقيقة لو سمحت؟

تدخلت غالية سريعا بين الطبيب وصالح. الذي بدى على وجهه علامات الدهشة وعدم الفهم ايضا.

ثواني يا غالية معلىش.

صالح اسمعني الموضوع متعلق بملك. لازم نتكلم الأول.. لو سمحت يا دكتور. صالح هيعرف كل حاجه وهياخد القرار السليم من فضلك محتاجين شوية وقت بس.

اندهشوا جميعا من حديث غالية هكذا. حتى جميلة التي انضمت اليها ووقفت بجانبها تؤكد ما تقوله .. مما اثار شك و تساؤل الجميع حولهم.

غالية هو في ايه بالظبط؟

ثواني يا يحيي ارجوك ملك دلوقتي اهم. لازم اتكلم مع صالح دقيقة بس الأول.

غالية في ايه؟ أنتي عارفه حاجه عن ملك؟ قوليلي ارجوكي.

صالح تعالى لو سمحت ..

ذهبت غالية للامام قليلا تحت صالح على المجئ معها . بينما وقفوا البقية مندهشين ما يحدث.

جميلة هو في ايه أنتي عارفه حاجه؟

طاهر .. صالح هيكون محتاجكم أووي دلوقتي خلي بالكم منه.

تأكد يحيي من وجود خطبا ما بعد سماع جملة جميلة هكذا. بينما شعر طاهر بغصة في قلبه تنذر بحدوث شيئا غير محمود الان ابدأ..

غالية اتكلمي من فضلك في ايه؟ ملك مالها؟

||||| صالح الأول لو سمحت محتاجه منك تهدي وتسمعي للاخر كويس.. القرار الي لازم تاخده ادلوقتي متعلق بحياة ملك وبنتك كمان.

... يعني ايه .. يعني متعلق بحياة ملك؟

... ملك كانت سايبلك حاجه معيا. عشان خاطر اليوم ده. اقرا الجواب ده الأول وبعدين فكر كويس هتعمل ايه. وتأكد ان احنا كلنا معاكم.

اعطت غالية جواب ملك الي صالح. وذهبت باتجاه البقية امام الغرفة .. حتى قابلها يحيي فاشارت له ان يتركه الان .. وانهم سوف يعرفوا كل شئ بعد قليل.

بينما وقف صالح وبيده جواب ملك. الذي شعر انه يحمل وجع قلبه الان بداخله. الامر الذي اخذ منه عدة ثواني حتى يستجمع شجاعته كي يفتحه. بعدما احتلت القشعريرة يده.

ليفتح الجواب مفاجأة بخط ملك داخله .

صالح.. حبيبي عارفه انك على اعصابك دلوقتي وقلقان عليا. بس أنا بطمنك يا حبيبي.

أنا كويسه وهكون احسن كمان. عارفه انك جمبي طول الوقت و ده الي بيطمني اصلا. حقك عليا يا صالح. حقك عليا عشان خبت عليك. حقك عليا عشان هطلب منك اصعب طلب في حياتي . والله العظيم أنا كل حاجه فكرت فيها طول السننتين دول كانت عشان بحبك. مكنتش

عايزك تتوجع عليا. مكنتش عايزة اشوف في عينيك غير الحب والفرح زي ما اتعودت منك. خفت تعيش معيا وأنت خايف . وصدقني الخوف بيقتل اسرع من المرض.

أنا عارفه عارفه عن تجربة. عشان أول حاجه حسنت بيها لما عرفت اني حامل مرة تانيه هي الخوف. خوف اني مشوفكش تاني أنت وكريم. خوف اني بنتنا تعيش من غيري. فاكرا لما كنا عند الدكتور سوا وكنت قلتك بفكر انزل الحمل عشان الوقت مش مناسب. طبعاً كنت بكذب عليك. أنا مكنتش بفكر في تنزيل الحمل. كنت بفكر في الاحتمالات التانيه. أنا هعيش لا ولا؟ وهعرف اعيش بنتي معيا ولا لا؟ ده الي كان شاغل دماغي. بس كلامك ليا قويني ورجعلي امانى وراحتي لحظتها. كلامك الي ادني قوة اكثر اتمسك ببنتي وحياتها.. عشان كده عايزة اقولك نفس الكلام دلوقتي. عايزة اطلب منك نفس الحاجه..

بنتنا يا صالح بنتنا. نور.. لو اضطرت في اي وقت تختار بيني وبينها. اخترها هي. أنا عشت معاك احلى سنين حياتي عشت معاك ايام تكفيني حتى بعد موتي. رضيت بكل الي عشته معاك وحبته. خليها هي كمان تعرفك زي. خليها هي كمان تشوف الساعده الي عيشتني فيها. تعرف ان ابوها احسن واحد في الدنيا. واني مت وأنا مرتاحة معه. مش مت من مرضي ولا وأنا بتألم.

عشان خاطري يا صالح. متفكرش في اي حاجه تانيه. متفكرش في اي حاجه دلوقتي. غير بنتنا. نور الي محتاجك جمبها يا صالح. نور الي هتحتاج ابوها جمبها.. خلي بالك منهم ومن كريم. كنت دايماً بتقولني كريم يشبهني أنا وهيطلع زي في حنيتي وطيبتي. وأنا دلوقتي بقولك نور هتطلع نسخة عنك. هي الي هتكون اقربلك مني.. بحبك يا صالح خليك واثق اني عشت وهموت وأنا بحبك أنت وبس.

أنتهى الجواب. وأنتهت معه حياة صالح ايضاً. كأن الدنيا سقطت فوق انفاسه الان. دموعه انهمرت دون توقف. حشر صوته داخله كأنه لم يتعلم الكلام ابداً. فقط ورقة ملك بقيت بيده. وبداخل وصيتها الأخيرة. الذي اصبح عقله الان رافضاً تماماً انها الأخيرة.

ظل جالسا فس مكانه دقائق. حتى اصدقائه الذين لم يقطعوا نظرهم عنه ابدأ ظلوا واقفين مكانهم يتابعوه بقلق. حتى جاء الطبيب مرة اخرى. ينبههم الى خطورة نفاذ الوقت منهم اكثر من ذلك.

لازم ندخل مدام ملك للولادة حالا. مش هتستحمل اكثر من كده. ارجوكم لازم استاذ صالح يقرر بسرعة. ننقذ مين فيهم؟

صدموا طاهر ويحيى من سؤال الطبيب هكذا. ماذا يعني انقاذ احدهما؟ اي يمكن ان نخسر احدهما ايضاً؟

دكتور من فضلك صالح ممكن يكون في حالة متسمحلوش يقرر دلوقتي. شوف حضرتك تقدر تعمل ايه للاتنين دلوقتي. حاول تعمل اي حاجه؟

يا مدام غالية الحالة بتزيد خطورة. مدام ملك كانت على علم من الأول اننا ممكن نوصل لمرحلة اختيار بينها وبين الطفل.. صدقوني احنا بنعمل كل الي نقدر عليه. بس مدام ملك مش هتسحتمل تضبيب وقت اكثر من كده. كل دقيقة بتمر دلوقتي خطر عليهم هما الاتنين. احنا بنحاول نشوف الاصلح. بس القرار دلوقتي كله في ايد استاذ صالح.
ملك!!

جاء صوت صالح من ورائهم. ليجيب تساؤلات الطبيب على الفور.
ملك تعيش. لازم ملك تعيش.

صالح ارجوك فكر كويس.

مفيش حاجه افكر فيها يا غالية.. ملك يا دكتور.

تمام يا استاذ صالح. الممرضة هتجيب الاقرار لحضرتك حالا. واحنا هناخد مدام ملك على الولادة فورا.

وقفوا جميعا ينظروا لبعضهم البعض. بينما تعلقت جميلة بيد طاهر ويحيي الذي وقف حائرا. يتطلع بصديقه. كان صالح واقفا امامهم كالصنم فقط تنفسه ما يظهر انه حي. بينما حاولت غالية الوقوف امامه. سابقتها هو قائلا: أنتوا كنتوا عارفين؟

صالح... أنت مش في وعيك دلوقتي. ارجوك خلينا نطمئن على ملك الأول.

أنتوا كنتوا عارفين؟ كلكوا عارفين انها كانت بتموت وخبثوا عليا مش كده؟

صالح . اهدى شوية لو سمحت ان شاءالله مفيش موت ولا حاجه.

خرج صالح عن طوره سريعا ومسك ياقة صديقه يحيي بقوة دافعا بيه الى الجدار خلفه.

اأنت عارف مين الي جوه دي؟ مراتي ملك مراتي يا يحيي بين الحياة والموت دلوقتي. بس عشان خبثوا عني لحد ما حملت تاني. وبتقولي دلوقتي مفيش موت.. لا في . أنا الي بموت دلوقتي يا بني ادم. أنا الي هموت لو جرالها حاجه.

كان طاهر قد حاول التدخل بينهم ليفصل يد صالح عن يحيي. ولكنه قد اشار له بان يتركه. الامر الذي قد ينفذ عنه ولو قليلا الان. بينما وقفت غالية وجميلة مندهشين من تحول صالح هكذا. حتى انهى كلامه و اجهش في البكاء سريعا. ليفك قبضته عن رقبة يحيي وينهار باكيا على كتف صديقه.

الامر الذي دعى طاهر للاقتراب منهم وضمهم سويا . بينما كانت جميلة قد انهارت بالبكاء بالفعل وارتمت الى غالية مباشرة.

مرت قرابة النصف ساعة والحال كما هو عليه. ملك مازالت في غرفة العمليات. صالح على الارض لا يستند على الجدار. بينما ظلوا طاهر ويحيي يجولوا ممر الغرفة ذاهبا وايابا وبقت جميلة وغالية يتمموا ايات قرآنية.

ولكن بمجرد خروج الطبيب من الغرفة. فزعوا جميعا وتوجهوا ناحيته بينما حاول صالح الوقوف مكانه لكنه لم يستطع بمفرده. الحقيقة ان وجه الطبيب في هذه اللحظة تحدث بالكثير والكثير رغم انه لم يتمكن من التحدث بعد.

أنا حقيقي مش لاقى كلام مناسب في الموقف ده. يمكن أول مره بالنسبة لي كطبيب مقدرش اهني اسرة على خير سعيد. لاني عارف الوجه الثاني للتهنئة دي معنى ايه.. زي ما قتلكتوا احنا بنعمل الي نقدر عليه واكثر كمان. وكانت الأولوية طبعا لصحة الام. بس كنا محكومين بقرار الاب طبعا... بس الي حصل جوه معجزة بمعنى الكلمة. أنا شخصيا أول مره اشهد على حاجه زي كده... مضطر اقول للاستاذ صالح مبروك بقى اب لبنوتة زي القمر.

اضطرب وجه الجميع فجأة. بينما ظهرت بعد علامات الفرح على وجههم قليلا. طبقا لما فهموا من حديث الطبيب. كانوا الفتيات ليس لديهم علم بان حالة ملك استدعت الاختيار بينها وبين طفلتها. فهي لم تقل لهم هذه التفصيلة من قبل واليوم بسبب توتر الاجواء حولهم. لم يفهموا سبب سؤال الطبيب واستعجلوه لصالح للاقرار بشأن هذا الشيء. الا ان سماعه الان يقول ان الطفلة ولدت بالسلامة.. اذهل عقلهم مفكرين بان كل شئ على مايرام الان. ملك وطفلتها بخير. حتى تدخل صالح منفعلا يمسك بياقة الطبيب.

أنت بتقول ايه؟ بنت مين الي جات؟؟ فيبيبين ملك أنا قتلتك عايز ملك؟ اخترت ملك. بنت مين الي جات؟

صالح اهدى شوية مينفعش كده.. سيب الدكتور يفهمنا.

يااا استاذ صالح. صدقتي احنا عاملنا الي نقدر عليه. بالفعل كانت مدام ملك أولويتنا. بس ربنا اراد حاجه تانيه.. البنات تمسكت بالحياة بشكل غريب. في الوقت الي كنا بنسعى فيه لانقاذ مدام ملك. البنات خرجت من الرحم والمياة قلت من حولها. كأنها بتشق بطن مامتها عشان تخرج للحياة. مكانش قدامنا حل تاني غير اننا ننقذ البنات بسرعة. عشان نلحق قلب الام من الضغط ده. وبالفعل ده الي حصل.. بس فجأة...

بس ايه؟ انا انطق بسرعة..

مدام ملك مستحتملتش.. دخلت في غيوبة ونبضها ضعيف جدا. احنا بنحاول نمدها باحتياجتها الازمة قدر الامكان من خلال الاجهزة. عشان نحافظ على حيوية اعضائها.. بس معتقدش انها هتستحمل كثير.

مدام ملك مستسلمة للوضع تماما. معندهاش اي طاقة محاربة للرجوع للحياة. كأنها اطمنت بس انها ولدت بخير.

وقعت الاخبار كالصاعقة عليهم جميعا. حتى طاهر ويحيي الذي لم يكونوا مدركين كل ما حدث اليوم. ادركوا الان ان حياة ملك بخطر بالفعل. وانها ضحت بنفسها فقط كي تنقذ طفلتها. الا ان عندما وقع الاختيار على صالح قد اختارها هي ولكن كان للقدر رغبة اخرى.

مستحيل الي بتقوله ده.. مستحيبييل ملك ملك متسيينيش لا لا اكيد في حاجه غلط. ملك هتقوم
هتقوم صح؟؟ طاهر قوله يقومها.. يحيي يحيي هي بس نايمه شوية وهتصحى مش كده؟؟
صالح تعالى لو سمحت بالله عليك اهدى بس ربنا هيقومهم بالسلامة الاتنين ان شاءالله
متقلقتش.

أنا مش عايز حد غير ملك .. أنا مهمنيش حاجه غير ملك دلوقتي أنت فاهم..
صالح فوووق بقه. دي بنتك بنتك الصغيرة ومحتاجك دلوقتي اكثر من اي حد.
طاهر لو البننت دي هتاخذ ملك مني أنا مش عايزها فاهم. مش عايزها.
صدم الجميع من حديث صالح وزهابه هكذا حتى وان كانوا يروا حالته الان. الا ان الشك
وقع بداخلهم ان يكون يعي ويقصد ما يقوله بالحرف.

طاهر سيبه دلوقتي سيبه.. نظمن بس على ملك وهيبقى احسن.
أنا خايف عليه يا يحيي مش شايف شكله عامل ازاي؟؟
الموضوع دلوقتي فوق طاقة احتمالاه. خوفه على ملك عمي خينا نعدى اليوم ده على خير
بس. وكله هيبقى كويس ان شاءالله كله هيبقى كويس.

قال يحيي جملته وهو يربت على كتف طاهر لتهديته هو الآخر. بينما توجه للطبيب
لشكره وسؤاله ان كان بيدهم شئ الان يستطعوا فعله. الا ان الطبيب نصحهم بالانتظار فقط
والدعاء لملك والطفلة ايضا. لانها ولدت بشهرها السابع اي تحتاج للبقاء في الحضانه قليلا .
مما يعني انها بحاجة الدعم والرعاية ايضا.

تمام يا دكتور تمام. احنا مقدرين مجودات حضرتك جدا معنا. ربنا يبارك في حضرتك.
وحقك علينا م الي حصل من صالح. أنت شايف حالته ازاي.

مفيش حاجه يا استاذ يحيي الله يكون في العون. أنا عارف صعوبة الموقف. والحقيقه انه هو
ده بالظبط كان سبب خوف مدام ملك من مصارحتها ليه بمرضها. كانت صامدة حقيقي
عشان اسرتها وولادها. بس صدقوني ربنا مبيعلمش حاجه وحشة. ولادة الطفلة دي تحت كل
الظروف دي. اكبر دليل على انها قوية زي مامتها واكثر. ان شاءالله نظمن قريب وיעدوا
من المحنة دي على خير..

شكرا يا دكتور شكرا جزيلا.

العفو على ايه بس.. الممرضة هتبلغكم باي جديد وأنا هتابع حالة مدام ملك بنفسى لحد ما ٤٨
ساعة دول يعدوا على خير ان شاءالله.

ذهب الطبيب في طريقه. بينما وقف يحيي يحاول تفهم ما يحدث حوله قليلا واستعياب هذا الاختبار امامهم الان. الا انه خطر على باله شيئا اخر هكذا جعله يتوجه لغالية زوجته وجميلة الواقفه بجانبها .

أنتوا كنتوا عارفين كل حاجه؟

يحيي لو سمحت...

غالية اظن الوضع دلوقتي مش محتاج اي اسرار. الورقة الي اديتها لصالح دي كان فيها حاجه تخص ملك فعلا؟

يا يحيي احنا معرفناش غير من قريب شهر تقريبا. ملك قالتنا بس انها عيانة لكن مكناش نعرف ان الوضع سئ للدرجة دي. وطبعا مكناش ينفع نقول لحد فيكوا دي كانت رغبتها واحنا وعدنها بكده.

ايوه يا جميلة بس صالح فاكر اننا كلنا كنا عارفين..

أنت شايف حالته عاملة ازاي. ده كأنه راح في دنيا تانيه تماما. الله يكون في عونہ.. اكيد لما يهدى شوية بس هنفهمه الي حصل.. بس لازم نطمئن على ملك الأول والبنيت المسكينة دي الي حتى مبصش في وشها كده.

يحيي احنا وعدنا ملك اننا نصون سرها زي ما هي عأوزة. مكناش بايدنا حاجه حاجه تانيه. لاننا مكناش نعرف اكثر م الي قالتہ وبس.. صحيح هي... وصتنا على ولادها بس أنا شخصيا قلت ده من قلقها م الي في بس.. مش عشلن عارفه انها هتموت.

بعد الشر يا غالية متقوليش كده .. اكيد هتقوم وترجعلنا تاني زي الأول.

ملك مش هتقوم يا جميلة .. هي كانت عارفه كده كويس وكانت عايزنا نعرف كده بس انهارده.. مشيلتناش همها من بدري ولا كانت عايزنا نخاف عليها بردوه.. كل تفتكرها كان في بنتها وبس.. ملك ضحت بنفسها وعاملت كل حاجه عشان بنتها تعيش.. يعني كون ان البنيت دي موجودي دلوقتي في الدنيا وبتتنفس ده بسبب امها بعد ربنا سبحانه وتعالى.. ملك ادتها عمرها الباقي. تفتكري بقى بعد ما عاملت كل ده هتبقى عايزة تعيش تاني؟

وقع حديث غالية لهم في قلبهم تماما. كانت غالية تلوم نفسها ايضا من خلال هذا الحديث.. ليتها فهمت صديقتها ابكر من ذلك . ربما تمكنت من مساعدتها ايضا. وليس حمل امانتها وتنفيذ و عدها فقط.

قالت غالية جملتها وهي تحاول التحكم بدموعها ايضا. التي كانت لا تخرج بسهولة ابدا من عينها. ولكنها لم تحبسها اليوم. فقط ادراة وجها عن زوجها والجميع وافلتت زمام القليل منها.. حتى أنتبه زوجها لها اقترب منها يضمها اليه بحنان. محأولا التخفيف عنها قليلا. بينما كانت جميلة بالفعل تستند على كتف طاهر.. الذي لم يستطع ترك يدها ايضا.

....

(٥)

مرت الاربعة وعشرون ساعة الأولى على خير.. على الاقل دون سماع خبر سئ . بل مازال الحال كما هو مثل امس. بقى صالح في المستشفى لا يتحدث مع احد ولا يريد احد اخر. بينما ذهب طاهر والسيدات مساء الي المنزل ليستريحوا قليلا ويظمنئوا على بقية الاطفال ايضا وفاطمة التي ظلت التي لم تتركهم مساء حتى أكرم لم يترك المزرعة ابدا بعد سماعه الخبر. بل عندما سمعوا كل ما حدث معهم صباحا قلقوا كثيرا ودعوا اكثر لملك وطفلتها بالشفاء العاجل ومنح القوة والثبات لصالح ايضا.

بينما اراد يحيي البقاء بجانب صالح في المشفى لعله يحتاج شيئا ما. أو بالاخص اذا صار مكروه.. كان يلمح بعينه من البعيد. بينما يحاول الوقوف بجانبه قليلا. حيث كان يقف امام غرفة الرعاية المركزة منذ نقلت ملك اليها بعد ولادتها مباشرة. حتى جاء الصباح بدون نوم لهم سويا كان يحيي يذهب ويعود من والى غرفة الحضانة للاطمئنان على حالة الصغيرة ايضا. بينما صالح الذي لم يحرك ساكنا ولم يهتم برؤية طفلة ابدا.

مرت الساعات الأولى صباحا هكذا. الكل مشغول بما يحدث والكل قلق بشأن ملك والطفلة وصالح ايضا. جاء طاهر الى المشفى قرابة الساعة العاشرة صباحا بعدما حاول كثيرا اقنع غالية وجميلة البقاء بالبيت اليوم. على الاقل حتى يحدث تغيير ما. بينما ساعده أكرم اخ غالية قليلا. فقط هكذا تمكن من تركهم بالمنزل والمجئ الى المشفى لرؤيتهم.

ايه الاخبار حصل حاجه بليل؟

لا لا الحمد لله البننت كويسه بردوه كنت بشوفها في الحضانة كل شوية والممرين طمنوني.

طب الحمد لله .. لسه مرااحش شافها بردوه؟

متحركش من جمب الأوضة ثانية اصلا. أنا عيني كانت بتغفل جمبه هنا شوية كل ما افتح عيني الاقي واقف كده زي مانت شاييف.

وبعدين يا يحيي هنعمل ايه؟ ملك لو مخرجتش من هنا هيتجنن كده.

والله يا طاهر من ناحية في جناه ده. ومن ناحية تانيه في البننت الغلبانه دي الي حتى محنش عليها وسمها.

جميلة قالتلي امبارح .. كانوا متفقين يسموها نور .. هو الي كان مختار الاسم كمان.

ياأخي أنا هايين عليا اديله قلمين على وشه يفوقه . بس مش قادر عارف ان وجعه دلوقتتي فوق كل الحدود.. بس لازم يفهم ان الي حصل كله ارادة ربنا ما بيد حيلة . مش بس ملك الي محتاجه بنته كمان فيها الروح دلوقتتي.

صلي ع النبي بس صلي ع النبي كده.. ربنا يعدينا م المحنة دي على خير.

وقفوا سويا يفكروا محأولين الوصول الي حل يساعدهم في الخروج من هذا المأزق.
بينما كان صالح لازال واقفا مكانه لا ينزل عينه من زجاج غرفة الرعاية يتطلع الى زوجته
التي كانت لاتزال غير واعية راکضة بلا روح بلا حركة. فقط غافلة في مكانها لا تعي
شيئا حولها.

بعد ساعتين من وقفهم هكذا جاء الطبيب لرؤية ملك ومتابعة تطورات حالتها الصحية.
وبالفعل كان تحول وجهه اثناء الفحص هو ما زرع الرعب بقلبيهم اكثر. حتى خرج الطبيب
من غرفة الرعاية ووقف امام صالح واصدقائه.

خير يا دكتور طمنا في جديد؟

هي هتفوق امتى يا دكتور؟

استاذ صالح من فضلك تماسك اكثر من كده.. مدام ملك مش محتاجه منكوا دلوقتي اكثر من
الدعاء. المجهود الي حصل كان اكبر من انها تتحملة. عشان كده احنا بدورنا بنحاول
نساعدنا بالاجهزة انما... مع الاسف يمكن متحملمش اكثر من كده.

لم يتحمل صالح ما سمعه وسقط مكانه على الارض تماما. حتى ركض له الجميع على
الفور يساعده.. بينما ظل هو مغشى عليه عدة دقائق بعدها. حين اراد الطبيب اسعافه
واعطائه مهدئ ما لم ينطق بكلمة واحدة غير انه اراد رؤية ملك وفي الحال. حاول طاهر
ويحيي استمالة رأي الطبيب قليلا. حتى وافق وسمح له برؤيتها لدقائق.. لعله يستريح قليلا
ويبرد قلبه.

بالفعل ساعده الممرضين على التجهز لدخول غرفة الرعاية بالازياء اللازمة. بينما
استند هو على طاهر ويحيي حتى وصل باب الغرفة ودخل اليها يمضي الى ملك خاصته.
فبمجرد وصوله الى سريرها جلس ارضا بجانبها يقبل يدها وبدء يحدثها.

كده يا ملك؟ كده عايزة تسييني؟ تعلمي فيا كده. مين قال اني عايز غيرك م الدنيا اصلا. مين
قال ني هيفرق معيا حد غيرك.. ازاي شيلتي كل الوجة ده لوحديك.. أنا الي عاملت فيكي كده
صح؟ أنا الي خليتك تكلمي الحمل ده. ذنبي أنا وأنتي الي بتدفعي تمنه دلوقتي. بس أنا... أنا
مكانش قصدي أنا مكنتش اعرف انك موجوعة مكنتش اعرف انها هتخدك مني. أنتى عارفه
أنا موت من غيرك. ازاي وصلتك للحالة دي.. قومي بقه يا ملك قومي عشان خاطري.

قومي ريحيني من وجعي كده من حملي الكبير الي على كتافي دلوقتي.. طب قومي عشان
كريم أنتى عارفه بقاله قد ايه لوحده؟ اكيد خايف أوي.

ملك... أنا خااايف أوي من غيرك. خايف افضل لوحدي. متسيينيش لوحدي كده عشان
خاطري.. قومي بقه يا ملك قووومي.

كان صالح يتحدث اليها وهو يمسك بيدها بشدة. حتى شعر بيدها تتحرك معه. الشئ
الذي جعله ينتفض مكانه كأنه لسع من شئ ما. وظل يصرخ باسمها يناديها.. حتى لحظوا

يحيي وظاهر خارج الغرفة ودخلوا اليه فظل يقول لهم انها تحركت وانها تستفيق الان. مما دعاهم لاستدعاء الطبيب سريعا. الذي جاء على الفور يفحص وظائفها الحيوية ولكن المفاجأة كانت حين قال لهم.

مع الاسف مفيش اي تحسن.. الي حصل ممكن يكون ردة فعل بسيطة نتيجة سماعها لكلامك بس. انما حتى لو فاقت مش هتكون على درجة وعي كاملة أنا اسف.

قال الطبيب جملته وهم على الخروج من الغرفة بينما ظلوا طاهر ويحيي كالاصنام مكانهم غير قادرين على قول كلمة واحدة. فقط ربتوا على كتف صالح واردوا تركه مع ملك فقط الان. بينما وقف هو لا يعي ما يحدث حوله . توجه اليها مرة اخرى ممسك بيدها وهو يبكي . يبكي كالأطفال فقط.

صالح...

جاء صوت ملك بعد ثواني كأنه يأتي من اقصى البعيد. الا ان صالح تمكن من سماعها بالفعل. وانتفض من مكانه ينظر اليها ليجدها تفتح عينها أخيرا. محاولة التحدث.

صالح...

حبييتي حبييتي .. أنتي فوقتي يا ملك فوقتي يا حبييتي رجعتلي خلاص.

... شكرا يا صالح.

بتشكرني على ايه يا حبييتي بتشكرني على ايه بس؟؟

أنت اخترت بنتنا.. اخترت نور يا صالح. بنتنا كويسه مش كده؟

... ملك أنا... البنت...

أنا عارفه يا حبيبي. عارفه انه صعب عليك تفضل من غيري. بس أنت مش هتكون من غيري يا صالح. أنا عاملت كده عشان اسبيلك حته مني تشبهلك أنت. تفكرك بيا .. خلي بالك منهم يا صالح. أنت كنت احن عليا من نفسي. خليك قريب منهم. ولادنا يا صالح ولادنا..

ملك... ملك اسمعني أنا...

كريم ونووو...

لم تتمكن ملك من اكمال جملتها. فقط توقف قلبها عن النبض توقفت عن التنفس. لم تعد روحها داخل جسدها. الان فقط رحلت ملك في صمت تام. تماما كما كانت في حياتها رحلت وهي يدها بيد زوجها وحبيبها الوحيد. وهي توصي بابنائهم الصغار. هديتهم المشتركة التي جمعت بينهم في دنياهم.

سقط صوت ملك من اذن صالح وسقطت يدها معه. بينما ظل صالح مكانه. روحه رحلت معها لم يحرك ساكنا . فقط نظر الى نفسها الذي قطع . الصفارة التي انطلقت من

الجهاز تنذر عن توقف قلبها. وهذا الشريط الذي يمثل النبض الذي اصبح خطا مستقيما الان.

بينما أنتبه طاهر ويحيي الي هذا الصوت بالخارج .. فهموا ما حدث على الفور. وركضوا الى داخل الغرفة ليجدوا صالح واضعا رأسه على قلب ملك لا يتحرك ابدا. فقط عينه مفتوحتين ينظر في فراغ تام امامه. حتى تجمدوا هم الاخرين امام هذا المشهد. لم يعرفوا ما عليهم فعلوا الان. الى ان جاء الطبيب وحاول نزع صالح من ملك بصعوبة شديدة ليكي يحاول اسعافها ان كانت مازال لديها فرصة للنجاة. وحين لم يتمكن من نزعه ساعدوا طاهر ويحيي حتى وقف بين يدهم بلا روح لا يدري ما يحدث حوله ابدا..

حاول الطبيب اسعاف ملك سريعا بشتى الطرق. الا ان لم يكن هناك اي استجابة منها. وهكذا وضع الطبيب الفراش فوقها ليخفي وجهها منذرا عن موتها بشكل نهائي. الامر الذي جعل طاهر ويحيي يجنوا تماما حائرين بماذا سوف يحدث الان. صالح يقف بلا روح كالشبح بجانبهم بينما هناك ملك التي رحلت عن عالمهم الان بالفعل تاركة ورائها طفلين احدهما لم يتمكن من شم رائحتها من الاساس.

حين وصل الخبر الي المزرعة انقلب الحال تماما. كانت جميلة منهارا بالفعل تحتضن كريم ابن ملك بقوة. بينما كانت فاطمة عاجزة حتى عن البكاء تنظر الى أكرم زوجها الواقف امامها لا يعرف ماذا يفعل الان.

بينما كانت غالية جالسة مكانها في شرفة المزرعة تتطلع الى الفراغ امامها فقط تتم بدعاء ما في داخلها.

اما في المشفى كان الحال لا يختلف كثيرا.. يحيي وطاهر حاولوا استجماع انفسهم قليلا ليكي يتموا اجراءات خروج ملك من المشفى وايضا اثناء ذلك محاولين السيطرة على صالح حتى لا يخرج عن طوره فجاة. لانه كان لا يزال صامتا منذ وقوف قلب ملك امامه.

الحقيقة ان الامر لم يستغرق الكثير كي يفهموا ان كل شئ تغير الان. ليس فقط خسارة ملك بل كأنهم على وشك خوض شئ اكبر بكثير.. حاول طاهر الصمود امام صالح بينما كان يحيي ينهي الاجراءات وتحضير الجنازة. حتى أنتهى كل شئ اخذوا صالح معهم وخرجوا بينما سيارة الجنازة تحمل نعش ملك خلفهم. لم ينطق صالح بكلمة حتى اثناء كل ذلك. كان يدرك ما يحدث حوله ولكنه عجز عن الرد والتعبير عما يشعر بيه كأنه لم يعرف للحديث طريق ابدا. ولكنه ايضا لم يكن يعرف ماهية الشعور الذي يعتري ابدا. كأنه ليس له مسمى. ولا تعريف باي لغة.

رفعت الجنازة ولحقوا صلاة الظهر عليها. بينما كانوا جميعا في المسجد ظلت فاطمة وجميلة وغالية بالخارج يصلون ويدعون لها كثيرا. بينما كانوا الرجال يحملوا النعش للخروج بيه من المسجد للذهاب الى مئاها الأخير بمقابر العائلة.

مر النهار ومر معه كل شئ قضوا واجبه الأخير تجاه ملك سويا. كما كانوا دائما. بينما كانوا يحضرون المزرعة لاستقبال التعزية مساء. كان صالح لايزال صامتا حتى لم يبكي ابدا. لم يحتضن ابنه ابدا حتى لم يتمكن من النظر اليه ابدا. بينما تمكن الحزن من البقية كثيرا. فقط غالية تمكنت من كسر كل هذا الصمت.

هو هيفضل كده؟

غالية ارجوكي متزوديهاش عليه.

يحيي.. صالح منطقتش م الصبح ده مبصش حتى في عيون ابنه .. ده غير الي مرمية في الحضانة مش عارفين هتعيش قد ايه هي كمان على حالتها دي. عزا مراته تحت وهو حتى مش مدرك الي بيحصل.

يابنتي ده خسر مراته. عارفه يعني ايه؟؟ دي ملك يا غالية ملك . أنا كنت حاسس م الصبح انه مش هيرجع زي الأول .. بس لازم نديله فرصة ع الاقل يعيش وجعه صح.

صدقني يا يحيي أنا مبخافش غير من الي بيهرب من وجع لوجع ده. أنا كمان خسرت صاحبة عمري واختي على فكرة. بس أول حاجه فكرت فيها هي ولادها وامأنتها دي. يحيي في بنت صغيرة في الحضانة دلوقتي ملهاش اي ذنب ابوها حتى لسه مسمهاش أنت فاهم ده معنه ايه؟ صالح لو فضل كده هيخسر ولاده كمان.

ربنا يستر يا غالية ربنا يستر.. مفيش في ايدنا حاجه غير اننا نصبر ونقف جمبه وربنا يقدرنا ناخذ بالنام العيال دي .. وصالح يعدي المحنة دي على خير.

كانت غالية تتحدث عن مخاوفها مما تراه حولها ليس فقط من عاطفتها كانثي بل من جانب الامومة ايضا واحساسها بالمسؤولية التي أوكلت اليها من قبل تجاه أولاد ملك. حتى مساءا اثناء استقبال التعزية لم تتمكن من البكاء كلما رأت ان كل من حولها منهار بشكلا ما فقط هي عليها الصمود بشكلا ما.

فغالية هكذا. دائما ما كانت تستطيع التفكير بعقلانية وسط كل حزن أو فرح شديد. كأنها تحسب ما يجب حسابه من قبل. حتى انها تشعر بالمسؤولية تجاه من حولها خاصة اثناء هذه اللحظات.

بعد انقضاء التعزية ذهب صالح الى خارج المزرعة للبقاء وحده قليلا. بينما كان يحاول طاهر التحدث اليه تركه هكذا وذهب الى الخارج كأنه لا يرى شئ امامه الان. حتى جاء يحيي وشرح له طاهر انه يجب عليهم تركه وحيدا لبعض الوقت على الاقل كي يتمكن من تفرغ حزنه بشكلا ما. ولكنهم كانوا لا يعلمون انهم لم يتمكنوا من العثور عليه بعدها لمدة ثلاثة ايام كاملة.

(٦)

مرت ثلاثة ايام منذ وفاة ملك لم يظهر صالح فيهم ابدا. حتى لم يرجع الى المزرعة أو المشفى. حتى قبر ملك لم يذهب اليه ابدا. بينما كادوا يجنوا جميعا من البحث عنه في كل مكان. كانوا الجميع حاضرين بالمزرعة يفكرون بشيئا ما. بينما لم تتمكن غالبية من التحكم باعصابها اكثر. انفجرت قائلة:

شفت يا يحيي ادي الي قلتك عليه .. هو ده وقته الي المفروض ياخده مش كده؟
غالية!!

اهدي يا غالية لوسمحتي .. العيال يصحوا.

اهدى ايه يا جميلة أنتي مش شايفة الي حصل. كنا بنقول حقه يزعل وياخد وقته أو بقالنا ثلاث ايام منعرفش عنه حاجه. حتى ولاده مبصش في وشهم اصلا. البنبت حالتها في نازل في الحضانة والاستاذ مش موجود اصلا.

غالية كفاية بقه.. احنا دورنا عليه في كل حته ومش موجود .. تفتكري لو جراه حاجه في الشارع دلوقتي مش هنندم اننا مخدناش بالنا منه هو كمان.

يحيي أنا خسرت اختي أنت فاهم. بس ع الاقل بأول احافظ ع الي باقي منها كمان. ممكن أنتوا تفهموني بقه جوزها وابو ولادها فين؟؟

غالية معها حق يا يحيي.. ملك عاشت تتعذب ومتشكيش.. ودلوقتي ربنا يرحمها بس دي كانت صاحبة نايمه بتفكر في ولادها. طب كريم ونقدر عليه شوية امال المسكينة الي حتى ملحتقش تشم ريحة مامتها هنعمل معها ايه؟

أناا سألت الدكتور واطمنت منه شوية. قالي يعدي بس الكام دول على خير عشان اجواء العزا دي مش هتفيدها خالص. وقعدتها في الحضانة افضل دلوقتي. متنسوش انها مولوده في الشهر السابع. يعني يا حبيبيتي حتى نموها مش كامل.

ولما تخرج يا طاهر؟؟ دي حته لحمه حمرا محتاجة لبن امها وبس؟

هنحاول بالي نقدر عليه يا جميلة هنشوف مرضعة لبن صانعي اي حاجه.

تمام برافو عليكموا . هنعمل كده.. ادي دور مامتهم هيتقسم علينا طب وبابا بقه؟؟ مش أول سؤال لازم نحضر اجابته ده!!

صلي ع النبي يا غالية بس. احنا لسه بندور عليه وهنكمل لحد ما نلاقي ان شاءالله.

والله أنا الي يهمني دلوقتي انه يرجع وهو فايق .. مش يرجع بس.

كانوا جميعا يدركوا مدى صحة حديثها. ولكن لم يعرفوا ما يجب فعله اكثر فقط البحث عن صالح. ولكن بالفعل ماذا اذا رجع ولم يتمكن من القيام بدوره أو حتى النظر امامه اكثر؟ هل يمكن ان يخسر المرء كل شئ حتى قبل ان يملكه؟ نعم. أنا جربت هذا الشعور حتى قبل ان اعني نفسي. خسرت امي قبل ان اعرف لها شعور. وخسرت أبي الذي لم ينظر الي وجهي حتى لعدة ايام. خسرت اسمي قبل ان يكتب لي في شهادة ميلادي. الان فقط لم يعد في يدي شيئاً سوى الوقت وحتى هذا لم اكن متأكده منه اكثر مع مروره.

الان مرت سبع ايام كاملة لم يصل فيها خبرا عن صالح ولم تخرج ابنته من الحضانة ايضا. كانت غالية وجميلة يزورا المشفى بشكل يومي خلال الايام الماضية حتى كانوا يتابعوا حالة الطفلة مع الطبيب دائما. حتى جاء اليوم السابع بعد ولادتها . قال الطبيب: معلى يا مدام غالية أنا اعرف ان حزنكم لسه مبردش. بس لازم اسأل استاذ صالح فين؟ أنا مش بشوفه هنا من بعد الي حصل.. حتى في سجلات مطلوب فيها اسم البنت لازم نحطه.

الحقيقة يا دكتور هو الظرف صعب. صالح مخنفي من وقتها وطبعا مش عارفين نعمل اي حاجة رسمي في الموضوع ده. عشان كده مش هنقدر نساعد بس لو في حاجة حضرتك تساعدنا نخلصها ياريت.

هو الحقيقة مفيش في ايدي حاجة طبعا قانونا. بس يعني لو اي حد من العايلة يقدر يخلص الاجراءات أو تعرفوا حد في السجل يطلعوا الشهادة البنت بقالها اسبوع في الدنيا من غير اسم حتى.

صالح مكانش ايه حد غيرنا. حتى ملك كمان .. بس يعني...

أنا هسميها يا دكتور واخلص الاجراءات كلها.

طاهر!!

يعني لو ينفع بصفتي عمها.

ااا اكيدي يا استاذ طاهر مفيش مشكلة. أنا هدي لحضرتك الورق المطلوب ولما شهادة الميلاد تخلص ياريت نتطلع عليها على طول.

تمام.. ان شاءالله خلال يومين تكون عند حضرتك. ممكن بس دلوقتي اشوف البنت؟

اه طبعا مفيش مشكلة.. الممرضة هتساعد حضرتك وبعدين لازم ترتاح بس عشان الاجهزة المتصلة بيها.

وجه الطبيب طاهر الي سرير الطفلة الصغيرة. حتى أوقفته جميلة قليلا. قائلة: طاهر أنت ازاي...؟

بعدين يا جميلة بعدين هفهمكوا كل حاجة. خلينا بس نطمئن ع البنت الصغيرة دي الأول بعدين هقولكوا هنعمل ايه؟

ذهب طاهر بطريقه الي داخل غرفة الحضانة حيث تكون اسرة الاطفال الرضع .. بينما اختلط صوتهم جميعها ببعضه. ذهب طاهر الي سرير ابنة صالح مبتسما بمجرد ادركه الشبه بينها وبين أبيها بالفعل. كانت تحمل نفس العينين. ونفس الحواجب . حتى تكاد نفس بسمته الا انها لم تتمكن من اكمالها بالطبع بسبب وصلات الاجهزة المتصلة بوجهها الصغير. اخذها طاهر من سريرها الصغير يقبل رأسها حتى اذن في اذنها وضع لها اسمها الذي كان متفق عليه من قبل من امها وأبيها. قال اسمها ثلاثة مرات ثم قبلها مرة اخرى ووضعها ثانية في سريرها. حتى خرج الي جميلة زوجته وغالية الواقفتين في الخارج اللتين كانوا ينظرون لبعضهم في استغراب ماذا يحدث حولهم.

تعالوا معيا. خلينا نمشي دلوقتي نلحق نخلص شهادة نور الأول عشان نعرف ناخذها من هنا ونرجع بيتنا.

نور!! نور مين؟

نور يا جميلة أنتي نسيتي ولا ايه؟ البنت الي جوه دي. مش كنتي قلتلي ملك وصالح اتفقوا قبل كده بسموها نور. خلاص هنسميها زي ما اتفقوا تمام.

طاهر أنت ازاي...؟

والله هفهمكوا كل حاجه بس خلونا نخلص المهم الأول.. يلا بقه عشان متأخرش.

ركضوا سويا لاتمام مهمتهم بعدما بعث فيهم طاهر بعض الطمننة. حتى يقضوا اهم دين تجاه هذه الطفلة. نور صالح. التي لم ينظر أبي في وجهي منذ ولادتي والذي اسماني واذن في اذني اليوم عمي الوحيد طاهر عبدالله.

بعد اتمام الاجراءات المطلوبة واستخراج شهادة ميلادي أخيرا. خرجت من المشفى بين يد عمي طاهر الذي تحمل مسؤولتي اليوم بعد غياب أبي عني اسبوعا كاملا. خرجوا بي الي المزرعة حيث عائلتي وأخي وابناء اعمامي.

منذ دخولي المزرعة على ايدهم احبوني جميعا. خاصة غالية التي منذ نظرتها الأولى لي رأته وجه صديقتها واختها ملك. قرروا جميعا دون الاتفاق على ذلك الاهتمام بي وبأخي اكثر من اللازم حتى ظهور أبي. وجدوا مرضعة ليكي يتأكدوا اني احصل على الطعام الطبيعي والمناسب. اشتروا ملابس لي ولأخي. رغم كل ما كانت امي تحوشه لمثل هذا اليوم. الا انه اتضح ان اهم تحوشة يمكن لانسان الحصول عليها في حياته الي حتى بعد مامته . هم اقرانه ورفقاء دربه. الذين لم يكلوا ولا يملوا ابدا من رعايتي أنا وأخي. حتى جاء اتصال من احدا ما يبلغ عمي يحيي ان أبي ظهر الان عند مدفن امي. وحالته لا يرثى بيها على الاطلاق.

اراد يحيي الانطلاق سريعا في طريقه. ولكن طاهر طلب منه ترك هذه المهمة له اليوم. وسط دهشة الجميع من اصرار طاهر على الذهاب بمفرده. لم يكن امام يحيي الا ترك الطريق له. لعله يعرف شيئا ما يجلبه لبيته مرة اخرى.

ذهب طاهر في طريقه. وهو يفكر في شيئا واحد. لابد من رجوع صالح للبيت ورجوعه لابنائهم ليس فقط. حياته بل لانهم ذكرى ملك التي سنظل في رقبته مدى الدهر. وبالفعل لمح طاهر مكانه جالس امام المدفن لا يتحرك. حتى لا يبكي. اقترب منه بينما نطق أبي أخيرا بما في قلبه.

أنت عرفت مكاني ازاي؟

... المفروض اقولك اني حسيت بيك زي الافلام. بس الحقيقة انه لأ حد من معارفنا شافك هنا واتصل بيحيي على طول. قتلته خليني أنا اروحله المره دي.

جاي ليه يا طاهر؟

احنا كنا فقدنا الامل فيك على فكرة.. دورنا عليك أول كام يوم. بس بعد كده أنا ويحيي حسينا انه طول مانت مش عايز تظهر يبقى محدش هيلاقيك. لأول مره في حياتنا يمكن كدبنا على مراتتنا اننا لسه بندور. بس الحقيقة انه بقى حاجه اهم منك دلوقتي يا صالح نفكر فيها وننشغل بيها.

كوبس .. كوبس أوووي. كملوا حياتكم بقه وسيبوني هنا أنا مش عايز حاجه تاني خالص.

... لا ماهو مع الاسف الي احنا انشغلنا بيه ده .. حاجات تخصك أنت اصلا. فقلنا حتى لو شيلنهم فوق رأسنا بردوه هيفضلوا محتاجينك أنت.

أنت بتتكلم عن مين؟

اااه مانت نسيت انك سايب ناس وراك مش كده. طب ماشي نسيت اخواتك واصحابك وعشرة العمر والعيش والملح تمام. انما ولادك يا صالح. تنسى ولادك!! . كريم ونور نسيتهم؟

نور!؟

ايوه يا صالح.. البنت المسكينة الي اتحرمت من امها وابوها في نفس اليوم.. مش دي حلم عمرك. مش دي بنتك وبنت ملك مش دي هدية ربنا ليك في الوقت ده بالذات عشان تعوضك عن الي راح؟

أنت مش فاهم يا طاهر؟

لا فاهم. أنت الي مش فاهم.. أنا بس نفسي اعرف بتلومها على ايه ها؟؟ هي يعني خدت عمر ملك لنفسها ولا هي الي تعبت ملك؟؟ ملك تعبانه من زمان يا يحيي منقبل حتى حملها في كريم. الفرق الوحيد انه ربنا استرد امأنته بعد ولادة البنت الصغيرة دي.

كفاية يا طاهر.. اسكت

لا مش كفايه وأنت عارف انه مش كفاية.. صالح قولي الحقيقة لو كان الي حصل حصل بعد ولادة كريم. كنت هتقدر تلومه بردوه؟

أنت بتقول ايه؟ أنت فاكرك الحكاية ولد وبنت؟ طاهر أنا قلبي وقع مع ملك هنا في القبر ده. أنا مش عارف اتنفس يا طاهر.. مش عارف اعيش أنت فاكرك أنا الايام الي فاتت كنت فين؟ كنت تايه يا طاهر.. تايه في الشارع مش عارف رايح فين.. جابنتي رجلي كل يوم على هنا. بنسى نفسي معها لحد ما عيني تغفل جمبها. اصحى اقول يارب يطلع حلم. الاقي نفسي هنا. جمب قبر مكتوب عليه اسم ملك.. أنا... أنا مبقاش عندي حاجة اديها لحد يا طاهر. لا أنتوا ولا... ابني. سبني يا طاهر. سبني وامشي ارجع لبيتك وابنك. أنا خسرت كل حاجة يوم ما ملك راحت مني. راحت مني عشان أنا السبب أنا الي حرصتها اكرت تحتفظ بالبت دي جواها. لا ودلوقتي مضطر اعيش حياتي الي باقية بالذنب ده.

احتضن طاهر صديقه بقوة. احتضنه لعله يبكي ويخرج ما بقى داخله. بقى صالح على حاله حتى اكمل طاهر.

أنا معرفش ملك قالتك ايه ولا كتبتلك ايه في الجواب ده يا صالح.. بس الي متأكد منه انها احسن منك مية مره يا صاحبي. عارف ليه؟ عشان اي ام في الدنيا وبالذات ملك الي احتملت كل الي حصلها بس عشان بنتها تعيش. هيبقى كل همها في اخر انفاسها ولادها. هي كمان كانت بتحبك أوي. تمام

بس في الدنيا دي ربنا بيخلق الحب جوأنا درجات الا حب الاين بيفضل اعلى حاجه فينا لآخر يوم في عمرنا. اي حب تاني يمكن يعلي ويمكن ينزل. الا ده..

وأنت دلوقتي هتعيش بذنوب فعلا زي ما بتقول. بس ذنوب ولادك يا صالح. ذنوب وصية ملك الي متنفذتش. ذنوب اتنين ملهومش في الدنيا غيرك خسروا امهم. قبل حتى ما يخبوا ريحتها جواهم شوية. وأنت دلوقتي بتأخذ منهم ابوهم. عشان تندفن أنت بالحياء. بس هما الي هيندفنوا جمب مامتهم هنا. أنت هتعيش وتموت لوحدهك يا صالح. ربنا هيطول في عمرك بس عشان تدوق الوحدة الي عيشتهم فيها دلوقتي.

أوووعي يا طاهر سبني... سبيووني في حالي كلكوا سبيوني.

صالح... عارف مين الي سمى بنتك؟ مين الي خرجها من المستشفى انه ارده وخلصها شهادة ميلادها؟ أنا عمها طاهر يا صالح.. عمها الحقيقي اخو ابوها.

... الأنت تقصد ايه يا طاهر؟

ايه؟ فاكرك أنت بس الي بتقدر تخبي حاجات يا صالح؟ أنا كمان على فكرة عارف.. عارف من بدري أوي..

عارف ايه يا طاهر؟

عارف انك اخويا يا صالح. اخويا الصغير الي ابويا سابهولي في الدنيا.

... ازاي ؟ عرفت امتى وازاي؟

قبل ما ام طاهر تموت يا صالح.. قائلتي.. قائلتي اخر امانه كانت شايلها من ابويا. الامانه الي شالتها معها بكل حب لا زعلت منه ولا اعتبرتها خيانة. بس عاملت الي أنت مش عايز تعمله يا صالح. الي أنت بتهرب منه بارداتك دلوقتي. هي عاملته من اكثر من ١٥ سنة .. لما عرفت ان ابويا اتجوز وخلف طفل صغير .. عشان يحمي مراته ويرد جميل الرجل الي وقف جمبه زمان. جدك عبد الحي . الي ساعد ابونا عبد الله في بدايات حياته لحد ما وقف على رجله. ووقفه في فرحته وشالني على ايده. لحد ما حس ان ايامه في الدنيا قليلة. طلب من ابويا يتجوز بنته عشان يحميها ومتكونش لوحدها. وبعد شهور ربنا رزقهم بيبك أنت يا صالح. ابويا فضل مخبي امانة جدك سنين.. لحد ما قرب اجله هو كمان. قال لامي كل حاجه. قالها كأنه بيستذنها تسامحه وتسمحه. كأنه بيرجع بالزمن لورا قبل ما يعمل كده وبيأخذ رأيها الأول. امي وقتها مضافتيش انه اتجوز وخلف من وراها. اتضايقت انه مقالهاش بس. كان ممكن تقلب الدنيا وتمشي وتزعل. خصوصي ان ابن جوزها تقريبا كان عايش في بيتها وبيتربى مع ابنها. بس بالعكس كبرت دماغها لاعلى درجة. واعتربت انه قضى واجبه تجاه راجل كان اكثر من ابوه. سامحته يا طاهر. سامحته وحبتك أنت اكثر م الأول. وطول السنين دي خبت عليا و عليك. كانت بتزور والدتك كل يومين تقريبا تظمن عليها وتوصيها. ولما ماتت الله يرحمها كان هاين عليها تخليك عايش معنا في بيتنا. بس ف نفس الوقت كانت عارفة انك راجل وقد المسؤولية ومش هتحتاج لحد.. وفعلا عاملت كده.

وكل يوم كان بيعدي. كانت بتشيل السر جواها اكثر. لحد ما قائلتي كل الحكاية. فهمت وقتها انها مش بس ام عظيمة دي كمان اقوى ست شفتها في حياتي. اتحملت سر جوزها وامأنته حتى بعد مماته بكثير.

أنا كمان مزعلتش. مانت اصلا طول عمرك اخويا الصغير. يبقى ايه الفرق بقه؟

هذة المرة صالح هو من احتضن طاهر. الغريب بالامر انها لم تكن المره الأولى الذي يحتضنوا فيها بعضهم البعض كاخوين حقيقيين. ولكنها المره الأولى الذي يفعل فيها كل منهما هذا وهو يعرف ان أخيه يدركه ايضا.

صالح.. أنت كمان مش مطلوب منك اكثر من كده على فكرة. حافظ على امانة حبيبك وقوم بواجبك . ولادك يا صالح. عشان خاطر ملك يا أخي.

خضع صالح أخيرا للقول وذهب مع خيه الاكبر طاهر الى المزرعة. صحيح انه ادرك صعوبة دخوله المكان مره اخرى وهو على عنتبه. الا انه سمع اصواتهم تاتي من الداخل بين الضحك والبكاء والحديث. فادركه طاهر ايضا وحثه على الذهاب للداخل.

بينما كان ابنه كريم أول من وقعت عينه عليه. فابتسم الطفل له. حتى أنتبه يحيي للمكان الذي ينظر اليه. فنظر هو الاخر ليجد طاهر وصالح واقفين امامه. فكان أول ما فعله هو الذهاب اليهم سريعا وضمهم اليه بشدة.

حتى أنتبه لهم ابنة أكرم أيضا وجاء راكضا ينادي عمه صالح. فكان بصالح غير حمله
وضمه اليه وتقبله. كأنه يعوض ما فاتته من حنين اليهم. اما يحيي فظل ينادي على زوجته
وجميلة أيضا حتى جنن سويا . ليتفاجؤا بصالح يقف امامهم وحالته لا ترضى ابدأ.

... حمد الله ع السلامة يا صالح.. خضتنا عليك أنت كويس؟

الله يسلمك يا جميلة. الحمد لله.

ايه يا غالية مش هتسلمي على صالح. اهو رجع اهو.

... في ناس تانيه لازم تسلم عليه الأول يا طاهر.. كريم قدامه اهو. بس أنا متأكد انه ناسي
ان في حد تاني كمان مستني.

غالية لو سمحتي.. خلي يستريح دلوقتي. وبعدين نتكلم.

جاء صوت بكاء الطفلة يقطع حديثهم. بينما لم تتحمل غالية اكثر فقالت:

شفت؟ سامع مش كده؟ عارف ده صوت مين؟ طبعا أنت مش هتعرفه لانك مسمعتوش قبل
كده اصلا.. ده صوت بنتك يا صالح. نور.. بتعيط عشان جعانة. المرضعه هتتأخر انهارد
شوية عشان ولادها هي كمان. واحنا مضطرين نستنى عشان منديش البنت حاجه من بره
تأذيها. لانها اساسا ضعيفة ومش هتتحمل. واهي دلوقتي . كأنها حست بوجودك على فكرة.
ده مش عياط جوع للاكل بس. ده جوع للحنية كمان يا صالح. الى ولا واحد فينا يقدر
يكفيها بيه.

غرس غالية سهمها في قلب صالح وذهبت لتهدئة الطفل ايضا. بينما ذهبت جميلة
خلفها. ووقف صالح ينظر لابنه النائم على الاريقة الان امامه. بينما نظر يحيي الى طاهر.
الذي اكد له بالنظر ان غاليي لم تخطئ. بل تكاد تكون الوحيدة بينهم التي تستطيع اصال
الحقيقة لصالح هكذا. وهو الشئ الذي تجيد فعله تماما الان.

تعالى يا صالح تعالى.. اقعد هنا جنب ابنك شوية.. ولا اقولك اطلع طيب غير هدومك كده
وخذ دوش. وانزلنا هنا ناكل لقمة مع بعض.

بالفعل صعد صالح الى غرفته في هدوء تام. حتى استوقفه صوت غالية القادم من غرفتها
تحدثت الى نور قائلة:

متعطيش يا حبيبي خلاص. عارفه مين جه؟ بابا جه يا حبيبي بابا جه. صوتك هز كيانه أنا
فهتمته. الامهات بتعرف بردوه. بكرا أول لما تكبري وتبقي ام هتفهمني أنتي كمان. امتي قلب
البنّي ادم بيتهز كده من جوه.

وقف صالح على عتبة الغرفة ينصت الى غالية. التي كادت ان تخنقه قبل قليل. الا انه كان يعرف ايضا. ماهية ما في قلب غالية وحزنها الشديد على ملك. لمح صالح يد ابنته الصغيرة تتحرك وتتشبك بملابس غالية. كان هذا هو الشئ الوحيد الذي عرفه في ابنته. اليوم الذي لمحها فيها أبيها كان عمرها ثمانية ايام وكانت يدها هي الشئ الذي رآه فيها فقط.

دخل صالح غرفته التي لا تزال تحمل رائحة ملك في كل ركن فيها. تجول صالح الغرفة وفتح خزانة ملك محتضنا ملابسها. كأنه يخزن اخر شئ منها داخله -حتى وان لم يكن الأخير بالفعل- الا انه اراد رؤية وجهها في كل ركن وكل شئ يخصها في الغرفة. حتى سريرهما الذي امتد عليه قليلا. لم يكن يخلو منها ابدا.

مرت قرابة الساعة حتى خرج صالح من غرفته ونزل اليهم لتناول الطعام. كانوا الجميع منتظرين بالاسفل. بينما تجمع الاطفال بجانب غالية وجميلة منهم النائم ومنهم المستلقي فقط حتى أكرم ابن يحيى الذي كان قريبا منهم. حتى لمح عمه صالح وركض اليه كعادته.

ابتسم يحيى الى طاهر الذي نفذ وعده بالفعل واحضر صالح كما قال. بينما جلسوا جميعا لتناول الطعام. حتى جاء صوت كريم باكيا. فقام صالح اليه سريعا يحضنته. يربت على يده..

مرت عدة ايام اخرى على نفس الحال. لم يرى فيها وجه ابنته. ولم يسمع منها سوى صوتها. بينما ظل الجميع على حاله بين الاهتمام بالبيت والأولاد. والمرضعة التي كانت تأتي وتعود لاطعام صغيرته. لم يتغير الكثير. حتى غالية التي انقطع املها من صالح لم تعد توجه اليه اي حديث. ولا تحثه للاهتمام بابنته مثل ابنه ايضا. لم يعودوا يعرفوا للايام شكلا ولا طعما حتى مرت سنة كاملة بعد موت ملك. وولادة ابنتها .. الحقيقة ان كل ما حدث في حياتهم كان يمر سريعا لدرجة انهم لم يعودوا يستغربوا كيف يمر الوقت بيهم سريعا هكذا. كيف يكبر الأولاد هكذا وكيف يبكروا هم معهم ايضا؟ كيف يمر الوقت بعد فقدان عزيز؟ كيف اصبحت حياتهم بائنة خالية من الروح التي كانت تحتلها. حتى بعدما كبرت عائلتهم اكثر بوجود رحمة ابنة أكرم وفاطمة. الان اكتملت عائلة أكرم ايضا. الان يجب ان يكونوا جميعا سعداء الا ان دائما ما كانت هذة السعادة ينقصها شيئا هاما. وهو ملك وروح صالح التي صبحت بائنة تماما حتى بعد مرور عام كامل على فقد حبيبته وام أولاده. عفوا! ام ابنه الوحيد. فصالح مازال لا يرى ابنته بالاساس.

...

اليوم هو الذكرى السادسة لوفاة ملك. اليوم هو عيد ميلادي السادس الذي حضره الجميع الا أبي. الذي كان يفضل قضاء هذا اليوم بجانب مدفن امي. الحقيقة ان سنواتي مرت وهذا اليوم لم يمر ابدا. أنا حتى لم اكن افهم ماذا يعني الاحتفال بعيد ميلاد احد ولا كيف تحيي ذكرى احد ميت ايضا. ولكنني اتذكر اني سمعت زوجة عمي غالية من قبل تتحدث ان لا ذنب لي بما حدث بمثل هذا اليوم ولا بد ان اعيش ذكرى جيدة لاتذكرها حين اكبر بدلا من تذكر موت امي في نفس يوم ميلادي.. حتى وان لم يكن أبي بجانبني كل عام. لابد ان يكونوا هم بجانبني. صحيح اني لم اكن ادرك المكان الذي يأخذوني اليه صباحا ولماذا يبكون بالصباح ويضحكون معي مساء. الا اني هذا العام تحديدا بدأت ادرك ماهية الامر. حين حكى لي أخي الاكبر كريم عن سبب اختفاء أبي كل عام بمثل هذا اليوم. الحقيقة ان لا شئ تغير خلال هذه السنوات. ولكن في عمري هذا ذو الست اعوام لم ادرك سوى شئ واحد. هو وجود أخي بجانبني في كل أوقاتي حين بكيت, حين ضحكت, حين اشتقت لامي, حين سألت أول مره عن أبي, حين ارتدت المدرسة أول مره, حتى حين اشتكت أول مره من زملائي بالفصل. كنا سويا نرتد الى المدرسة نفسها. أنا ومراد وعمر وعليا وكريم حتى أكرم اكبرنا الذي يكبرهم بعامين. كنا نذهب صباحا الى المدرسة ونعود الى المزرعة مرة اخرى التي ظلت ملازا امنا لنا جميعا كبارا وصغارا. كان أكرم اكبرنا يهتم بنا جميعا. كان مقربا كثيرا لأخي ومراد واخوه الاصغر عمر. الا ان علاقته بمراد ابن عمي طاهر كانت اكثر خصوصية. كان يفضلوا قراءة الكتب وممارسة الرياضة اكثر. بينما كان عمر وكريم يفضلوا لعب الكرة والدراسة اكثر. بينما كنت أنا اصغرهم واضعفهم ايضا. حيث وان كنت ورثت اشياء كثيرة من أبي الا اني ورثت اهم شئ من امي. قلبها.. قلبها الحنون والمريض ايضا. الذي بعد مرور شهرا واحدا على ولادتي. ظهرت بوادر مستقبلي. واني اسوف اقضى بقية حياتي في زيارة المستشفيات ليكي يحافظوا على حياتي اطول وقت ممكن.. أو على الاقل ليكي ليتمكنوا من الاهتمام بقلبي اكثر.. استمرت ايامي في المضى قدما وأنا اعيش وسط عائلة كبيرة. لم يملوا ابدا من الاهتمام بيه ومراعاتي أنا وأخي. ولكنني دائما ما كنت ادرك اني لازلت وحيدة ايضا. تماما كما كنت في صوري .. بينما كان مراد وعمر وعليا وأكرم لهم صور كثيرا سويا ومع ابائهم وامهاتهم الا اني كنت لا املك سوى عشر صور تقريبا. خمسة منهم مع أخي بينما الخمسة الاخرين وحدي...

ظل الحال كما هو عليه حتى اليوم الذي سمعت فيه جميلة زوجة عمي طاهر تتحدث مع احد على هاتف المزرعة قائلة:

لا يا دكتور أنا هاجي في المعاد ان شاء الله .. بس ارجوك زي ما اتفقنا لحد ما نتأكد في علاج ولا لأ مش عايزة حد يعرف حاجه وخصوصي طاهر.

اغلقت زوجة عمي الهاتف وأنا لم افهم. اي طبيب و اي علاج هذا الذي تنتظره؟ ولماذا تخفي شيئاً عن عمي ايضاً؟ ولكني لم اكن من النوع الفضولي ابداً لم اكن اتحدث كثيراً ولم اسأل الكثير ايضاً. كنت افضل قضاء وقتي مع أخي. بينما اثناء غيابه كنت اقضي وقتي وحدي حتى عليا لم تكن علاقتي بيها قوية رغم اننا نعد البننتين الوحيدتين بالمنزل. ولكن ربما بعدي عنها الى حد كبير جعلها مقربة اكثر من بنات خالها أكرم ريم ورحمة.

كان عمي طاهر يقول لي دائماً اني ورثت عزلة أبي ايضاً وان كانت تظهر انها اختياري.. بينما كانوا الجميع مشغولون بمساعدة غالية بسبب اقتراب موعد ولادتها الرابعة. الا اني لم اناشغل بما يدور حولي فقط كنت افضل وجود أخي معي وان لم يكن كنت اقضي وقتي بالغرفة.

ولكن لم يبقى الحال كما هو كثيراً. فقبل ان ينقضى نفس العام ١٩٩٩ فقدنا زوجة عمي جميلة. بعد رحلة عناء مع مرض لعين يسلب كل ما هو جميل. فقدناها بعد عدة اشهر فقط من سماعي مكالمتها تلك مع الطبيب. فقدناها بعدما عرف عمي طاهر بمرضها صدفة.. كأنه قدر رجال هذه العائلة ان يعرفوا بأوجاع زوجاتهم بعد فوات الأوان. وقدر نساء هذه العائلة ان تعاني في صمت ايضاً. كان الجميع يحاول الصمود من اجل عمي طاهر. حتى أبي الذي لم يتحمل خبر وفاة احداً اخر بعد امي. تمكن من الصمود قليلاً لاجل أخيه وصديقه ايضاً. بينما كان الحال مختلفاً بالنسبة لزوجة عمي غالية. لانها لم تفقد صديقة فقط. بل فقدت اخت اخرى عاشت وماتت معهم جميلة كاسمها تمام. مرت عدة ايام وعمي طاهر يرمي بنفسه بين القران والصلاة. كان يحاول قدر المستطاع ان يشغل باله بكل ما يريح عقله وقلبه صدقة لزوجته وامه. وبحثاً عن سلامة نفسه ايضاً.

بينما كنا نحن الصغار وان لم اكن ادرك شيئاً كثيراً كنت لاحظ اهتمام أكرم بمراد اكثر فاكثر مع الايام. كانوا مثل الاخوين بالفعل. حتى عمر وأخي كريم كانوا دائماً معه حين يبكي حين ينجي والدته حين يشعر بالوحدة. ولكنه أولاً وأخيراً طفل ذو ثماني سنوات. فقد امه دون سابق انذار مثلي تماماً. الفارق الوحيد هو انه حظى بحياة كاملة معها لمدة ثماني سنوات. بينما أنا لم احظى حتى بانفاسها القليلة في الحياة..

بعد عدة اشهر اخرى ولدت هنا ابنة عمي يحيي وزوجته. اصغر ابنائه الان و اخت عليا التي ملت حياتها منذ يومها الأول بيننا. الحقيقة انه كان قدر هذه العائلة منذ البداية ان تحزن أولاً ثم يفرحوا ثانياً. لتدور بيهم دائرة الحياة هكذا دائماً بين الحزن والفرح.

لم اكن اعرف عن الوقت الكثير.. لم اكن ادرك الساعات والايام من حولي. فقط ادركت اننا نعيش طبقا لما يحدث في يومنا -الشئ الذي عرفته فيما بعد بالقدر- الا ان تقلب من فرح الى حزن. ثم من حزن الى فرح جعلني افهم انه وان لم نختار ما نعيشه فلا بد منا تقبله وتعايش معه حتى يأتي حالا اخر ليبدله. الحقيقة اننا بالفعل لا نختار مع نعيشه. بل نختار ما نتعايش معه. صحيح ان احزاننا وافراحنا بيد الله أولا وأخيرا. ولكننا ندرك بعدها اننا عرفنا انفسنا اكثر من خلال هذا الحزن والوجع. عرفنا اننا نستطيع تقبل فرحتنا بعدها وتقبل حزننا الاخر بعدها ثم فرحتنا مره اخرى. حتى نهاية عمرنا.. نعيش اقدرأنا المكتوبة مسبقا لكي نتقبل القادم لاحقا. ليكي نعرف اننا مهما دورنا وعدنا. لا نهرب من مصيرنا الحتمي الأخير. فاما النار و اما الجنة...

حين مرت أول سنة من عمر هنا اصغر اطفال العائلة الان. قرر عمي يحيي التحدث مع أبي وعمي طاهر فيما كان يفكر بيه هو وزوجته غالية منذة مدة طويلة. وهو ترك المزرعة والانتقال للعيش في منزل اخر يسع عائلته الصغيرة الان.. بالطبع كان التفكير بهذه الخطوة صعب عليهم خاصة بعدما عاشوا كل هذه السنوات في المزرعة ومرت حياتهم بكل ما فيها.. ولكنها أولا وأخيرا كانت خطوة لابد منها. بعدما كبرت عائلتهم هكذا واصبح لديهم اولاد وبنات في مختلف الاعمار ببيت واحد. فكان لابد منهم الانفصال بأولادهم في بيت اخر حتى لا يكونوا عبئا على الاخرين اكثر من ذلك.

أنا مش عايزكوا تزعلوا مني.. بس أنتوا فاهمين طبعا العيال بتكبر ماشاءالله وميصحش نحجر على حرية الباقي بالطريقة دي.

والله يا بني أنا مش عارف اقولك ايه.. من ناحية اكيد معاك ومن ناحية تانيه هتقطع بينا طبعا.

أنا مش هسيبكوا اكيد.. هيفضل المكان ده يخلصنا ويلمنا سوا طول العمر.. أنتوا نسيتموا انه كان من الأول عشان خاطر كل العيال دي.

ربنا يكرمك يا ابو أكرم ويقويك على مسؤوليتك والي وراك.

وميجرمنيش منكوا ابدًا يا صالح..

الحقيقة أنا كمان حاسس انه قريب هعمل زيك.

معقوله يا صالح أنت بتقول ايه بس؟

يا بني يحيي معه حق. متنساش أنا كمان عندي بنت احنا بنكبر كمان بعيالنا مش هما بس.

ياالحبيبي أنا فاهمك بس دول ولاد عم..

اكيد طبعا. بس اهو زي مانت شايف كده أكرم وبناته بيجوا زيارات اكيد مش هنقطه احنا كمان من المكان متقلقش.

والله مش عارف اقولكم ايه. دي الحاجه الوحيدة الي مينفعش أنافكشكوا فيها.. المهم ربنا يعينا ع الي ورأنا.. ربنا يرحم الي راحوا.

امين يارب.. متقلقش يا بني مش هنسيبك أنت ومراد طبعاً..

أنا عارف يا حبيبي.. متأكد من كده كمان.

وبالفعل أنتقل عمي يحيي وزوجته وأولادهم الاربعة في نهاية الاسبوع الي منزلهم الجديد. الذي كان يبعد شارعين فقط عن المزرعة وكان عبارة عن دورين وخمسة غرف. جاهزوا منها واحدة للفتيات عليا وهنا واخرى لعمر واخرى لأكرم حيث كان اكبر اخواته وبالطبع له نفس حقوق أخيه. والغرفة الرابعة لعمي وزوجته. بينما الغرفة الأخيرة كانت بمثابة غرفة معيشة حتى تتحول الي غرفة ضيوف فيما بعد.

بينما بقينا أنا وأخي وأبي في المزرعة حتى يعيد تجهيز بيتنا القديم مرة اخرى. ومراد وعمي طاهر الذي اقنعه أبي بالبقاء في المزرعة افضل حتى لا يشعر ابنه انه يبعد عن ذكرياته مع امه فجأة. بينما اذا احتاج غير ذلك بعدين يمكنه الانتقال وقتما يريد. ولكنه الان بحاجة القضاء مع ذكريات زوجته وابنه في نفس البيت. حتى مر شهرين كاملين تمكنا وقتها من الانتقال الي بيتنا القديم حيث كانوا أبي وامي يعيشوا قبل ولادة أخي. صحيح انه يبعد قليلا عن بيت عمي يحيي والمزرعة قليلا. الا ان أبي دائما حرص على التواجد بالمزرعة خاصة اثناء عطل نهاية الاسبوع. والعطل الصيفية ايضا. ولكن حين يتعلق الامر بالمبيت في المزرعة كانوا يعيطوني غرفة لي وحدي في الطابق الثاني. بجانب غرفة أبي. بينما غرفة أخي ومراد ابن عمي في الطابق الاسفل وحدهم.

بجانب غرفة عمي طاهر.

الغريب بالامر انها تعد من المرات القليلة التي اكن فيها من القرب من أبي. وان كان هذا قرب الجدران فقط. الحقيقة لا اعلم لماذا. ولكني ادركت في عمر صغيرا جدا. اني احمل ذنبا كبيرا تجاه أبي.. فقط كي يتهرب مني دائما هكذا.. حتى وان لم اعرف هذا الذنب وعلاقته بامي. ولكنه في المرات القليلة الذي نظر فيها الي عيني نجح بجعلي اشعر بهذا الشئ دائما ربما لم يكن عن عمد ولكن كيف يمكن ان اذنب بحق شخصا ما وأنا لم اتجاوز الثامنة من عمري بعد؟ ولكني هكذا حكم علي بهذا المصير منذ صغيرى وحكم علي ان اظل ابحت عن اجابة هذا السؤال دائما.. وان كان القاضي هو أبي.

....

(٨)

مر كل هذا الماضي على ذاكرة عمي طاهر كفيلم امام عينه. حين تفاجأ بسؤال ابنه له لماذا ماتت امه؟ تذكر عمي طاهر كل ماضيه وتاريخه مع عائلته الكبيره وزوجته. ظل شاردا عدة دقائق في كل ما مر في حياته منذ بدايات زواجه من جميلة وذكريات تاخر حملها و مشاركتهم بيتهم مع والدته المرحومة ثم خطتهم للعيش جميعا في المزرعة وذكرياتهم هناك وولادة ابنه وحيد مراد. حتى وفاة ملك وجميلة وكل شئ مروا بيه جميعا وليس وحده هو من شهد عليه.. كان قد استقر هو وابنه في المزرعة وكنا ناتي لزيارتهم كثيرا حتى يتجمع الابناء كلهم في حديقة المزرعة كعادتهم.

ولكنه تمكن من استجماع نفسه قليلا ومسح دموعه التي سالت على وجهه وهو يحتضن ابنه وسؤاله معا. ليدرك سؤال ابنه ذو العشر سنوات له..

بابا ... بابا أنت سامعني؟

اااا حبيبي أنا اسف سرحت شوية بس. كنت بتقول ايه؟

بابا.. هو أنا ممكن اشوف ماما تاني امتي؟

مراد .. أنت عارف اني مش بخبي عليك حاجه مش كده؟

ايوه...

طيب يعني عارف كمان .. اني لما بقولك ماما في مكان احسن دلوقتي حتى لو بعيد عننا شوية. بس هي شايفنا و ده المهم مش كده؟

بس هي واحشني اوي.. أنا عارف انها مع مرات عمي صالح في الجنة . بس احنا كمان عايزين نشوفهم.

احنا؟! أنتوا مين؟

أنا وكريم ونور.. مش هما كمان مامتهم مش موجودة؟

حبيبي مش أنا قلناك قبل كده. ربنا الي خلقنا وربنا الي كتبنا بردوه امتي نموت؟

ايوه أنا عارف.

طيب.. يبقى ربنا خد ماما وملك مرات عمك بردوه الله يرحمهم. عشان بيحبهم مش عشان يحرمانا منهم زي مانت فاهم.. ربنا اختارهم عشان هما كانوا تعبانين شوية تعبانين لدرجة ممكن توجعنا احنا كمان معهم لو كانوا فضلوا موجودين. عشان كده خدهم عنده يكرمهم احسن مننا كلنا. واحنا مسبناش لوحدهنا بردوه. بالعكس أنتوا معنا وكلنا سوا مع بعض.. سابنا منهم ذكريات حلوة كتير نفكرها ونحبها .. عارف زي ايه؟

زي صورة مامتك دي .. أنت عارف أنا بنام كل يوم ببصلها بس عشان احكيلها كل حاجه بتحصل قبل ما أنام. اقولها مراد انها رده راح المدرسة. مراد نجح . مراد واخذ باله من نفسه مراد بيحب اخواته.

مش أنت بتقول انها شايفنا يا بابا؟ يبقى ليه بتقولها الي بيحصل كده؟

عشان أنا حابب احكيلها. عايز احكيلها كأنها لسه معيا تمام. بتكلم معها زي ماتكون قدامي. عشان دي حاجه مريحيني أنا كمان. فاهم حاجه؟

فهمت يا بابا فهمت..

مراد مش احنا اصحاب؟

طبعا يا بابا اصحاب أوي كمان.

طب يا حبيبي عايزك توعدي بحاجه.. بلاش نتكلم في الحاجات دي مع كريم أو نور. وخاصة نور ممكن؟ عشان أنت عارف هما تقريبا مشافوش مامتهم زيك. ع الاقل بلاش نحسسهم بحاجه يمكن ميعرفوش ياخدوا بالهم منها دلوقتي.. أنت تقدر تتكلم مع مامتك زي مانت عايز. لانك شفنتها وعشت معها تمن سنين بحالهم. بس هما لا.. أنت عارف طنط ملك ماتت وهي بتولد نور. وكان كريم صغير أوي عمره سنتين بس. يمكن عمك صالح قاله انها موجودة معها بردوه. بس يمكن ميقدرش يتكلم معها زيك عشان مش فاكر حضنها مثلا. صح ولا ايه؟

ايوه صح يا بابا معاك حق.. هأخذ بالي حاضر.

شاطر يا حبيبي برافو عليك.. يلا ننام بقه عشان نلحق الفجر سوا بقه.

قبل طاهر جبين ابنه واحتضنه اليه ونامه سويا. مغلقين حلقة ذكريات جميلة فتحت طريق كل الماضي اليهم الليلة.

بينما كان مراد يحكي لهم عن أبيه وهذه الليلة التي لم يرجح فيها كفة الحكايات. بل سؤال أبيه عن والدته ذلك اليوم في المزرعة. جاء صوت ارتطم قوي بالارض ليقطع حديثهم سويا. فقط في اللحظة التي صرخ فيها أخي كريم بجانبهم باسمي. ادركوا جميعا اني قد وقعت على الارض وأنا العب بعيدا عنهم بقليل . فركضوا سويا اليه بينما ركض عمر الي الداخل لينادي أبي يخبره اني قد اغمي علي بالخارج مرة اخرى..

فركض عمي طاهر وأبي الي. واخذوني الي المشفى ليسعفوني سريعا. مرت قرابة النصف ساعة حتى خرج الطبيب اليهم يخبرهم بان لا يوجد شيئا جديا فقط ضعف قلبي قليلا بسبب المجهود الذي بذلته في اللعب والركض.. كان ذلك حين جاء عمي يحيي ايضا. بينما كن أبي يستشيط غضبا بسبب اني افرط في اللعب من وجهة نظره ولا اسمع الكلام ابدا. حاول طاهر ويحيي تهدئته قليلا واخبره بان هذا الشئ طبيعيا ولا بد من حدوثه لاني مازلت صغيره. بينما لا يوجد خطورة على حياتي الان لهذا السبب ايضا.

استيقظت من نومتي لاجد أخي كريم بجانبني ومراد ايضا. بينما كان عمر بالخارج مع والده ينظر الي بشدة من خارج الفاصل الزجاجي.

كريم هو ايه الي حصل؟

مفيش حاجة.. تعبتني شوية بس خلاص هنروح.

هو بابا بيزعق عشان اغمى عليا بردوه؟

لا لا يا نور.. مش بيزعق ده بيكلم عمه طاهر في حاجة بس.

اه بالظبط يا نور هما بيتكلموا بس شوية.. والدكتور هيمشينا دلوقتي اصلا. مش كده يا كريم.

اه خلاص اهو.. هيكتبك الدوا بس.

حاول الولدين التخفيف عن اختهم قليلا. كي لا تدرك ان عصبية أبيها هذة ليس لاجلها بل بسببها فقط. بينما كان عمري ثماني سنوات فقط قد ادركت شيئا اخر اليوم. ان أبي لم يكن يفقد اعصابه هكذا سوى حين يتعلق الامر بي. وحين يفقدها يكون لتوبيخي وليس لاجلي ابدا.

مرت هذة الحادثة كما مر ما قبلها ايضا.. حتى الايام والشهور التالية التي لم يعرف لها احد بداية أو نهاية. فقط تمر علينا كعادتها ونمر نحن معها ايضا. حتى يأتي يوما ما اما تستيقظ من فزعك أو من فركك. ولكنه كان قدر ذلك اليوم ديسمبر عام ٢٠٠١ ان يستيقظ مراد ابن عمي فزعا من نومه بسبب حلم سئ ولكنه لم يعرف النوم بعدها ابدا. لانه حين ذهب الي غرفة والده بالمزرعة بحثا عن الطمئننة بجانبه. فزع اكثر حين رأى ان والده لا يتحرك ولم يشعر بيه نائما بجانبه كعادته ولم يضمه اليه كي يناموا سوا ايضا. فقط أنتبة ايضا حين وجد ان بطنه لا تتحرك للتنفس. الامر الذي دعه وهو الطفل ذو العشرة اعوام. ان يفحص نبض أبيه ايضا. ليجد انه لا يوجد نبض ولا تنفس. فنادى أبيه مره أخيرة قبل ان يذهب الي تليفون المزرعة ليتصل بعمه صالح. ليستجد بيه.. بينما كنت أنا لازال مستيقظة بغرفتي.. سمعت صوت الهاتف الارضى يرن. فزعت ايضا وأنا لم اكن ادرك الساعه بعض. ولكني اعرف انه كان وقتا متأخرا جدا لاننا ننام فيه.

ذهبت الي باب غرفتي مورابا لاجد أبي يتحدث مع احد على الهاتف. لم ادرك بعد انه مراد ابن عمي.

عمي ... عمي بابا مش بيرد.

ايه يا حبيبي الي بتقوله ده بس بعد الشر.. مش بيرد ازاي؟

بابا مش بيتحرك يا عمي.. أنا رحت أنام جمبه عشان اتفزعت محسش بيا ولا حضني زي ما بيعمل. وبطنه مش بتتحرك كمان.

يا ساتر يارب.. طب اقبل يا حبيبي أنا جاي حالا متقلقتش. خليك مكانك وأنا جاي على طول.
اغلق أبي الهاتف وتوجه مباشرة الى غرفته كي يتجهز للذهاب الى المزرعة. تجهز
سريعا ولكنه اثناء خروجه توقف قليلا كي يطمئن على أخي وانه لم يسمع شيئا قبل ذهابه.
وبالفعل كان أخي غارقا في نومه لم يسمع شيئا. بينما لم يمر الي ابدأ. ذهب مسرعا الى
المزرعة ليلحق مراد وهو يدعي ربه ان لا يحدث شيئا لأخيه الاكبر الان.
حين وصل الى المزرعة. كان مراد جالسا بجانب الهاتف والرعب يظهر من عينه.
وصل أبي اليه وناديه من خارج الباب ليذهب مراد اليه سريعا يفتح الباب. ليسأله أولا:
بابا فين يا مراد؟

فوق فوق يا عمي في الأوضة. الحقه بسرعة والنبي.

ركضوا سويا الى الغرفة لدخل صالح فزاعا وبمجرد دخوله يجد أخيه طاهر ساكنا في
مكانه على السرير مغمضا عينه في سلام.. ليستغرق الامر ثواني قليلة ليذكر الامر الحتمي
الواقع امامهم الان. فذهب الى يمين أخيه ويفحص نبضه. ليتأكد من الامر.. ويتم دعاء ما
بداخله. بينما كان مراد واقفا امامه لم يفهم شيئا بعد. ولكنه ادرك شيئا خطيرا حين وجد
الدموع تتلألأ داخل عين عمه.

هو... بابا ماله يا عمي؟ هتتصل بالدكتور صح؟

مراد.. تعالى هنا جمبي شوية.

ذهب مراد على جانب عمه ليربت على كتفه ويقبل رأسه بحنان. ليقول له حزنا واسفا.

مراد.. أنت عارف ان ماما عند ربنا دلوقتي مش كده؟

ايوه يا عمي.. عارف.

حبيبي. مش عايزك تخاف من حاجه أنا جمبك مهما حصل..

هو بابا ماله؟ مش هيصحى؟

حبيبي... بابا ... بابا راح عند ربنا هو كمان.. بابا عند ماما دلوقتي.

ادرك الصغير الامر. ونظر الى والده يشبع منه أخيرا. بينما لم يحأول حتى كتم دموعه.
فاطلق سراحها كي تنهمر على يد والده الذي تعلق بيها ولم يتركها من يده ابدأ. بينما كان
صالح جالسا امامهم لم يتمكن سوى من مشاهدتهم الان والحزن على أخيه الاكثر من شقيق
طاهر عبدالله سليم.

اتى الصباح سريعا ومعه الكثير من الحزن والاسى حين تجمع الاصدقاء في المزرعة ومعهم غالية وفاطمة زوجة أكرم. بينما كان يحيى وأكرم وصالح لازالوا مصدومين الحزن تمكن منهم على صديقهم واخوهم الذي الحق بالسابقين الان فجأة الى الجنة ونعيمها باذن الله.

بينما كنا نحن وبنات الخال أكرم وأولاد يحيى نجلس في الغرفة مع مراد. يستعدوا الأولاد للخروج مع ابايهم لحضور صلاة الجنزة. بينما اصر أبي على بقاء غالية وفاطمة بالمزرعة افضل معنا للاهتمام بهنا الصغيرة ايضا. فذهبوا جميعا لتأدية واجبهم تجاه أخيهم. بينما مرت الساعات وانقضت الصلاة والاجراءات.. لم نعرف طعم النوم يومها ابدا. خاصة أنا الذي أنتبهت ان أبي لم ينظر الي ولم يراني يومها مرة اخرى ايضا. لم اكن اعد الايام. ولكنى ادركت ذلك منذ زمن. انها اصبحت كثيرة ايضا.

بينما انقضى العزاء مساءا. قضينا ليلتها في المزرعة لآخر مرة حضورا مع ذكريات جميع الراحلين. بينما كان أبي جالسا وحده بالخارج في الحديقة. ذهب اليه عمي يحيى رابنا على كتفه ليخرجه من شردوه قائلا:

البقية في حياتك يا صاحبي..

الدوام والعزة لله وحده.. أنت كمان خسرت صاحب عمرك انهارده.

بس أنت غير يا صالح.. أنا من زمان عارف انكوا غير.. الله يرحمه ويرحم كل الي راحه.. عيش خفيف ومات خفيف.

صحيح.. طول عمره لا بتاع دوشة ولا بيتعب الي حواليه.

ربنا يجمعه بالغالبيين في الجنة ونعيمها يارب... دلوقتي مفضلش غيرك أنت يا صاحبي.

وأنت كمان يا يحيى. ربنا يقوينا على فراقهم ويخليك ليا أنت كمان.

حبيبي.. صحيح يمكن مش وقته دلوقتي بس الواد ده ملوش ذنب بردوه.

واد مين؟ مراد قصدك؟

ايوه طبعا.. اكيد مش هنسيبه عايش في البيت ده لوحده كده.. ايه رائك يجيي يقعد عندي اليومين دول. لحد اجازة نص السنة مثلا وهو اخوه ولادي اصلا أنت عارف. أكرم بيحبه.

أنا عارف يا يحيى ربنا يباركلك.. أنا لسه كنت هتكلم معه.. مينفعش بردوه يسبب بيته وحياته فجأة كده. الواد لسه في صدمته هيلاقئها منين ولا منين في السن ده. امه وبعدين ابوه.

تمام ع الاقل مادام قدام عيننا باذن الله ربنا يقوينا يعني ومنقصرش معه في حاجه.

يارب... بس يحيى أنا كنت عايز اقولك حاجه يعني..

قول أنا سامعك..

هو بالنسبة لمراد يعني واي كانت مسؤوليتنا ناحيته. بس معلش المكان الي لازم يعيش فيه بعد كده هو بيتي. بيت عمه صالح.

يا سلام.. هي فرقت يعني بيتي من بيتك دلوقتي يا صالح؟؟

مش القصد والله أنت عارف.. بس صدقتي أنا أولى بمراد من دلوقتي.. وربنا يقدرني ميحسش بفرق ابدأ بينه وبين كريم.

صالح.. هات م الاخر.. وشك بيقول كلام كتير أوي.. قول على طول

... يحيي أنا عارف أنك هتزعل.. بس صدقتي لو في حاجه واحده بس كان لازم اخبئها عنك يا صاحبي. هتبقى دي.. فاعذرني فيها.

صالح... قول يا بني. متوجعش قلبي معاك...

الحقيقة يا يحيي.. أنا بقولك كده عشان فعلا أنا... أنا عم مراد. طاهر الله يرحمه يبقى اخويا بجد.. اخوات من الاب. ابونا الحج عبدالله يرحمه.

... اايه؟؟ أنت بتقول ايه يا صالح؟

دي الحقيقة يا صاحبي... حقا عليا أنا عارف.. بس ده الي حصل من زمان أنا نفسي مكنتش اعرف ان طاهر عارف غير بعد موت ملك على طول.. اليوم الي رجعتي فيه المزرعة تاني..

يعني ازاي؟ طب أنتوا متأكدين يعني؟

هههههه ايوه متأكدين يا يحيي.. شهادة ميلادي وامي الله يرحمها. طاهر نفسه عارف كده يبقى ايه بقه؟

يا حول الله يارب.. سبحان الله في حال الدنيا بجد.

أنت زعلت عشان خبنا عليك صح؟

لا يا بني هزل من ايه؟ اكيد دي حاجه شخصية في الأول والاخر. بس مراد دلوقتي...؟

مراد ابن اخويا أولا وأخيرا.. أنا مش بمنعك عنه والله أنا بعرفك أنك كده وراك همك وحياتك اي التزم مادي تجاه مراد ده بتاعي أنا مينفعش غير كده يا يحيي.

يا الحبيبي. وهي المشكلة مشكلة فلوس يعني؟ أنت عندك بنت في بيتك بردوه متنساش.

... نور أوضتها هتبقى في الدور الي فوق زي ما هي .. و مراد وكريم في أوضتهم تحت.. ولما يكبروا ان شاءالله تحت لو فصلنا الأوض هبيقوا زي ما هما تحت. هيفضلوا اخوات أولا وأخيرا بردوه أنا عارف تربية طاهر كويس.

عين العقل يا صاحبي... ربنا يعينك وبياركلك يارب.

وأنت كمان ... المزرعة هتفضل مفتوحة كده كده. بيتنا كلنا.. ربنا يعدي الايام دي على خير وأنا هتكلم مع مراد لازم يعرف انه مش لوحده. مش بس عشان احنا حواليه . عشان اهله لسه موجدين.

اكيد.. وأنا معاك يا صاحبي. معاك في اي حاجه تصبر العيال دي وتقويهم على ايامهم.

وبالفعل مر اسبوع الجنازة الأول بالمزرعة. حيث كان يحيي وغاليه وصالح وأولادهم بجانب مراد في بيته الذي قضى فيه طفولته كلها بينهم ثم مع والده بمفردهم حتى وفاته. حتى تحدث صالح مع مراد بخصوص نقله للعيش معهم ببيته مع أولاده. حتى قال له انه لا يجب عليه ان يشعر بالغربة لان صالح ينفذ وصية أبيه طاهر والامر ليس فقط مجرد توفير سكن له. بل وجوده ببيت عمه ووسط عائلته. وانهم لم يتمكنوا بشكل نهائي عن المزرعة كل شئ سيبقى كما هو. فقط سيصبح لمراد بالدم واب بمثابة عم.

(٢٠٠٢)

"المرحوم مابين طرفين وبيتمضي..وباتفاق والكل على المقسوم رضي الطرف الأول بيعشم دايمًا بالخير والطرف الثاني طماعنكي مشبعش ورضي.. ونلاقي الصديق بقى العدو ونلاقي الملايكة اتعدوا والشر الي ماسك فينا احنا الي بنقعدوه"(حسين الجسمي ٢٠١٨)

كانت لاتزال الساعه ١٠ صباحا وأنا استمع للراديو الخاص بي. حتى وان لم ينتبني النوم كثيرا الليلة الماضية الا اني لم اكن احب تفويت الصباح الباكر ابدا. الحقيقة انها احدى ميزات غرفتي التي جعلتني اتمسك بها لاكثر من عشرون عاما مضوا. لم تتغير كثيرا منذ طفولتي الى الان وان كان كبر سريري قليلا وكبر دولابي. ولكني دائما احببت لون الغرفة والستائر البيضاء. التي تسمح لاشعة الشمس هذة دخول الغرفة وملئ ارجائها. صحيح لم يكن حبي للالوان والستائر اختياريًا. ولكني لا اذكر كثيرا ان على مدار سنوات كثيرة ماضية اهتم أبي بسؤالني ان كنت اريد تغيير شيئًا ما بغرفتي. وان عاد الامر للسريير والدولاب.. فهما كانوا مفاجأة أخي كريم لي في عيد ميلادي العشرون منذ اربع سنوات.

هل تغير شيئًا ما؟ لا على الاطلاق أبي ما زال أبي ومكاني مازال ذاته سواء على سفرته التي اجلس على الكرسي الرابع يمينا فيها وليس امام أخي ومراد. أو في حياته التي لم يكن يراني فيها كثيرا ايضا. أنتهت دراستي في المدرسة وأنا اعرف تماما اني وحيدة لم يكن لي الكثير من الاصدقاء ولم اكن احب التعامل مع الكثير ايضا.. حتى عليا كانت علاقتي بيها تبعد يوما عن يوم. ليس فقط لانها تكبرني عمرا بل لانني لم اكن اعرف كيف يحافظ احدا ما على علاقته بالآخرين. ثم دخلت الجامعة.. كلية الاعلام جامعة القاهرة. شئ جميل بالتأكيد. ولكني قضيت سنواتي الجامعية بالسكن الجامعي وليس ببيتنا بالمنصورية. بل الاكثر من ذلك أنا لا اذكر مره واحدة اتأني اتصل فيها بي للاطمئنان علي اثناء تواجدي بالسكن. ولا اثناء امتحاناتي. حتى اثناء تخرجي. صحيح الامر بهذا السوء. ولكن ليس كاملا. فكان أخي دائما معي. أخي الذي حملني على عاتقه منذ زما بعيدا حتى دون ان يدري.

كان هو ومراد من يهتموا بي وباحوالي. حين تعبت كان أخي من يخذني للطبيب. حين ضحكت كان أخي السبب. وحتى حين بكيت كان أخي من يواسني. وجوده هو و مراد بالبيت فقط ما يساعدي على خروجي من الغرفة. والا غير ذلك فأنا افضل غرفتي دائما وأبي يفضل وحدثه دائما ايضا.

اما عن امي. ملك.. حكوا لي كثيرا عنها حكوا لي عن جمال روحها وطيبتها سمعت الكثير والكثير من عمي يحيي وزوجته. حتى أخي وان لم يكن يذكر الكثير الا انه دائما ما يقول لي انه يشعر ان رائحتها ملتصقة بثيابه لذلك لم يشعر يوما انه وحيدا من غيرها. والاهم من ذلك اني اصبحت اعرف الان تفاصيل ذلك اليوم. يوم ولادتي ويوم جنازتي في عين أبي ايضا. يوم قرر أبي تحميلي ذنب وفاتها. ويوم قدر لي فيه ان احمل من امي فقط قلبها.

كبرنا جميعا.. نعم بالطبع.. أخي الان يعمل بمجال الهندسة و احيانا كثيرة يهتم بشركة ابي الذي انشائها قبل سنوات قليلة حين قرر انه لم يعد يتحمل فساد الاخريين وانه سوف يستقل بعمله في الهندسة المعمرية. احتلت الشبية وجه ابي ايضا.. تغير كثيرا. كان عمي يحيي يقول لي دائما ان عينا ابي كانت تضحك دائما. اما الان اصبح اكثر وقارا وثباتا. حيث لم يعد يعرف ان كان هذا حزنا ام اثر الزمن والنضج عليه. صحيح أنا اقول كان. لاننا خسرنا عمي يحيي ايضا قبل اربع سنوات.. فقدنه في صمت وهدوء تام كما كان يعيش حياته دائما. بعدما قضى عدة ايام فقط يشعر بغصة قلبه بعد رجوعه وزوجته من اداء فريضة العمرة. حتى لم يكتر الله عليه كثيرا. فقط بعد خمسة ايام من عودته فقدنه في سريره بجانب زوجته وبيته وسط اولاده الذين كانوا جميعا حوله و اتاحت لهم الفرصة لرؤيته مرة أخيرة قبلها بليلة.

الان لم تعد عائلتنا كما كانت. اصبحت مقتصرة فقط على صداقة الشباب بينما كان ابي يفضل وحدته بعدما خسر اصدقائه جميعا. اما زوجة عمي غالية فكانت بطبيعة الحال لا يعجبها سلبية ابي تجاهي أو تجاه حياته كاملة. وبما اني لم اكن من ذوي الاجتماعيات كثيرا. فقد كنت التقى بيها واولادها فقط مواخرا في المناسبات السنوية. حتى المزرعة ملزهم الامن كما كانوا يطلقون عليها. اصبحت خالية من هذا الحنان والسكينة التي كانت تسكنها. اصبحت غالية فقط من تهتم بها اسبوعيا لمعرفة بان الاربع الاولاد مازلوا يحبون التواجد فيها رغم مرور السنوات ورغم فقد الكثيرين.

صحيح رغم كل ما حدث حتى الان. الا ان الشئ الذي يبهرني دائما هو محافظة هولاء الاربعة على الرابط بينهم مهما مرت السنين. فأكرم وعمر ومراد وكريم كانوا وما زالوا يلتقون ويتحدثون الى الان. حتى انهم لم يشعروا باختلاف الكثير حولهم. ومرور السنوات وكبر عقلم وعمرهم ايضا بسبب انهم كانوا دائما معا في كل الظروف وكل شئ. كان أكرم الاقرب لمراد بينما كان عمر وكريم الثنائي الملتصق. حتى بالبيت فرغم وجود مراد وكريم سويا بنفس البيت الا ان صداقتهم بالاخريين الا ان صداقة مراد وقربه من أكرم كانت الاكثر تميزا. فمراد الان يعمل مهندسا بمجال البترول. حيث كان يسافر كثيرا ويعود بينما كانت عودته كل مره تحمل شيئا ما مختلف بداخله الا اني ظللت سنتين واكثر لم أنتبه ولم اهتم بذلك ايضا. وانه كبر الان لدرجة ان يشعر بنبضات قلبه وبريق عينه. كان مراد لا يختلف عن كريم بالنسبة لي. فنحن الثلاثة كبرنا بنفس المنزل على نفس الطاولة. قيل لي انه أخي كمثل كريم تماما. وأنا لم اشعر يوما بشيئا اخر ولم اكن اعرف اذا كان من الممكن ان اشعر بذلك. فأنا لم يكن يوما لدي احد اسأله عما يدور في قلبي. أو ربما لم اشعر يوما انه يمكن ان يدور شيئا بقلبي.

ولكن الامر اصبح مختلفا بالنسبة لمراد. حتى وان لم ادري بذلك. فطوال السنتين الماضيين حتى قبل نهاية دراستي الجامعية. كان مراد دائما ما ينتظر رجوعي. كان يسأل أخي كريم عني دائما ان لم يتمكن من رؤيتي بنفسه.

طب ليه؟ مش قلت عايز تتكلم معه؟

كل مره بقف قدامه بحس لساني بينعقد. لا بقدر اتكلم ولا بقدر اخبي.

حبيبي أنا قتلتك قبل كده اي كان نصيبك هيصيبك هيصيبك. أنت لسه في أول عمرك.
والدنيا قدامك أنا عارفه الي في قلبك من زمان. بس لو متقدرش تقف ورا احساسك ودافعت
عنه مش هتعرف تعيشه كتير.

دي أول حب في حياتي يا امي.. وأول بنت دقلها قلبي بس مش عارف ليه بعطل كده ومش
عارف اخذ خطوة واحدة في طريقي ده.

يبقى كل تأخيرة وفيها خيرة يا حبيبي. يا عالم هتشوف ايه في طريقك والي هتعيشه
يرضيك ولا لا؟ بس الي لازم تعرفه يا عمر انك لو مرضتتش بيه وحربت عشان حبك. تبقى
مش جدير كفاية بي من الأول.

طب اعمل ايه يا امي؟ قوليلي

الصبر حلو... بكرة تشوف بعينك اشارات قربكم لو ليكم نصيب في بعض. ولو ليكوا نصيب
محدث هيعرف يوقفه ابدأ.

يااارب يا امي يااارب...

قبل عمر يد امه وسلم عليه ذاهبا الي غرفته. ليتركها وهي تدعو له ولاخواته بالهداية و
روق البال والاحوال. بينما دخل هو غرفته يفكر في حبيبته وينظر خارجا الي القمر الظاهر
اعلى غرفتها بالسماء مزينها .. داعيا ان تكون هي الاخرى مستقيظة الان وان كانت بعيدة
عنه لا بد لها ان تشعر بان هناك من يسهر لاجلها ويدعو ان تكون من نصيبه يوميا.

(١٠)

بعد مرور عدة ايام...

كان الهواء اصبح باردا قليلا يندرعن دخول شتاء قوى. حتى وان كنا مازلنا بالخريف. الا اني كنت اخاف كثيرا من ظلمة ليل الشتاء وبرودة هواءه. لذلك كنت اقضي وقتي بالغرفة خاصة عند ظهور بواذر البرد هذة. ولكن هذا المساء لم تمكن من النوم ابدا. كنت استمع للردايو وأنا اشاهد السماء من خلف زجاج شباكي. ولكن تلك الغصة التي احتلت قلبي ليلتها جعلت حتى السماء تبدو كالحجر بالنسبة لي. لذلك كنت ادور الغرفة ليلتها كأني لم يسعني مكان ابدا فيها. حتى سمعت صوت هاتف أبي يرن بالخارج .. كان مازال مستقيظا. عرفت ذلك ولكني حتى لم اكن اهتم من قبل بماذا يفعل خارج غرفته بهذا الوقت. الا ان رنين هاتفه ذلك غص قلبي اكثر لدرجة جعلتني افتح باب غرفتي واقف خارجها بالممر لاستمع الى من يحدثه بعد منتصف الليل هكذا؟ حتى سمعته يقول:

الو ... ايوه أنا افضل... ايوه ابني هو فين؟ اايه مستحيل... لا اكيد مش هو اكيد...

لم يستطع أبي اكمال كلامه لحظتها لانه سقط مغشيا عليه فور سماعه كلمات ذلك المتصل... الامر الذي جعلني افزع مكاني واركض سريعا تجاه صوت ارتطمه بالارض لاجده واقعا ارضا لا يتحرك ابدا. ذرعت كثيرا حتى اقتربت منه محاولة ايقافه .. الا ان لم يحرك ساكنا ابدا. لاجد بجانبه هاتفه مازالت المكالمة قائمة فيه...

بابا بابا رد عليا... بابا مالك؟؟ ... يا انا الله الو مين معيا؟؟

أنتي مين؟؟ مش ده رقم الاستاذ صالح والد كريم صالح؟

ايوه هو أنا بنت واخت كريم.. هو بابا وقع على الارض مغمى عليه.. أنت مين وقتله اايه؟؟
ااا أنا ظابط من مديرة امن القاهرة.. احنا لاقينا نمرة على تيلفون جثة من الاتنين ولازم نبلغكم للمعاينة.

ايه؟؟ جثة ايه؟؟ أنت بتقول ايه؟؟

ااا اخوكي كريم ... لاقينا مضروب النار في ارض قريبة من مزرعتكم اول الطريق الصحراوي.

ايه؟؟ كريم؟؟

وقعت كلامته كالصاعقة داخل قلبي لتؤكد ان غصة قلبي هذة الليلة لم تكن من فراغ. بل لتندرنني اني على وشك خسارة عقلي وقلبي معا الان. ليس فقط لفقد أخي بل لفقد الباقي من روحي ايضا. ان كان بقى بيها الكثير من الاساس.

الان بقى أبي بلا حركة بين يدي ارضا. بينما بقيت أنا بلا نفس لسماعي خبر دفني حية قبل وفاتي قبل لحظات.

أنا خصلت المطبخ لو عايزه...

هااا تمام تمام ماشي.

في حاجه ولا ايه؟ قلقان كده ليه؟

لا لا ابدأ مستني مكالمة بس.

طيب أنا طالعه الأوضة..

لم اكن احب خوض حديث طويل معه. لذلك كنت اکتفي باجابة صغيرة ان كانت ردا منه أو عليه. صعدت بالفعل الى غرفتي واغلقت على نفسي من الداخل كعادتي. ليس فقط لاننا وحدنا بالمنزل. بل لاني بالاساس لم اكن استطيع الثقة باحد ار في الدنيا غير أخي.

ظل مراد مكانه بالاسفل. يفكر في مدخل للافصاح عن مشاعره تجاهي لكریم. ان كانت بالاتصال بيه لحظتها ام وجها لوجه افضل. ظل يفكر وهو يعرض في اظافره حتى توصل الى انه يجب عليه الاتصال بي الان حتما ولا بد. كي لا يكون له فرصة الرجوع عن خطته مره اخرى.

الو ايوه يا كريم ازايك؟؟

مأنا كنت معاك في البيت يا بني مالك؟

لا لا مفيش.. بطمن عليك ياخي الله... بقولك ايه أنت جاي امتي؟

بعد الشغل عادي.. ليه في حاجه ولا ايه؟ نور كويسه؟

هااا اه اه كله كويس مفيش حاجه.. أنا الي عايز اتكلم معاك شويه.. بقولك ايه ينفع نتقابل بره.. اقولك تعالى المزرعة بعد المغرب ينفع؟

بعد المغرب؟؟ حاضر تمام.. أنت فين دلوقتي طيب؟

أنا في البيت بس نازل اهو... عشان نور متضايقيش هستناك هناك وقت لما تخلص تعالى.. بس متقولش لحد حاجه لحد ماشوقك عشان عايز اتكلم معاك الأول..

ياالحوال الله يارب.. مالك يا بني قلقتني؟؟؟

لا لا متقلتش والله.. الموضوع بس يخص الي كنت كلمتك فيه من يومين...

اااا حبك المجهول ده... ههههه خضتني يا أخي.. خلاص حاضر ان شاءالله.. في المعاد اكون عندك.

ماشني سلام.

اغلق مراد الهاتف.. بينما سمعت أنا صوت غلق الباب بغرفتي .. ادركت انه مراد خرج أخيرا من المنزل. واني اصبح بامكاني الهدوء الان ولو قليلا. لم يوترني وجوده في المطلق.. ولا حتى كنت اخشه كما يفكر. ولكني ولا اعرف لماذا. اصبحت مؤخرا انتجبه كلما اتاحت لي الفرصة. حتى في وجود أبي وأخي بالمنزل. كنت لا اشعر بالارتياح ابدا. بمجرد معرفتي انه حولي بالمكان. يمكن بسبب نظراته التي كانت تزعجني حين أنتبه له. أو بسبب غصة قلبي التي تحتلني حين اشعر بانفاسه معي بنفس المحيط. لم تكن نظراته متجسسه أو مؤذية. ولكن مجرد شعوري انها لم تعد نظرة اخالي. جعلني اشعر بكل ذلك مسبقا.

ذهب مراد مبكرا الى المزرعة. حتى قبل الموعد بكثير. الان انه لم يتمكن من تجهيز حديثه ولا ايجاد الطريقة المناسبة للتحدث مع أخي عني وعن مشاعره هذه. لذلك لم يسعه مكان سوى هناك. لذلك ذهب الى حديقة المزرعة ولكنه تفاجئ باناه لم يكن وحده هناك. فعمر وأخيه أكرم ايضا. كانوا قد سبقوه قبل مدة لما لهم من حديث اراد عمر انهائه اليوم مع أخيه. لذلك حين اراد مراد الاقتراب منهم قليلا.. لفت سماعه مرور اسمي بحديثهم. لذلك جعلته الصدمة ينتظر خلف شجرة ما. لينصت لهم خلسه. ما الذي يتحدثوا الان هناك. وما علاقتي أنا بحديثا ما بينهم سويا؟؟

يا أكرم أنت عارف اني بحبها من زمان.. كل الفكرة اني مش لاقى طريقه اعبر بيها عن الي جوايا.. لا ليها ولا لكريم.

عمر ... حبيبي أنا فاهمك... بس أنت عارف الحاجات دي عايزة دخول البيت من بابيه. يعني مجرد فكرة انك تكلمها دي مش مطروحة اساسا. أنت مش عليك حاجه غير انك تكلم عمي صالح أو كريم بشكل مباشر. وأنا عارف كريم قريب ليك ازاي.. يبقى كلمه على طول طيب ايه المشكلة؟

طب ومراد؟؟

.... ماله مراد؟

ماهو مراد ابن عمهم بردوه. ايه رايبك لو امهدله هو الأول ع الاق...

لا مراد لا يا عمر... اسمع مني

...؟؟؟ ليه؟؟

!!! المفروض تكلم صحاب الشأن الأول. واصلا حتى كريم أو عمي صالح مش هيكون ليهم الرد الأخير هي صاحبة القرار الأخير في الحكاية دي توافق عليك أو ترفضك.

مش عارفه . شكلك مش طبيعي من ساعة ما جيت من بره . ومتكلمتش كثير ع الاكل .

.... مش عارف يا بنتي والله .. حصلت حاجه غريبة انهارده .

ايه الي حصل؟؟

قوليلي بس الأول . هو مراد مجاش البيت انهارده تاني؟؟

لا من اخر مره خرج الصبح .. مرجعش لحد دلوقتي .

يعني أنتي شفتي الصبح مش كده؟؟

ااه اه مكنتش اعرف انه في البيت انهارده اتفاجئت بيه وأنا في المطبخ الصبح . بعدين قتلته خليك بره بقه لحد ما اخلص . خلصت طلعت الأوضة سمعت الباب بيتفتح فهمت انه مشي ومشفتوهش تاني .

الامممم كويس .. يلا الحمدلله

طب ايه الي حصل مقولتليش ..

يا بنتي كلمني كنا المفروض نتقابل انهارده .. ومجاش ومش بيرد على تيلفونه مش عارف في ايه؟

ياالسلام!! دي حاجه غريبة اوي . ومرجعش هو لحد دلوقتي كمان!؟

ايوه بالظبط ..

طيب اصحابكم ميعرفوش عنه حاجه .. يكون مع حد فيهم؟؟

قابلت أكرم وعمر انهارده مشافهوش برده .

امممم ربنا يستر .. مكانش بيعمل كده يعني!!

صمت كريم مصدوما .. بينما لم تغب الدهشة عن عقلي أنا ايضا . اين اختفى مراد هكذا ولماذا؟؟

....

كان لايزال يفكر بما سمعه امس . عقله يستشيط غضبا كلما تذكر ان عمر يحب حبيبته . وانه وضع عينه عليها للزواج بها ايضا . لم يرجع البيت ولم يتكلم مع احد . ظل يهيم الشوارع حتى استقر بمكان المقهى القديم حيث كانوا يلتقوا ابائهم منذ زمن بعيد . ظل طوال الليل يفكر وكأنه على وشك حرق نفسه والمكان من حوله . لم يعرف ما يجب عليه فعله الان .. كيف ياخذها منهم؟ كيف له ان يحافظ على حبه ولا يسمح لهم بالتفريط بيه؟ شعر انه اصبح لا مجال امامه حتى للتفكير قليلا . لا بد له ان يخطو خطوة فعلية الان . والا سوف يخسرها للابد ..

ولكن لم يحسب حساب تكلفة هذه الخطوة لحياته و حياة الاخرين ايضا. تمكن الشيطان من عقله لدرجة جعلته يفكر حتى في خطف ابنة عمه من البيت والزواج بيه قبل ان يفعل عمر. ولكن لم يقف عقله عند هذا الحد فقط. فاستقرت نفسه أخيرا.. اما ان يكون هو أو لا احد غيره ابدا...

مضت الساعة ١٢ ظهرا. وهو يجلس بمكانه في المقهى القديم. بينما كان كريم يحاول الاتصال به كثيرا. اغلق الاتصال واغلق هاتفه تماما. وعزم امره على انهاء هذا الامر اليوم حتما.

بينما كان الامر مختلفا قليلا ببيت أبي. الذي استيقظ صباحا يسأل عن مراد الذي اختفى منذ امس ولا يعرف عنه شيئا. بينما اجابه كريم بانه ايضا لا يعرف عنه شيئا و ينتظره منذ امس. لذلك بدى عليه بعض الغضب الذي جعلني ادرك انه سوف يكون من نصيبي اليوم لا محالة.

من ناحية اخرى كان الامر طبيعيا ببيت غالية وأولادها. حتى جاء ذلك الاتصال الذي غير مزاج أكرم قليلا لدرجة جعلته يهرب الى شرفة البيت للتفكير كثيرا عما جرى خلال هذه الايام.

عمر هو أكرم ماله؟

مش عارف يا عليا.. من امبارح تصرفاته غريبه كده وشكل قلفان أوي.

طب ما تشوفه كده.

طب هي هنا فين وماما؟

ماما بتصلي في الأوضة. وهنا اهي في المطبخ.

طب لو ماما نزلت متخليهاش تاخذ بالها كده لحد ما اشوفه.. وقولي لهننا كمان تغلوش علينا كده.

ماشى ماشى... بس هو في حاجه كبيرة يعني ولا ايه؟؟

مأنا عايز افهم عشان مش مطمئن من امبارح بردوه.

ترك عمر توامته وذهب باتجاه الشرفة لرؤية أخيه ومعرفة الشئ الذي اخذ عقله هكذا بالايام الماضية.

يعني بتشم شوية هوا. قولنا طيب احنا اخواتك نيحي نشم معاك. ليه الأنانية دي؟

هههههه ياسيدي هوا كله تحت امركم اهو اتفضلوه.

مالك يا أكرم؟ أنت عارف اني بهزر.. بس حتى ضحكك مش من قلبك زي العادة. بتفكر في ايه من امبارح؟؟

لا مفيش حاجه أنا بس...

مين الي كلمك في التليفون من شوية؟؟

أكرم... أنت مش بس اخويا الكبير. أنت صاحبي وابويا وكاتم اسراري .. يأخي ده حتى عليا بتقول أنتوا الي توام مش أنا وهي... قولي بقه مالك في ايه؟

الموضوع بيتعلق بالي حصل امبارح صح؟؟ ومقابلتنا لكريم؟؟

مراد.

ماله مراد؟؟

هو الي كلمني من شوية طلب يشوفني انهارده..

بجد؟؟ طب كويس ده كريم كان بيدور عليه الصبح اتصل سألني عليه.

مأنا عارف..

طب استنى اطمنه بقه ...

منع أكرم أخيه من اجراء ذلك الاتصال.. ليندهش عمر قليلا

استنى يا عمر... بلاش دلوقتي.

... ليه في ايه ؟

في حوار بيني وبين مراد كده.. مش عايز حد يعرف عنه حاجه دلوقتي. وبعدين لو هو كان عايز يعرفهم كان اتصل بيهم من نفسه.

أكرم .. هو في ايه بالظبط؟؟ ايه الي مخبي أنت وهو كده؟؟

عمر .. لو سمحت بقه أنت عارف كويس مراد بالنسبه لي ايه زيك زيه في عيني مفيش فرق بينكوا. مراد تربية ايدي زيكوا بالظبط. من صغره وهو معيا وتحت عينيا أنا عارفه كويس...

حبيبي مراد لو عنده مشكلة بيجري عليا أنا أول واحد.. عشان كده مينفعش اتخلي عنه دلوقتي.. هو كمان عنده حوار مضايقه عايز يحله ويأخذ في خطوة.. خليني معه لآخر الخط. زي مأنا معاك كده على طول.

ايوه يا أكرم بس أنت مش على بعضك من امبارح.. طب لو في مشكلة عرفني قولي نساعدكوا حتى...

.... لا يا حبيبي مفيش مشكلة ولا حاجه ربنا يستر.. ااا عمر عايز اقولك على حاجه تانيه اهم دلوقتي...

قول يا سيدي.. اهو نطلع منك باي حاجه..

أنت لازم... لازم تكلم كريم في اسرع وقت ممكن.. لو تقدر انهارد تمام...

نعم؟؟ انهارده؟؟ ليه السريعة دي في ايه؟

عمر... خير البر عاجله.. البنبت بنتنا وأنت ابننا وعرفانك.. ع الاقل خرج الموضوع من ايدك وارمي في ملعبها.. يا توافق يا ترفض..

ايووه فاهم.. بس ليه يعني؟

أنا مش فاهم حاجه...

مش مهم دلوقتي.. المهم اسمع كلامي وحار عشان حبك.. وصاجبة الشأن تقرر في براحتها.. أنت عليك دورك كراجل بتسعى للخير وخلص.. اقف ورا حبك لآخر لحظة واسمع قلبك عشان متندمش بعد كده عمرك كله.

أكرم أنت...

أنا خارج دلوقتي.. هشوف مراد وارجع تاني... ومتكلمش حد تقوله حاجه اصبر لما ارجع.. هشوف ماما الأول واخرج.

انطلق أكرم بالفعل تجاه غرفة والدته بينما ترك أخيه بالشرفة يفكر فيما اخبره به الان. كأنه لمس خط حياته في لحظه جعلته يدرك ان الوقت اسرع من يخسر دقيقة في طريق حبه...

دق أكرم غرفة والدته.. ليجدها مازالت تصلى على الارض بجانب كرسي والده كعادتها. فابتسم قليلا ودخل الى جانبها جالسا ارضا. حتى أنتهت من صلاتها لتجده ينظر اليها باسماء. فبادلته الابتسام هي الاخرى بينما لم يكتفي هو بذلك فضمها اليه قليلا. أوجد بعض الطمئننة التي هربت منه قليلا الايام الماضية.

ماالك يا حبيبي... أنت كويس يا ابني؟

كويس يا امي مالي بس...

أكرم.. أنت أول فرحتي في الدنيا وابني الي شال حملي وحمل اخواته حتى من قبل ما ابوك يمشي. كنت طول عمرك راجل وقد المسؤولية. لا عمرك ملت ولا اشتكيت. عارف حتى هنا الصغيرة دي مقضتتش وقت مع يحيي الله يرحمه زي الي قضته معاك أنت. وكل ده وأنتوا قدامي وبين ايديا. ومش عايزيني افهم ان فيك حاجه متغيرة كده ولا كده؟؟

ارتى أكرم على رجل والدته لتقبل رأسه وتداعب شعره قليلا... بينما اكمل هو

ااااا يا امي اااا... مكننتش اتخيل ابدأ اني اقع في الحيرة دي بين اخواتي...

مراد وعمر.. مش كده؟؟

اعمل ايه بس يا امي... أنت عارفه ابنك بيحبها.. بس ما هو ...

مراد كمان بيحبها مش كده؟؟

... أنتي ... عرفتي ازاي؟؟

هههههههه أنتوا كلكوا ولادي متربين على ايديا.. معقوله مش هاخذ بالي من نظرات كل فيكوا للتاني ازاي. ومراد من زمان دماغه طقة بس نظرات عينه لسه زي ما هي.. يمكن دي الحاجه الوحيده الي متغيرتشفي من صغره.. صحيح كبر هو كمان. بس لأ الشرارة الي بتطلع من عينه أول ما يشوف نور مبتغريش ابدأ.

وازاي محدش غيرك خد باله من كل ده؟

ههههههههه لا طبعاً ازاي.. مانت اهو عارف انه بيحبها وصالح كمان. متأكدة انه شايف بس عامل نفسه مش واخذ باله. و...

عمر ميعرفش يا امي...

بس حاسس...

حاسس بايه؟؟

حاسس انك مخبي عنه حاجه .. وانك متواطئ مع مراد في حاجه...

بس يا امي أنا...

أنت مغلطش يا حبيبي.. أنت وجهت كل واحد فيهم لطريقه. وصحيح الموضوع مش باديهما هما بس نور اهم واحده في الحكاية دي كلها يا توافق يا ترفض. ههههههه أنا قلت نفس الكلام لعمر.

ومتأكده انك قلته لمراد كمان.. و دي الحقيقه هما فاكرين انهم عشان بيحبوا حد يبقى الموضوع خلص خلاص. بالعكس الطرف الثاني له حق الاختيار زيهم بالظبط. المشكله بس انه الوضع هنا....

ايوووه هي المشكله هنا بالظبط... معقوله لازم اخسر حد فيهم عشان الثاني يعيش.

ههههههههه أنت أول ما حظيت رأسك في حضني كده قلت ايه؟؟ الاخ

عشان أول حاجه الواحد بيفكر فيها وهو واقع في حيره ولا مشكله هي اخوه.. وأنت نصيبك من اسمك يا حياتك. ربنا كرمك باخواتك حتى الي مش من دمك.. حتى ربنا بيحبك لدرجة انه مش سايبلك الاختيار مين فيهم الي تقف معه. لان حتى احنا كلنا ملناش حق تقرير مين المناسب للبت دي. ربنا ادلك الحكمة بس انك تحط الاتنين على نفس الطريق. تكلمته بقه أو الرجوع منه ده اختيارهم هما مش حد تاني..

يعني أنتي مش واخده صف ابنك يا امي؟ مش عايزه هو يتجوز نور؟؟؟

أنا مش هسيبها تختار غيري الاصلاح يا أكرم أنت فاهم؟؟ مش هتختار حد تاني .. لو حكمت اتجوزها غصب عنها هاخذها.

.... مراد .. أنت مش في حالتك الطبيعية دلوقتي.. مراد الي أنا اعرفه مستحيل يكون بالاخلاق دي.. مفيش حاجه اسمها كده.. فوووق بقه.

أنا فايق... فايفلكوا أوي كمان. عشان كده بقولك اخوك احسنله ينسها والا وربي هيندم ندم عمره....

هتعمل ايه يعني؟؟؟

... هقتله يا أكرم... صدقتي هقتله ولا اني اسيبه ياخذ حاجه تخصني مني ابدأ.

دوووت صوت صفة قوية نزلت على وجه مراد .. جعلته يرتمي ارضا من شدتها. الامر الذي لم يجعله يشعر سوى بالاحتقان والحدق.

مكنتش متخيل عمري اني امد ايدي على حد فيكوا.. اي حد فيكوا. خصوصا الأنت .. بس لو هيجي اليوم الي اسمع فيه الكلام ده منك. يبقي كان لازم القلم ده يفوووقك قبل ما تخسر نفسك وكل حاجه حواليك.

تقتل مين يا مراد؟ عايز تقتل مين؟؟ عمر ولا نفسك الي واقفه قدامي دي؟؟ أنت ازاي بقيت كده؟ سبت نفسك ازاي تبقى كده؟ متخيل ايه؟؟ القوة في الضرب والتكسير والصوت العالي.. لا دي قمة الضعف.. أنا دلوقتي مش شايف قدامي غير واحد ضعيف فاكر انه يقدر ياخذ كل حاجه بالغضب والتجريح. حتى فكرة جرح اقرب الناس ليه مبتقاش بعيده عنه.. الحب مش ضعف يا مراد. الحب الي يضعفك ويموت البني ادم الي جواك ميبقاش حب. أنا دلوقتي بس فهمت كل ده ليه.. معاك حق أنا سبت اخويا يحبها سبته من غير ما اقله ان في حد تاني يبجبها. زي ما سمحتك أنت كمان مشاعرك دي تكبر جواك. كان عندي امل أنتوا الاتنين تقفوا ورا حبكم بشجاعة وتدافعوا عنه. وهي الي تختار... هي الي تمشي ورا قلبها والي يختاره. بس الحقيقة انه لا كان دايمًا في جوايا حاجه بتقولي مراد غلط. مراد واخذ القصة عافية يا أنا يا مفيش.. كل مره كنت بتيجي تكلمني عنها. بشوف النظره الي في عينيك دلوقتي دي.. بشوف جنانك وهوسك مش حب يا مراد. أنت محبتش نور.. أنت يمكن عوزتها، اشتتها لنفسك ملكية خاصة. قلت اهي قدامك. افكرتها هتبقى بين ايديك. الحب مش كده يا مراد... اهو أنا بس دلوقتي حالا أتأكدت اني مش ندمان ابدأ اني شجعت عمر اكثر انه يمشي ورا حبه وميتخلش عنه.

وقف مراد يستمع لأكرم وهو يشتعل غضبا من هول الصدمة. ومن هول الحقائق التي نزلت على رأسه الان كالماء البارد. صحيح هناك مكانًا ما بداخله لمستته كلمات أكرم الان ليشعر بداخله انه معه حق. وان الامر من البداية كان تمسكه بيها الزائد لنفسه وليس حبا بها ولكن الغضب الذي سيطر على عقله الان كان اقوى من كل الحقائق والمنطق الموجود حوله. كان أكرم يتحدث اليه وهو ينظر داخل عينه بقوة بينما الاخر يتهرب بعينه احيانًا. كان يتحدث وهو يمسكه من ياقته ليجعله يفيق لحاله اكثر. الا ان الامر اصبح بلا جدوى الان.

.... مع الاسف أنت الأنانية عمتك وفاكر ان التملك هو الحب. أنا ماشي يا مراد ماشي وعارف ان حياتك الجايه هتبقى اصعب. مش عشان خسرنا بعض مع العلم أنا هفضل قدام عينك مهما حصل. ومش هسمحك تدمر حياتي اخواتي أو تأذيهم. بس عشان متأكد ان نور هي الي هتوقفك عند حدك. لو أنا مقدرتش اعمل كده... ومين عارف يمكن توصلك دعوة فرحها قريب ... اقرب مما تخيل.

قال أكرم جملته الأخيرة وهو لا يعرف انها ستكون الأخيرة بالفعل. ولكنها الأخيرة في حياته كلها. حين غادر مراد تاركا اياه في حديقة المزرعة كما هو ولكن مراد لم يتركه. فبمجرد التفف أكرم للمغادرة وبمجرد اعطائه ظهره . تلقى أكرم رصاصة اخترقت جانب قلبه قليلا جعلته يسقط ارضا في الحال. بينما كان يحاول تلقى انفاسه وايجاد كلمات للمساعدة... نظر الى ناحية مراد الذي كان لا يزال يحمل المسدس تجاه أكرم وعينه ثاقبة اليه. ليكي يتأكد أكرم للمره الأخيرة ان مراد اصابه بالفعل ولكن هذه المره بنية قتله حقا.

ذهب مراد باتجاه أكرم الذي امتد ارضا عينه لا تغيب عن وجه مراد. حتى يده التي امتدت تجاهه كأنه يطلب المساعدة للمره الأخيرة. كانت لا تكفي لجعل مراد يدرك خطورة ما فعله. بل انه فضل الوقوف كالصنم بجانب جثة أكرم الذي لفظ انفاسه الأخيره وعينه لا تفارق عين مراد.

....

لم ادرك شيئاً حتى وصلت المزرعة مكان الحادث. لم اعني نفسي حتى وأنا اطلب الاسعاف لوالدي. وهي تأخذه بعيدا وحده بالسيارة غائبا عن الوعي حتى كلمات طبيب الاسعاف بوجود احتمالية ازمة قلبية شديدة لم تمر على اذني حتى. ولكنني لم اعرف وقتها سوى الركض .. الركض بقوة. الركض لدرجة جعلتني اسقط اكثر من مره خلال الطريق من البيت الى المزرعة. حيث المكان الذي جاءنا الاتصال منه يبلغنا بوجود جثة أخي هناك. المكان الذي لم اعرف كيف اصبح بعيدا هكذا. ولكنه لم يكن بعيدا لدرجة تجعلني افقد احساسني بقدمي بعد وصولي للبوابة. ورؤية كل هذه السيارات والاضواء المزعجة. كان المكان سابقا يعج بالفرحة واصواتنا الضاحكة والعابنا المفترشة ارضا. ولكنه الان في هذه اللحظة اصبح لا يظهر منه شيئاً سوى سيارات الشرطة والاسعاف وعناصر البحث الجنائي والنيابة.

كان أول شئ تقع عيني عليه عند بوابة المزرعة هي هذه الجثة المغطاة على الارض. التي لم يكشف منها شيئاً سوى بعض الشعر من رأسه. كنت امشي خطواتي للداخل وأنا اجر ثقل كبير ورائي جعلني اخط خطواتي هذه في ساعات طويلة كأنها. حتى دموعي كانت لا تعرف ان كانت تنزل عني اما عما اراه امامي الان. دخلت المزرعة بعد عناء طويل وعيون العساكر تلاحقني حتى جاء احدى الطباط الواقفين بجانب تلك الجثة. حيث كنت على وشك فقد وعيي لحظتها. لانفاجئ بيه بالقرب مني قائلاً:

أنتي كويسه يا انسة؟؟

.... أناااا... هو ده يبقى.... أنا جايه عشان اخويا.

ااه أنتي الي ردتى عليا بعد والدك؟ الاستاذ صالح مش كده؟؟

كريم فين؟؟ اخويا فين؟

البقاء لله... أنا عارف صعوبة الموقف دلوقتي... بس ارجوكي حاولي تتماسكي اكثر عشان محتاجين حد من الاسرة يعاين الجثة ضروري. هو الوالد فين؟؟

.... بابا تعب وووو خدته الاسعاف ع المستشفى. هو كريم فين؟؟ أنا عايزة اشوفه.

فهمت... طيب أنتى هنا لوحدك؟؟ مش عارف هتقدرى تتحملي ولا لأ؟؟

أنا عايزة اشوفه... لو سمحت

.... حاضر اتفضلي معيا.

لم اعرف وقتها انى مشيت خطواتي وأنا اتكأ على كتف ذلك الطابط امامي. اخذني الى جانب تلك الجثة التي وقعت عليها عين أولا عند دخولي المكان. اقتربت منها وأنا اشعر ان رائحة المكان من حولي تعج بالدماء. لم اكن اعرف من قبل ان للدماء للرائحة. أو لم اكن اعرف ماهية تلك الرائحة بالتحديد. ولكني اليوم في تلك اللحظة تماما ادركت انها اصعب ما يمكن لانف انسان استنشاقه على الاطلاق. وانها اصعب ما ممكن لانسان ملامسته ايضا.

جاهزة؟؟

سأل الطابط ذلك السؤال بعدما وقفنا سويا بجانب الجثة مباشرة.. لارد عليه باشارة من رأسي. بينما كانت دموعي تتساقط لا اراديا. وجدته يأمر احد العساكر الموجدين حوله لنزع ذلك الغطاء عن الجثة للكشف عن وجهها.

لم اعرف اي منهما كأنا الاسرع لحظتها. هل نزع ذلك الرجل للغطاء ام دقات قلبي وحركة عيني سويا؟؟

هو دي اخوكي يا انسة؟؟

وجدت عيني تذهب مباشرة الى الوجه الذي كان مغطى قبل لحظات. بعدما كنت اغلقت عيني وسبحتها فورا لناحية اخري بمجرد بدء ذلك العسكري للكشف عن وجهه. بينما كانت الصدمة اقوى بكثير مما حدث قبل ساعات. ولكني لم اعرف اني سوف انهار اكثر بجانب تلك الجثة التي تم الكشف عنها حين ادركت انها وان كانت ليست جثة أخي. بل انها تخصني ايضا.

.... مش هو... مش هو ده كريم... مش هو.

يعني ده مش اخوكي كريم صالح؟؟

لا مش هو.... ده أكرم .. أكرم يحيى.

ده اخويا أنا.

جاء صوت احدا ما من خلفي. شعرت اني اعرفه من قبل. ولكني لم اعرف حتى كيف انظر لمكان اخر لحظتها كأن عيني تعلقت بتلك الجثة امامي. التي توقف عقلي عندها حتى دموعي التي لم تعرف التوقف ابدا منذ كشف عن وجهها.

أنت مين؟؟

أنا عمر... في حد كلمني وقالي انه...

!!! البقية في حياتك.. أنت اخو القتل ده؟؟

ايوه. ده أكرم اخويا الكبير..

يعني تعرف الانسة دي بردوه؟؟

... دي نور ... نور صالح

صرخت بشدة. فقط صرخت وأنا اتلوى بجانب أخي الذي خرجت روحه منه اخذة
روحي معه ايضا لم اعد اسمع صوتي ولا اعرف الى متى ظلت هكذا. فقط ما اعرفه اني
وجدت نفسي بين يد عمر يحاول تهدئتي وسحبي بعيدا عن أخي ليتمكنه من اخذه هو الآخر
بجانب جثة أكرم داخل سيارة الاسعاف. ليغلقوا باب السيارة خلفهم تاركين ذلك الصراخ
ورائهم وروحي مسحوبة معهم تجرني وراهم حتى افلت نفسي من قبضة عمر لاركض
خلف تلك السيارة حتى خارج البوابة بقليل. بينما لم يبقى ورائي سوى عمر وذلك الجرح
بعنيه وعناصر الشرطة الذين وقعوا داخل اسر هذه اللحظة الحارقة.

عليا .. اخوكي عمر فين؟؟

مش عارفه يا ماما كان في البلكونة جاله تيلفون كده خرج متسرع. ندهت عليه بس مردش
عليا.

خير يااارب اللهم اجعله خير.. وأكرم بردوه لسه مرجعش..

طب استنى اتصل بيه تاني...

مش بيرد بردوه؟؟

لا محدش بيرد.. طب هكلم عمر...

جاء صوت فتح باب الشقة تزامنا مع رنين هاتف عمر داخل المنزل. ليجد ان اخته
تهاتفه ويسمع صوتها بالطابق الاعلى قائلة:

اهو جه اهو...

الف حمد وشكر ليك يااارب.. تعالى بسرعة

لتنزل عليا مع والدتها غالية للطابق الاسفل حيث باب البيت ليجدوا عمر امامهم على
وجهه علامات الكسرة والقهر. بينما لم يكن وحده... بل تفاجوا بوجودي معه يسندني عمر
بيده الاثنتين وعلى ملابسي بقع الدم.

ياالاساتر يااارب.. ايه ده؟؟ مالكم يابني ايه الي حصل؟؟ مالك يا نور؟؟

عليا خدي نور... ع الكرسي بس تستريح...

نور!! يا حول الله يارب... ايه الي حصل أنتوا كويسين؟؟

خديها بس الأول.

عمر طمني يا ابني ايه الي عمل فيكوا كده؟؟ مالها نور؟؟ أنتوا ازاي مع بعض كده؟؟؟

... امي... اهدي بس وهفهمك تعالى جوه بس.

لم تنتهي الليلة ابدأ.. خرج صوت القرآن من المنزل يضوى كل مكان حولهم. جاء الخال أكرم ومعه أسرته كاملة يرتدون اسودا قاتما ليكون بحرقه لفقيدهم. بينما كنا لا نزال على حالنا بغرفة الصالون. غالبية صامته في مكانها لا تنظر الى احد ولا تتحدث مع احد. بينما كانت عليا مع اختها هنا بغرفتهم لم تكن تعرف على اي شيئا بالتحديد تبكي الان. على اختها التي لم تتحمل صدمة سماع فقد أخيها الاكبر وأبيها مرة اخرى ام انهم خسروا سوياب اخر لهذة العائلة. بينما كان عمر جالسا على سلم البيت ينظر الى الفراغ امامه كنت لازال أنا في مكاني على ذلك الكرسي بالصالون. فقط تبعد غالبية عني مسافة اقل من ١٠٠ سنتي.. وروحي تبعد عني مسافة سنة ضوئية.

حتى مجئ الخال أكرم بجانب غالبية لم يدفعها للتحدث ولا للنظر اليه حتى. حين حاول قول شيئا ما لها. اشارت له بيدها ان يصمت الان ليدرك أخيها انها بحاجة شيئا واحدا ان يتركها بنفسها لاستعاب خسارتها وفقدتها أولا.

بينما وجد انه لم يتمكن من عون اخته الان. ذهب باتجاه السلم ليرى عمر الذي كان ينظر للفراغ امامه دون حركة. بمجرد وصوله اليه وضع يده على كتفه. ليلتفت اليه عمر بينما لم يكن بوسعه شيئا سوى القايم له واحتضانه بقوة لعله يجد سكينته التي فقدتها اليوم عند خاله.

عبيط يا عمر يا ابني عيط يا حبيبي.. متحبس دموعك.

اعيط على مين ولا مين يا خال... صاحب عمري ولا اخويا وسندي في الدنيا أنا خسرت ابويا مرة تانيه يا خالي.

بكي الخال أكرم بشدة عند سماعه كلكات ابن اخته الوحيد الان عمر. ليجدا سوياب ان فراق أكرم لم يكن مجرد فراق ابن أو اخ بل خسارة اكبر من ذلك بكثير.

ازاي ده حصل ازاي؟؟ وايه الي يودي المزرعة في الوقت ده بس؟؟

اخويا اتقتل يا خالي.. اتقتل غدر ولو في احتمال واحد في المية انه يكون بسببي فأنا مش هرحم الي عمل كده.

صلي ع النبي يا عمر وبلاش الكلام ده.. اكيد البوليس هيلقي الي عملها ويأخذ جزائه بس حتى لو حرامي ايه الي يخلي يقتله ما كان سرق الي سرقه ومشى.

الي اتقتل اخويا مش حرامي يا خالي. الي قتل اخويا قتله عشان كان عايز حاجه أكرم الوحيد الي كان يقدر يفتحله بابها تماما أو يقفله.

أنت تعرف ايه يا عمر؟؟ اتكلم يا ابني كلامك ده بيقول انه اكيد في حاجه تانيه.

تحول نظر الخال أكرم وقتها الي اخته غالية في الخلف التي كانت لا تزال جالسه على كرسيها بالصالون ممسكة بمسبحتها. مرورا بي أنا التي كنت لا ازال على نفس الكرسي بملابسي الملطخة بدماء أخي.

... امك ساكنه منطقتش كلمة من ساعة ما جيت.... و هو ايه الي جاب نور هنا دلوقتي يا عمر؟؟ و ايه الدم ده؟؟

أنت معرفتش الي حصل كله؟؟

هو أنا عاد فيا عقل يابني .. أنت اتصلت بيا قتلتي الخبر.. مش عارف نطت ازاي في الهدوم أنا وفاطمة والبنات جينا جري... ايه الي حصل؟؟

.... أكرم مكانش لوحده في المزرعة... كريم كمان... اتقتل انهارده.

الايه؟؟؟ يا حول الله يارب يا حول الله .. أنا لله وأنا اليه راجعون ...

استهدى بالله يا خال واقعد اقعد استريح...

ايه يا ابني ده؟؟؟ ازاي كده؟؟ مين عديم الرحمة والايمان الي يعمل كده فيهم؟؟ يا حول الله يارب... فين ... فين عمك صالح؟؟

... جاله الخبر في التليفون مستحملش طب ساكت.. الاسعاف خدته ع المستشفى... ونور هي الي جات المزرعة شافت أكرم وبعدين كريم.. ومن وقتها وهي كده. فأنا جبتها على هنا لما خداهم معرفتش اعمل حاجه تانيه.

عين العقل يا حبيبي عين العقل... مصحش نسيبهم بردوه لوحدهم البنات دلوقتي لوحدها ملهاش حد...

طب قولي ازاي ده حصل... مين الي عمل فيهم كده؟؟

تطلع عمر بخاله أكرم كأنه يفكر ان كان لابد له ان يعرف حقيقة الامر ام لا..

قول يا عمر... قولي يا ابني متخبيش عني ع الاقل دلوقتي...

حكي عمر لخاله عن كل ما شاهده مع أخيه الايام الماضية. وما عرفه ايضا حتى يومنا هذا صباحا. حين كان أكرم يتحدث مع والدته بغرفتها ليمر عمر صدفة من امام الغرفة وتأتي الي مسمعه كلمة والدته "تفتكر لو نور اختارت مراد ولا سعدتها معها هيبقى رغبتني ولا الي نواياي ليها حكم؟" ليتمكن عمر من ربط الموضوع كاملا بعقله وان ما كان مجرد شكا في عقله الايام الماضية اصبح حقيقة الان.. مراد يحب نور بالفعل وكان يتحدث مع أكرم بهذا الموضوع دائما كلما تجمعوا في مكانا واحد الاصدقاء الاربعة.

لما سمعت الجملة حسنت اني اتشلت مكانى.. مقدرتش حتى افتح عليهم باب الأوضة.
خدت بعضي ورجعت البلكونة. بعدين سمعت أكرم بيكلم عليا وهنا تحت... لحد ما خرج خد
العربية ومشى.. مشي قدام عينيا يا خال.. والله لو كنت اعرف انه رايح لموته برجله كنت
ربطته في البيت ولا اني اسيبه يخرج كده.

.... استغفر ربك يا ابني... محدش بيهرب من قضى. تفتكر يعني مكانش الموت هيجيله كده
كده..

يجي يا خال يجي. بس ميحيش غدر. ميحيش برصاصة جبانة من واحد اجبن...
يعني أنت حاسس انه..

هو مراد يا خالي.. أنا متأكد أكرم خرج انهارده وهو رايح المزرعة يقابله.. مراد اصلا
كان مختفي اليومين الي فاته محدش عرفله طريق. حتى عمي نفسه مشافوش.. فجة لما
يظهر كده وبالذات بعد صدفة كريم الغربية وانهم كانوا هيتقابلوا في المزرعة... يطلب
يشوف أكرم بالتحديد. وأكرم... يموت يومها... تفتكر كل ده صدفة؟؟

وكريم؟؟؟ معقوله يقتل ابن عمه؟؟؟ يعني ايه؟؟؟ ده متربي معهم في بيت واحد واكلين شاربين
من نفس الطبق..

هو ده الي هيجنني يا خال... ايه الي جاب كريم انهارده؟؟؟ وايه الي حصل اصلا وصل
لكده؟؟؟ مراد من امتي بيشيل مسدسات!!

لا حول ولا قوة الا بالله .. لله الامر من قبل ومن بعد ياابني... عليه العوض ومنه العوض...
امك عارفه الكلام ده؟؟؟ واخواتك؟؟؟

لا.. ملحتقش اقول اكثر م الي قلتهولك بردوه.. لسه محدش عارف حاجه ومش عارف هقدر
اقولهم ازاي؟؟؟

ربت الخال أكرم على كتف عمر ليضمه اليه مره اخري محأولة التخفيف عنه ولو
قليل. لكن بالنهاية الامر مفروغ منه تماما.. اصبح حمل الجميع الان ثقيل.

أنا... هكلم الناس ونبدء تحضير العزاء..

مفيش عزا هيحصل لحد ما حق ابني يرجع...

جاء صوت غالية قاطعا لحديث اخوها لمجرد فكره بالبده لتجهيز العزاء.

ماما... ايه الي بتقولي ده؟؟؟ مينفعش....

الي أنا بقوله مينفعش غيره... احنا مبنقبش عزا ... لما يتقبض عليه ويأخذ جزائه ابقى اقبل
عزا ابني.

غالية... الموضوع كبير ومش هيخلص بسهولة.. اصلا مش عارفين هنقدر ندفنهم ام...

أكرم... ابني هيتدفن ويتكرم على احسن صوره. لما يخلصوا الاجراءات ويسلمونا الجثمان
هيحصل ... انما غير كده لأ... لا عزا ولا تعزية.

عمر نادي عليا تساعد نور وتغير هدومها.. البنات تعبانة ولازم تستريح.

.... حاضر يا امي حاضر... هي راحت فين؟؟

هي مين دي؟؟

نور!! نور مش موجوده يا امي راحت فين؟؟

كان دائما الوقت اغرب شئ لي. لا يعرف كيف ولا كيف يبقى. أليس هناك احدا ما
بالحياة يعتقد ان الوقت لا يمر ابدا؟؟ ولكن دائما هناك احدا اخر يشعر ان لا شئ اسرع من
مرور الوقت. اما أنا فوقفت اليوم بين الاثنين. لم افهم كيف مر ولم افهم كيف وقفت أنا
مكاني للحظة. لذلك حين سمعت بعضا من حديث عمر والخال أكرم. ادركت شيئا واحدا. ان
الحياة لم تكن فقط تمر لكي تكبر. بل كانت تمر بنا لكي نهزم.

خرجت من بيتهم وأنا لا اعلم كيف كنت امشي من قبل. فقط ضقت ذرعا من كل شئ.
من خذلاني وفقدي وخسارتي وقهرتي الأولى والتي كنت اعتقد انها الأخيرة في حياتي ايضا.

كنت اهيم الشارع وأنا حتى لم اعرف اني اتجه لطريق بيتي. بيتي الذي اصبح خاليا
تماما الان. حتى استوقفتني تلك السيارة التي كانت على وشك دهسي. الا انها توقفت قبلها
بفارق لحظات جعلت السائق ينزل من سيارته متسرعا بلهفة..

أنتي كويسه يا انسه؟؟

... معلش حصل خير...

أنت مين؟؟

أنا قريبتها.. مش عربيتك تمام؟

اه تمام..

... تعالي معيا.

اخذني عمر من يدي للوقوف على الرصيف المجاور للاطمئنان علي أولا ثم بدء
تحقيقه معي.

الأنتي كويسه؟؟ ملحقتش تخبطك مش كده؟؟

... لا لا محصلش حاجه.

أنتي ازاي تمشي كده؟؟ وأنتي في الحالة دي افرضي جراك حاجه وأنتي لوحداك.

... مراد...

ايه؟؟!

مراد الي عمل كده يا عمر؟؟

أنا سمعتك ... قلت انك متأكد مراد الي عمل كده؟؟

نور الي حصل ...

يعني ابن عمي هو الي قتل اخويا وصاحبه مش كده؟؟

لم يجد عمر مفرا من الحديث والحقيقه. لذلك اكد على ما سمعته منه قبل دقائق بالفعل.

مع الاسف... يعني طبعا لسه مفيش دليل بس أكرم كان خارج من البيت عشان يقابله. كريم هو الي وجوده..

كريم خرج يدور عليه..

يعني أنتي شفتي؟؟

أنا كنت في أوضتي.. جه يشوفني وقال لي انه هيخرج يدور عليه تاني لحد ما يلاقي... مقلش انه رايح المزرعة بس قال لي انه هيفضل يدور لحد ما يلاقي.

فهمت.. يعني احتمال كبير يكون هو بردوه الي

أنا عايزة امشي يا عمر .. عايزة ارجع بيتنا.

نور مش هينفع تكوني لوحداك في البيت الايام دي.. خليك معنا عليا وهنا وماما كمان هيخدوا بالهم منك.

أنا مش عايزة حد ... أنا عايزة ارجع أوضتي عايزة ارجع بيتنا ... أنا مليش مكان تاني... قضت حياتي في البيت الي كنت فاكره اني مسجونة فيه. بس اتضح لي ان اي مكان تاني بره هو السجن بجد. أنا ... أنا مش قادره اتنفس يا عمر مش عارفه اسمع حد ولا اتكلم .. أنا عايزة اخويا... أنا مليش حد غيره.

... ياريتني اعرف امسح دموعك دي من قبل ما تنزل حتى.. بس ده مش حقي مع الاسف.

نور أنا عارف أنتي حاسه بايه. أنا تقريبا الوحيد دلوقتي الي حاسس بيكي. عشان كده بقولك ارجوكي اسمعني. مينفعش تبقى لوحداك بالذات اليومين دول. تعالي معيا وبعد كده هعملك الي أنتي عايزه. بس اليومين دول لأ من فضلك.

سبني لوحدي يا عمر من فضلك.. سبني

التفت بالاتجاه الاخر لاسير بعيدا عنه... بينما لم يستمع هو الاخر لحديثي. قطع طريقي قائلا:

مراد هياذيك... هياأول يأذيك أنتي كمان.

ايه؟؟ أنت بتقول ايه؟؟

مشكلته مكانتش مع أكرم وكريم بس... أنتي كمان بينهم. اكيد هيرجع البيت أو يحاول يلاقيكي باي شكل.

عمر... أنت بتقول ايه؟؟ يعني ايه أنا كمان؟؟ أنت...

نور من فضلك ... خيلنا نمشي دلوقتي وهفهمك كل حاجه بعدين... ارجوكي.

لم ادرك تماما ما يقوله عمر وكيف يمكن ان تكون لي علاقة بكل ما حدث؟ لذلك لم يكن لدي حلا اخر سوى الذهاب معه الي بيته مره اخرى. لعلي احصل على اجوبتي هناك.

كان كل شئ على حاله بمنزل عمر كما تركته منذ دقائق تماما. حتى صوت القرآن كان يأتي من داخل المنزل كما هو.

كانت عليا تنتظر بالسفل بجانب والدتها. ليشير عمر اليها مباشرة بمجرد دخولنا البيت لتأخذني الي الاعلى حيث غرفتها هي وهنا. بينما رجع هو الي والدته التي كانت تتحدث مع أخيها عما عرفوها سويا منذ قليل من عمر.

غالية... أنا عارف أنتي بتفكري في ايه؟؟ بس ده واحد قدر يمسك مسدس يقتل اتنين مكانوش بيفرقه ابدأ واكلمين عيش وملح كبروا سوا وعاشوا سوا.

تفكري يعني مش هيقدر يهرب من الشرطة اكثر من كده؟ ده ملوش اي اثر في المكان...

مش مهم يا أكرم امتى... عقاب ربنا محدش يعرف يهرب منه ابدأ.. ابني هيدفن لما تخلص اجرائتهم متنساش انه مش لوحده.. وصالح مش عارفين هيقدر يقوم منها امتى؟؟ أنا اتصلت بالمستشفى قالولي حالته حرجة.. ده غير الصدمة العصبية.

مستشفى ايه يا خالي؟؟

اهو عمر جه اهو... تعالى يا ابني لسه كنت بقول لغالية.. المستشفى الي عمك صالح فيها.. حالته حرجه جدا.

اه... أنا مركزتش خالص في الموضوع اتلتهت مع نور...

لاقيتها يا عمر؟؟

ايوه يا امي عليا خدتها فوق.

طب الحمدلله... ربنا يلطف بيها. خدت صدمتين في نفس الوقت.

ايه الي حصل يا عمر؟؟ لاقيتها فين؟

كانت ماشية للبيت عربية كانت هتخطها بس ربنا ستر. سمعتني بقولك انه مراد الي عمل كده وخرجت.

يعني متعرفش عمل كده ليه؟؟

... لا معتقدش... صدمتها دلوقتي انه ازاي ابن عمها يعمل كده في اخوها وصاحبه. مش انه بيحبها أو لأ..

يبقى بلاش تعرف حاجه زي كده دلوقتي...

بس يا امي.. أنا اضطرت اقولها انها ليها علاقة بالموضوع ... رجعت معيا بس عشان تعرف الحقيقة.

ازاي يعني؟؟

كانت عايزة ترجع بيتهم تقعد فيه.. أنا قللتها مراد اكيد هيحاول يأذيها هي كمان. مينفعش تقعد لوحدها في مكان.

خلاص أنا هتكلم معها.. بس نطمئن على صالح الأول...

بكرة لازم اروح القسم اشوف الطابط. وهعدي على المستشفى بردوه اطمئن.

اكنت غالبية على حديث ابنها عمر وانهم لابد من صبرهم على ما يحدث معهم أولا. كي يتخطوا محنتهم سويا دون تفويت شئ.

الحقيقة ان الامر لم يعد فقط حدادهم على ابنهم الاكبر. بل اصبح الامر اقسى بكثير الان لمجرد ان القاتل والقتيل منهم وفيهم. اي الامر لم يكن يتعلق بأكرم وكريم فقط. بل بمراد ايضا...

قرات مره في مكانا ما ان اصعب ليلة تمر على الانسان هي ليلته الأولى بعد فقد عزيزا عليه.. هذة الليلة تشتعل بداخل اربعين شمعة تظل تنطفئ واحدة واحدة كل يوم لمدة اربعين يوما. وقتها فقط يمكن ان يدرك ما فقده ومر بيه.. ولكن بعد مرور اربعين يوما...

لم اعرف كيف مرت هذة الليلة. ظلت وقتها بنفس الغرفة مع عليا وهنا الاختين اللتين لم يجمعني بهم الكثير سابقا. اصبحت اسكن معهم الان بنفس الغرفة لا اعلم الى متى؟و لكني حاولت ان اغفو ليلتها كثيرا لدرجة جعلتني اهرب من الغرفة فورا شعوري بانني على وشك ان اقلقهم وهما غارقين في نومهم على نفس السرير بجانب بعضهم البعض متعانقين. كأنهم يوسوا بعضهم حتى اثناء نومهم. فقت من مكاني وأنا انظر اليهم كأني السبب في وصولهم الى هذة الحالة. بحثت عن طريق لخروجي منها وأنا حتى لا اعرف الى اين اساهب خارج هذة الجدران الاربعة. فقط كان أول ما وقع عليه نظري حين خرجت هي هذة الشرفة الواقعة بوسط الجدار امام غرف الطابق العلوي للمنزل. أنتبهت ان ابوابها مفتوحة ولكني لم أنتبه ان هناك احدا اخر فيها قد سابقتي ايضا لنفس السبب. ولكن عدم سعة مكان لي جعلني اهرب اليها فور رؤيتها كأنها ملجائي الوحيد في هذا المنزل ... حتى...

!!! أنا اسفه معرفتش انك هنا...

لا لا تعالى... أنتي كويسه؟؟

.... الحمد لله معرفتش أنام بس... اخواتك نايمين جوه خفت اقلقهم بحركتي الكثير.

هما نايمين من وجعهم.. هنا تعبت أوي انهارد. وعليا مشغولها بيها وباماما وبنفسها بردوه..
مش لاحقة تحزن على اخوها.

وأنت عارف تعيش حزنك؟؟

أنا قلبي وجعني أوي يا نور... من ناحية اخويا ومن ناحية صاحب عمري ومن ناحية
تانيه...

مراد!!

نور من فضلك بلاش سيرته قدامي..

أنا عايزة افهم يا عمر... يعني ايه مراد يعمل كده؟؟ يعني ايه يمسك مسدس اصلا؟ مش بس
يقتل حد..

.... أنا مش عارف اقولك ايه ...

قولي الحقيقة.. من الصبح شكلك بيقول انك عارف حاجات اكبر م الي بتحصل.. فاهمني
طيب ليه اخسر اخويا الوحيد؟؟ ليه اخسره بايد ابن عمي؟؟؟

اخوكي بس؟؟

يعني ايه؟؟

أنا عارف ان بابكي في المستشفى.. من بعد ما سمع الخبر وهو ... خالي اتصل بيهم كمان
يطمن عليه.. قالوا ان حالته صعبة ومش عارفين هيقدر يتمسك بالحياة اكثر ولا لأ؟ مش
حاسه انك بتخسري باباكي كمان مش بس كريم؟؟

وقع سؤال عمر كالماء المتلج على رأسي. شعرت كأنه يتقصد شعوري بوحدتي وليس
فقط ذلك بل انه يحاول قول اني لم اعد املك شيئا في الحياة. حتى رجوعي بيتي الان اصبح
رفاهية كبيرة علي. لذلك كان أول ما خطر ببالي لحظتها هو سكب الماء الذي كان يحمله
بيده عليه. وركضي سريعا خارج هذا البيت ...بيته.

...

الحقيقة ان الامر لم يكن صعبا علي كما اليوم. صحيح معه حق فأنا كنت وحيدة دائما كل ما لدي في هذه الحياة هو أخي. والان اصبحت وحيدة تماما بدون أخي. حتى وان كنت تعرف ماهية حياتك. فدائما ستخشي المره الأولى التي تسمع فيها ذلك من احدا اخر. ولكني اليوم اصبت بذلك السهم لأول مره حتى وان كنت اعرف الحقيقة مسبقا. سماعها من عمر بالتحديد الذي كانت عينه تنظر بغضب وليست بحزن كما كان. جعلني ادرك شيئا واحد ان حياتي القادمة ستصبح اكثر وحدنيا فقط. لانه سيظل يغرسني بذلك السهم دائما حيث يراني. وان لم يكن بالكلمات فعينه كافية...

نوور ... استنى من فضلك أنا اسف استني ارجوكي...

أوعى يا عمر سبني... ملكش دعوة بيا محدش لي دعوة بيا خلاص.. معاك حق برافو عليك. فهمت الي كنت فاكركه محدش فاهمه غيري... بس على فكرة بقة.. كريم مكانش معيا بنفسه بس.. كريم هيفضل معيا بروحه وذكرياته الي مالية البيت ده. حتى لو عشت عمري كله لوحدي هتفضل الحاجه الوحيدة الي مصبرني هي اني كان عندي اخ زي كريم. ولازم افضل عايشة بس عشان اترحم عليه.

قلت كلماتي واعطيته الجواب الذي يستحقه. وذهبت بطريقي الي منزلي مره اخرى. منزلي الذي اصبحت علي مواجهته كما وجهت عمر قبل لحظات. صحيح الفارق فقط ان اي حمل اخر غير البشر سيكون اخف بكثير. أو هذا ما كنت ارجوه. دخلت المنزل وقفت مكاني بعدما اغلقت الباب. كان المكان مظلما تماما كما كان قبل ليلة. الهاتف بمكانه على الارض بعدما سقط مع أبي ارضا. باب الغرفة مفتوح منذ ان ركضت مسرعة بعدما سمعت صوت الارتطام فقط يخرج ضوء صغير من الشرفة. مثلما كنا نتركه دائما مشتعلا. لا اعلم لماذا ولكني ركضت سريعا للشرفة كأنها هي ملاذي الوحيد الان. لا اعلم ان كنت قد ركضت باتجاه النور وسط كل هذه العتمة ام فقط ركضت باتجاه المكان الوحيد الذي كنت احبه غير غرفتي بهذا البيت؟ لا اعرف ولم اعرف ابدا. فقط ادركت اني داخل هذا الضوء فقط استطعت التنفس من جديد. لا اعرف كم من الوقت ظلت بها. ولكن سماع صوت الفجر هو من ايقظني من نومتي. فقط دهشت من اني لم اكن استطيع النوم بمكان اخر قبل ساعات. كيف خفيت هكذا بمكاني؟ لم اجد امامي سوى ذلك الهواء الذي احتل انفاسي. وذلك الصوت الذي سحبني الى الجنة. رجعت الى الداخل كي اتوضئ. ولكن هذه المره كنت لا اخشى تلك العتمة المحاولة بي. لم اختنق داخلها كما كنت من قبل. اقممت صلاتي وتركت نفسي بين يدا ربي وندائه. سلمت من الصلاة ووضعت نفسي ارضا على سجادة الصلاة بمكاني. اغمضت عيني. وأنا اضع يدي على قلبي. ولكن هذه مره كي ابكي فقط رثاء لأخي ولنفسني.

كيف تحدثت معها هكذا؟ ولماذا؟ كنت من قبل اعد الايام فقط لارى وجهها ضاحكا.
كيف خلقت تلك النظره بعينها الان اذن؟ اعترف الان يا عمر لنفسك قبل الاخرين كنت تريد
افراغ غضبك بها فقط لانك لم تجد مراد امامك.. الم تكن نعشقا قبل ايام؟ الم تكن تحاول
الوصول الى قلبها؟ فقط ليلة واحدة قلبت حياتكم جميعا؟ الم تخسر هي ايضا مثلك؟ الم
تتعرض للخذلان الاكبر بحياتها في ليلة واحدة فقط؟ هل تغير مكانها بقلبك الان؟ هل أنتهت
حبها بقلبك؟ ام شعورك بتمكلمها بعدما فقدت عائلتها هو الذي جرك لذلك الغرور؟

ظل عمر يفكر ويفكر وهو جالسا امام بيته لم يدخل الى الداخل ابدا. بعدما رجع من
نصف طريقه الذي تركته فيه وحيدا مثلي تماما. رجع الى بيته وهو يستشيط غضبا وندما
عما حدث قبل قليل. كان يشعر كمن صفع على وجهه صفة قوية. لم توجهه ولكنها اصابت
غروره. وبالنهاية يصبح هذا اكثر ما يزعج الانسان. ليس الضرب ولا التجاوز. ولكن
الاماكن التى تصيبها تلك الضربات هي ما يمكن ان تسقطه ارضا في الحال.

عمر ايه الي مقعدك كده يا ابني؟

امي... محستش بيكي وأنتي جايه. ايه الي مصحيكي دلوقتي؟؟

الفجر اذن قمت اصلي.. وبعدين ايه الي شغلك اوي كده. أنا بتحرك من بدري.

ااا محستش خالص حتى الادان مسمعتوش.

مالك يا ابني؟؟ ايه الي جرالك؟؟

.... نور. رجعت بيتها.

ايه؟؟ ازاي وامتى؟

من شويه خرجت وأنا خرجت وراها حاولت أوقفها بس... مسمعتنيش اصلا.

أنت زعلتها في حاجه؟؟

.. ايه الي خليكي تقولي كده؟؟

من زمان وأنت بقيت مفيش حاجه تغير وشك كده. غير لو كانت حاجه متعلقه بيها..

.... اعمل ايه يا امي؟؟

تعمل الي كان لازم تعمله من ايام طويلة. تتجوزها.

.... ايه؟؟ أنتي بتقولي ايه يا امي؟ ازاي يعني؟؟؟

زي ما سمعت... مش كنت بتحرب من يومين بس بتكلم أكرم وعايز تكلم كريم.. دلوقتي
البنات بقيت لوحدها. لا اب ولا اخ. وحياتها في خطر طول ما الكلب ده هربان. يبقى ايه الي
يخلينا نستنى؟ لحد ما تروح منك خالص.

يا اامي أنتي بتقولي ايه بس؟؟ أكرم اتقتل اخويا عارفه يعني ايه؟؟ لسه حتى مش عارفين هندفنه امتى.. هنا تعبانه وعليا مش قادره تقف على رجلها.. وأنتي ... أنتي عينيك منفخة من عياطك لوحك الي بتخبي عننا طول اليوم. دلوقتي بتقوليلي اتجوز ... جواز ايه بس؟؟؟
... استغفر الله العظيم. مجبتش سيرة كريم يعني في كل الي قلته ده؟.. اقعد يا عمر اقعد واهدى واسمعني...

الي أنت اتكلمت عنه ده ابني.. عارف يعني ايه؟ ابني الكبير وأول فرحتي في الدنيا أول ايد مسكتها غير ابوك أول كلمة ماما سمعتها منه هو.. قلبي وجعني عليه؟ طبعا مش محتاجة اقول قد ايه؟ قلبي محروق ان ابني ضاع مني بعيد عن عيني وايدي؟ اه الي جوايا مفيش كلمات توصفه ولا شرح يعبر عنه.. ربنا ما يكتبها عليك يا ابني ولا على حد.. يعني ايه أنت الي تعيش وتشوف موت ابنك قدامك... بعد ما كنت مستتية اشوفه ببدة فرحه وعروسته جمبه والضحكة مالية وشه وقلبه. دلوقتي مستتية اشوفه في الكفن واحنا لبسين الاسود عليه ووشه ساكت روحه مش فيه. متخيل أنت في وجع اكبر من كده في الدنيا؟؟

... بس أنا ابني مكانش لوحده.. ابني مرحش مني في خناقة ولا كان بيعمل حاجه غلط ولا دي النهاية الي كان يستاهلها. بس الي حصل حصل قضاء الله وقدره. راضين بحكمك يارب. ابني راح غدر . رصاصة في ظهره تلجمه مكانه عشان ميقدرش يدافع عن نفسه. ورصاصة تانيه تاخذ الي باقي من نفسه وهو شايف الي بيضربها.... أكرم راح لمراد وهو عارف ان مراد مش كويس. ممكن يعمل اي حاجه بس عشان يمنعك تقرب من نور. بيقول انه بيحبها. بس قتل اخوها. تفكر وجعي أنا مهما كان كبير. نور مش هتكون عايشه زيه ويمكن اكبر. أنا عارفه الي حصل وعارفه الحكاية. نور مخرجتش من بيت ابوها غير عشان تشوف جثة اخوها. مكالمة تيلفون خلتها تعيش الي كانت فاكهه انه مش هيحصل دلوقتي ولا بعدين ولا بعد بعدين. واحدة قلبها بيدق شويه بالعلاج وشوية في المستشفيات تفكر هتكون مصدقة في حاجه في حياتها غير انها ماشية بدري؟؟ فجاه القلم الي نزل على وشها يبقى منها فيها من جوه بيتها المقفول عليها. ومن غير ذنب من غير ليه... مين عاقل يستحمل كل ده ويفضل بعقله؟؟

يا اامي أنا مستغرب ازاي بعد ده كله فكرتي في الي قلتي ده؟؟

عمر.. لا أكرم ولا كريم هيرتاحوا وأنتوا متعذبين كده.. وأنا مش هسيب حق ابني طبعا.. بس مش عايزه اخده بالدم ولا العافية زيه. مش هيرحني غير انه ميقدرش ياخذ الي هو عايزه في الدنيا زي ما حرمني من ابني في الدنيا بردوه. وده مش هيحصل غير بجوازتك من نور.

أنتي عايزة تقولي انه...

بالظبط... نور مينفغش تفضل لوحدها خلاص. وفي نفس الوقت مراد هريان مش عارفين هيعمل ايه ولا يفكر في ايه دلوقتي... يبقى ازاي نربط كل الخيوط ببعض. تتجوزوا وتبقى معنا وفي نفس الوقت بعدي عن مراد.

.... لا لا يا امي مستحيل الي بتقولي ده... أنا كده بستغل البننت رسمي.. يعني عشان احميها تعيش معيا غصب عنها..

ومين قال انه غصب؟؟ مفيش حماية بالغصب يا عمر.. هي كمان لازم تفهم انه مفيش حل غير كده وهتفهم انه مبقاش في اختيارات خلاص.. وأنا لو مش متأكده من حبك ليها مكنتش فكرت في كده ثانيه واحده.. مش هظلمها عشان حد.

مش بتحبها بجد ولا ايه؟؟

وقف سؤال غالية في حلق عمر كأنه أول مره يسأل هذا السؤال بالفعل. الم يسأل نفسه هذا السؤال من قبل حقا؟ ظل لحظات يفكر ويجول امام والدته في كل ما قالته. حتى لم يعرف ماذا يجاوبها الان.

حتى جاء صوت هاتفه من الداخل. جعله يركض سريعا للداخل باحثا عنه. كأنه أنتظرها حجة ليأتي بيه بعد لحظات في يده مندهشا.

مالك يا عمر؟؟ خير كفى الله الشر

... مش عارف .. دي رسالة صوتية بتاريخ امبارح بس موصلتيش غير دلوقتي.. تقريبا الشبكة بقة.

طب شوفها.. خير ان شاءالله.

وضع عمر الهاتف على اذنه مشغلا الرسالة. ليأتي صوت يعرفه جيدا منها صوتا ميزه كثيرا من قبل. والان جاء ذلك الصوت في تلك اللحظة فقط كأنه يؤكد على حديث والدته وان كان لا يدري بيه. سمع عمر الرسالة وهو مصدوما منها تماما كما كان من قبل حين جائه خبر أخيه قبل ليلة واحدة من الان.

مالك يا عمر؟؟ فيها ايه الرسالة دي؟؟

... كريم.. رسالة من كريم.

ايه؟؟ يعني ايه؟؟

أنا لازم اكلم الظابط ياسر بسرعة... اكلمه ايه أنا هروحله الحسن.

استنى يا ابني الساعة ٦ الصبح هتروح فين كده؟؟

متقلقش يا امي اما اجي هفهمك.. بعدين بس.

ذهب عمر بطريقه وهو يتصل بالطباط ياسر المسؤول عن ملف القضية. الغريب انه رد عليه بالفعل كأنه كان ينتظر اتصاله. ليخبره انه مازال مستقيظا يعمل بمكتبه بالمديرية. وليس نائما ابدا. فاخبره عمر انه بطريقه اليه في امرا هاما جدا.

وصل عمر اليه وهو يبدو عليه القلق والاضطراب الشديد. ليخبره بامر تلك الرسالة التي جعلته يندهش كثيرا أولا ثم قال له:

و ازاي مشوفتش الرسالة دي في وقتها؟؟

أنا تيلفوني كان مقفول بعد خروج أكرم من البيت بشوية كده.. بعدين لما خدت بالي فتحته بليل وبعدها حضرتك كلمتي وجيت المزرعة وحصل الي حصل. من امبارح بقه وأنا مش مركز معه خالص. لحد ما جاتلي انهارده الصبح. ولاقيت تاريخها امبارح قبل ما يجي الخبر بساعات يعني.

دي في ساعة وقوع الجريمة نفسها تقريبا..

معقوله؟؟

ايوه معنى كده ان كريم كان هناك بالفعل.. التقارير بنقول ان الجريمة حصلت بين ٨ و ١١ بليل. والرسالة في التوقيت ده. وأنا متأكد دلوقتي لو دورنا على موقع التيلفون الي اتبعنت منه هيطلع المزرعة.

طب ده معناه ايه؟؟ يفيدنا في حاجه؟؟

هنشوف... سمعني الرسالة كده الأول.

اتفضل...

فتح عمر الرسالة من هاتفه ليستمعوا لها سويا بينما جاء صوت كريم على الناحيه الاخرى .. وهو يتنفس بصعوبة كأنه كان يركض لساعات قائلا:

... عمرررر... أكرم يا عمر ..مراد.. مراد قتل أكرم..

ولكن صوت الرصاصة اللاحق بصوت كريم. جاء يفسر كل شئ. ليدركوا سويا انها بالتأكيد من السلاح ذاته الذي اطلق على أكرم قبل لحظات. لتنتهي الرسالة لحظتها. وتحتل الدهشة والقلق وجه عمر وياسر مره اخرى. بعدما تأكدوا سويا من ان الفاعل مراد. والان اصبح بالدليل القاطع.

الرسالة دي مهمة جدا في القضية. استندائك تيلفونك لازم يفضل هنا شوية ونفحصه اكثر.

.... كده اتأكدتوا ان مراد الي قتلهم؟؟

استاذ عمر أنا مقدر حالتكم كلكما صدقني.. بس الي لازم تتأكد منه اننا يهمننا زيكما
واكثر اننا نقبض على الجاني الحقيقي ويتحاسب. اكيد ده دليل مهم ضده. عشان كده مش
عايزك تقلق خالص. مراد هيتجاب هيتجاب. عامة التحقيق لسه مستمر. وأنا كنت مأجل بس
اننا ناخذ اقوالكم عشان صدمة الحادته ووالدتك طبعاً. بس أنا عرفت امباح انكما معملتوش
عزاف...

ماما مش عايزة تعمل عزاف. قبل ما يقبض على مراد ويتحاسب.

اكيد.. حقها طبعاً.. بس ارجوك تفهم بردوه ان اقوالكم كلكما مهمة جدا ع الاقل عشان نعرف
مراد ممكن يبقى فين دلوقتي؟؟ عشان كده لو تشرفونا انهارده. يبقى احسن ويفيدنا كلنا.
... مفيش مشكلة يا فندم.. ان شاءالله اكون عند حضرتك انهارده.. مفيش داعي لحد تاني مش
كده؟؟

يعني أنت كنت اقرب واحد ليهم الاتنين.. وانسه نور باعتبارها اخت واحد من المجنى عليهم
شهادتها هتكون مهمة بردوه. ده غير انه الجاني يبقى ابن عمها.
بس نور متعرفش حاجه لسه عن الرسالة دي.. الحقيقة نور متعرفش حاجه خالص. عن الي
ممكن يوصل مراد لكده.

يعني أنت الي عارف؟؟ مش كده؟؟

... صدقني الموضوع معقد أوي.

يبقى هنتظرك بعد الضهر. تشرفني تاني ناخذ اقوالك وتفهمني الحكاية ...

ان شاءالله.. شكرا جزيلاً

غادر عمر ليعود منزله مفكراً في كل ما يحدث.. وكيف يمكن ان تعرف نور عن هذه
الرسالة.. الحقيقة ان اكثر ما كان يفكر فيه وقتها هو حديث والدته السابق معه وكيف يمكن
ان يتزوجوا هو ونور رغم كل ما يحدث حولهم.

...

في الموعد المحدد ذهب عمر مرة اخرى الى المديرية لآخذ اقواله في القضية. حين
افضى ما يعرفه عما حدث. و كل ما يجول بعقله عنها ايضاً. ادرك الطابط ياسر ان الامر
قضية غيرة بين طرفين وضعوا عينهم على نفس البنت فقط. وان كان بغرض الحب. ولكن
من الواضح ان قلت مراد لأكرم جاء لبعده جدال قوي بينهم. خاصة بعد ايجادهم لآثر عنف
في مكان الحادث.

لم يرد ياسر ان يضغط على عمر كثيراً في هذه النقطة. كي لا يحرضه بدون قصد
ويفعل شيئاً يضر مسار القضية ويجعله يقع في شباك الحقد.

حين أوشك عمر على الذهاب اراد سؤال الطابط ياسر.. عن وقت جلبهم لنور للإفادة باقوالها..

انسه نور جات من بدري وادت باقوالها خلاص.

معقوله!! ازاي يعني؟؟

بعنتلها محضر على بيتها.. وجات معه من ساعتين كده خلصت ومشيت..

يعني جات لوحدها؟؟

استاذ عمر.. اسمحلي معلش انسه نور مش صغيرة.. وبعدين فرقها ايه عنك في القضية دي.. مانت جاي لوحك اهو... وبعدين ليه الخوف الغريب ده؟؟

مش عايز مراد يأذيها بس..

لو على مراد.. فخليني اقولك من واقع خبرتي مشكلته مش انسه نور ابدأ. مشكلته هتكون أنت..

أنا!!

ايوه.. أنت مش لسه قايل قاتل اخوك عشان عارف انك بتحبها وعايز تتجوزها.. ومن الواضح ان قتل كريم كمان مكانش خارج الموضوع ده.

يبقى مفضلش غيرك.. ولو فكرنا بطريقته دلوقتي.. هنلاقي حاجه واحدة بس.. لو الي حصل مضغش على عقله وخليه يتجنن لوحده.. هيبقى الحقد والغضب الي سايقه دلوقتي في اتجاهك أنت وبس.

فكر عمر للحظات في مدى صحة حديث الطابط ياسر. وبالفعل وجد بيه بعض المنطقية خاصة انه شهد قبل قليل ان مراد لم يكن يوما من النوع العنيف. فقط كان يميل لآخذ ما يريده بنفسه وليس بطلبه من احد.

ولكن حتى وان ادرك عمر هذه الصفة في صديقه بعد فوات الأوان. الا ان ادركه لهذا الامر الان يمكن ان ينفذ احدا اخر من حقد مراد المسيطر عليه الان. وهو ما سوف يسعى اليه الليلة بالفعل.

حين اتى المساء لم يكن لدي ما افعله كثيرا. فالوضع لم يكن مختلفا عن اليوم الماضي. فقط كان اصبح لدي الوقت لانفقد المنزل من جديد. كأني اراه بعد مدة طويلة لم اكن اعرفه بها. الحقيقة ان حتى خروجي من المنزل صباحا مع عناصر الشرطة. جعلني اتفقد الطريق من حولي كأني اراه لأول مره اليوم. الغريب اني دائما ما كنت أنا من اقوم بالاعمال المنزلية. واعرف مكان كل شئ فيه عن ظهر قلب. الا اني اصبحت اراه الان بعين مختلفه. لم اعرف أ هو ذلك الظلام الذي اجلس فيه منذ البارحة؟؟ ام هذا الظلام الذي بداخلي؟؟

صحيح فكيف يمكن ان نرى شيئا بوضوح فيه؟؟

ولكنى هكذا تعودت ان ارى كل شئ في العتمة. كما كنت احب ان اجلس في غرفتي دائما الان اصبحت اعرف العتمة ايضا مثل هذا البيت عن ظهر قلب.

كنت اجلس في الشرفة منذ ان رجعت صباحا. فقط اقوم لاداء الصلاة واعدود مره اخرى لمكاني نفسه.. لم افكر في شيئا.. ولم اعرف اذا كان على فعل شئ ما من الاساس اما لا.

حين قال الطابط لي اليوم ان مازال هناك بعض الوقت لدفن أخي. تمكن الحزن من قلبي مره اخرى. شعرت كأني سمعت خبر وفاته مره اخرى. كنت افكر في اي وضع سيصبح عليه اذا تأخرنا اكثر من ذلك لأكرمه؟ بعد قضاء صلاة العشاء رجعت مكاني بالشرفة مره اخرى. كأنها اصبحت ملاذا لي بعد غرفتي.. ظلمت قرابة الساعة مكاني. حتى سمعت صوتا من الداخل كأنه صوت خطوات احد...

كنت شعرت بهذا اليوم الماضي اني قد اعتدت وحدثي لدرجة الا اخاف. ولكن اتضح لي ان هناك فرق كبير بين اعتياد الوحدة وبين الخوف من وحدتك.

حتى ذعرت بشدة من سماع هذا الصوت.. كأن كل الخوف بالعالم تجمع فقط لي بهذا المنزل. حاربت خطواتي كثيرا التحرك الى الداخل. حتى تمكنت من تحريكها قليلا حتى وصلت الى المطبخ. بالطبع لم اجد امامي سوى ذلك السكين الصغير كي احتمى به.. اخذته وركضت باتجاه غرفتي فوق.. لم أنتبه لاجلاق باب الشرفة ولم أنتبه لاشعال الضوء من حولي. فقط كل ما فكرت به هو الذهاب باتجاه ذلك الصوت رغم كل خوفاي هذا.. ولم اعرف السبب حتى اليوم..

ذهبت لاعلى وأنا ممسكة بذلك السكين بيدي. واستمع لهذا الصوت الذي تزايد للحظات مره اخرى. بحثت في طرقات الدور العلوي لعلي اجد مصدر ذلك الصوت. ولم اجد.. لوهلة خطر على بالي ان تكون قطة صغيرة تسربت للداخل.. ولكن بمجرد دخولي غرفة أبي لابحث عن ذلك الصوت. ظهرت امامي صورة أبي يتوسط مراد وكريم بجانب السرير. تجمدت للحظات امامها. حتى وجدت عقلي يذهب لاحتمال ان يكون مراد هو من دخل المنزل الان.. وان ما لمح اليه عمر من قبل صحيح.. مراد اصبح يشكل خطورة علي أنا الان ايضا. كنت امشي خطواتي بثبات رغم ذعري الشديد كأني أنتظر الفرصة لانقض عليه مثلما غدر بأخي وأكرم سابقا. الا ان المفاجأة كانت حين شعرت باقتراب صوت الخطوات مني بشدة لدرجة جعلتني اقف مكاني دون حراك اتجهز للالتفاف فورا وغرس السكين في جسده. ولكن الصدمة كانت حين أوةشكت على ضربه بالسكين لاجد انه اخر شخص اتوقع ان يدخل منزلي بهذا الشكل.

اااه استني بس أنا عمر.

أوووعى ايدك.. عمر مين؟؟

ياابنتي اهدي أنا عمر يحيي اهدي اسمعني.. استني اشغل النور.

هاااا شفتي بقه اهدي.. أنتي كويسه؟؟

كوويسه!! أنت عبيط ولا بتستعبط؟؟ أنا روحي راحت مني الشوية دول. أنت ازاي دخلت هنا؟؟ وايه الي جابك اصلا؟؟

مكانش قدامي حل تاني.. دخلت م الشباك الي قريب م البوابة..

نعم!! عمر افضل بره لو سمحت التفضل والا هتصل بالبوليس دلوقتي..

تركته ورائي وأنا في قمة انزعاجي و غضبي منه كيف يمكن ان يكون بكل هذا الجنون؟ ومن اين يأتي بكل هذه الجراءة من الاساس؟؟ تركته وأنا اتجه الى هاتف المنزل بالفعل للاتصال بالشرطة.. لاتفاجئ بيه امامي يغلغ الهاتف قبل ان اتمكن من ضغط الرقم الثاني. أنا مش محتاج منك غير خمس دقائق تسمعني.

اسمك في ايه؟؟ هو أنت ازاي كده؟؟ بقى أنت صاحب اخويا وعشرة عمره؟؟ أنت تربية يحيي وغاليه؟؟ ازاي تسمح لنفسك تدخل البيت وأنت عارف ان مفيهوش حد غيري؟؟ وفخور أوي وأنت بتقولي داخل م الشباك.. شباك ايه ده؟؟ أنت فاكر كده بتخوفني يعني...

ياالبنتي اسكتي شويه واسمعي.. أنا مش جاي أدنكي.. الموضوع غير كده خالص. على فكرة يا عمر.. مراد بردوه قالي كده قبل كده.. وادي النتيجة قتل اخويا وصاحبه..

الايه؟؟ أنتي قلتي ايه دلوقتي؟؟

الي سمعته.. قدامك دقيقة واحدة.. يا تمشي من هنا حالا.. ياما هعمل فيك الي كان المفروض اعمله معه لما خضني زيك كده..

انزعج عمر بشدة من وضعي له ومراد بنفس الخانة. حتى شعر ان المقارنه خرقت كبريائه لدرجة جعلته يتراجع خطواتين للوراء. ولكن كي يأخذ احد الاكواب الموضوعه على السفرة ويضربها بالارض لينتهي بيها المطاف قطع صغيرة جدا حتى لا تصلح لجمعها بعد الان.

الأنت اتجننت ايه الي عملته ده؟؟

أوووعي أووعي تاني مره تحطني وأنا الكلب ده في مكانة واحدة.. أنتي فاهمه؟؟

ياالاسلام.. وجعتك أوي ولما أنت احسن.. متصرفتش عكسه ليه؟؟ فين شهامتك أنت يا راجل يا كبير يا محترم؟؟

ياالاسلام اسمعي بقة بطلي استفزاز فيا واسمعي.. أنتي لازم تيجي معيا دلوقتي حالا.. مينفعش تفضلي في البيت ده اكثر من كده..

لم اجد نفسي سوى اصقف له بيدي على تلك المحاولة الغريبة. التي توقع منها ان اخاف لدرجة تجعلني الجأ لبيتهم مره اخرى ولكن

ااه ماهو واضح.. طب واياه المطلوب يعني اروح اتكلم معهم مثلا؟؟ هعمل ايه

لا لا تتكلمي ايه بس.. بقولك هيقتلوكي ...

خالك أكرم!!

ايه؟؟

خالك أكرم .. بابا كان بيحبه وهو بني ادم محترم وكويس على حد معرفتي بيه يعني..
وكريم كمان كان بيحكلي كده.. اروح اتكلم معه وهو يفهمهم!!

شعر عمر ان خطته تذهب هباء الان. لذلك لم يخطر بباله افضل من اشراك الاخريين بها
ايضا.

ااا خالي واحد منهم على فكرة!!

ااا أنا عارف انه صعب عليكي الي بقوله ده.. بس قرابنا دول كبار العايلة وفي
وجودهم كلام خالي وامي حتى ملوش قيمة. ااا هما اصلا أول ما اتكلموا كان معه هو..
وطبعا ...

معترضش!!؟

مع الاسف.

يعني البيت الي كنت في لحد امبارح بس.. ومتشاركين نفس الحزن والوجع. يبقى انهارد
عايز يقتلني.

جلست مكاني على اقرب كرسي لي. حائرة جامدة لا اعرف كيف يمكن ان تتغير نفوس
البشر بهذه السرعة؟ وكيف يمكن ان يتقبل الانسان موته وهو على دارية؟؟

الحقيقة اني لحظتها أنتبهت لشيئا ما. وهو ان مهما ازدادت العتمة حولك لابد ان تنظر
الى ذلك الجانب المضي.. لعله لم يكن ضوئا من الاساس بل مجرد حريق صغير يزداد
اشتعالا كلما اقتربت منه.

أنا اسف يا نور.. حقيقي اسف الموضوع اكبر مننا. ومفيش في ايدي حاجه غير هروبك من
هنا.

... لا ابداء.. كل شئ قسمة ونصيب. كنت فهمت كده من زمان واناأكدت منه دلوقتي. أنا لا
اخترت ولدتي ولا موت امي ولا خسارة اخويا ولا كره ابو...

كله مقدر ومكتوب.. مجتش على موتي دلوقتي.. ع الاقل هيبقى افضل من اني اعيش
وكريم مش موجود. كده احسن...

ايه الي بنقولي ده.. مفيش الكلام ده. أنا مستحيل اسبيك ليهم أنتي فهمتي ايه؟؟

عمر لو سمحت متتعيش نفسك.. ياريت تتفضل دلوقتي أنا معن...

نور اسمعني.. أنا قلت مفيش حاجه في ايدي دلوقتي غير هروبك من هنا. انما مقولتش ان ده
الحل يعني..

يعني ايه؟؟

في حل طبعا.. وحل كويس كمان. ينهي المسألة من جذرها.

طب ما تتكلم قول على طول..

تردد عمر للحظات ولكن ليس مثل ترده السابق. بل هذة المره وهو ينظر بثابت كامل
داخل عيني ليقول.

نتجوز.

لا هناك صدمة اكبر من خبر موتك.. وهي انك ستعيش ولكن من دون خيارات كثيرة.
وهذا تماما ما شعرت بيه حين جاء اليه بهذا الحل المذهل بالنسبة له. الزواج هو ما سينقذني
من الموت المحتم. أ يمكن هذا حقا؟؟

... يعني ازا.. هو ايه الي نتجوز؟؟ ايه الي بتقوله ده؟؟

نور اسمعني.. مفيش حل ثاني.. لما تبقي مراتي هتبقى من العايلة يعني طبيعي محدش
بقدر ياذيكي. وهيبقى موضوع التار ده اتقل طبعا لانك بقيتي دمي أنا.. مش محسوبة على
حد ثاني..

هي دي كل اللعبة صح.. يعني عشان اخلص من فرمان موتي الصادر من عايلتك اتجوزك
أنت وابقى وشي في وشهم طول العمر مش كده؟؟!

يابنتي افهمي محدش يقدر ياذيكي طول وأنا جمبك.. وعشان اقدر اكون جمبك لازم
نتجوز يا نور مفيش طريقة ثانيه.. وطبعا مين قال انك هتكوني في وشهم.. احنا هنعيش في
بيت اهلي زي مالحنا.. والي بينا هيفضل بينا. كل الحكاية انه جواز ينفذ حياتك و... ويخليني
مطمئن عليك واهميك.

ااا برافو فعلا برافو.. نتجوز ونعيش في بيتكوا. وخالك أكرم وامانتك الي وافقوا اهلهم من
شوية مش هيايدوني يعني مش كده؟؟

ايه الي بتقولي ده؟؟ امي مستحيل تأذي حد وخالتي أنتي يمكن متعرفوش كويس.. بس ده
اطيب واحسن بني ادم ممكن تشوفي في حياتك ميتخريش عن أكرم اخويا... الله يرحمه....

نور .. كل الي اقدر اقولهولك دلوقتي هو انك لازم تثقي فيا وتصدقني.. مش عشان مفيش حل ثاني. بس عشان أنا فعلا عمري ما ارضى بأذكي أو تعرضك لخطر.

... اثق فيك ازاي يا عمر وأنت مش واثق في اهلك وكلامك اتغير بين دقيقة والثانية؟؟

... تمام. أنا بوعدك دلوقتي من دلوقتي وطالع حياتك مسؤولتي أنا واي حد .. اي حد مهما كان لو حاول يتعرضك بأذى هيكون حسابه عندي. ده لو قدر اصلا.

كان يتحدث بثقة كبيرة لدرجة. جعلت حديثه بالفعل يقنع عقلي قبل قلبي. لم اعرف وقتها ابدأ لماذا حدث هكذا وكيف حدث؟ الا ان تعلق عينه بعيني لحظتها جعلني ادرك اني يمكنني الاعتماد عليه حقا.. و ان كان لفترة قصيرة.

....

(١٤)

صباح الخير يا ماما..

صباح الخير يا حبيبتي تعالي..

عاملة ايه؟؟

الحمد لله على كل شئ.. هنا صحيت ولا لسه؟؟

صحيت بليل شوية.. كانت تعبانة فضلت الهيا شوية لحد ما نامت.

بصيت عليكوا الصبح كنتوا نايمين جمب بعض.

بقالنا يومين كده.. مش عارفه اسيبها وأنام على سريري وهي متنمش كويس غير في حضني.

ربنا يخليكوا لبعض يا حبيبتي.. ويخليكوا ليا أنتوا واخوات...

ااا هو عمر فين؟؟

مش عارفة.. صحيت الفجر مكانش موجود والساعة داخله على ١٠ اهي لسه مجاش.

امم خير يارب.. طيب اتصل بيه؟؟

لا لا أنا حاسه هو فين .. عامة اما يشوف اتصالاتي هيرجع يكلمني اكيد.

أنتي كويسه يا امي؟؟

... بيتها نللي مفيش حاجة صعبة على بني ادم. زي انه قلبه يوجعه كده بس لازم يقف على رجله عشان الي وراه.

بس أنتي حقك بردوه تحزني يا امي.. ايه الي يمنعك من كده؟؟

أنتوا.. أنتي وهنا وعمر.. وحق أكرم.. امانة ابوكي الي سايبه لي وللازم افضل محافظة عليها طول مأنا عايشة.. كفاية ضيعت واحد منكوا...

أنتي اقوى ست شفتها في حياتي يا امي.. طول عمري عارفه كده بس كل يوم بتكبري في نظري اكثر.. ربنا يخليكي لينا ويديمك فوق رأسنا يارب.

قبلت عليا يد والدتها وهي تقول جملتها الأخيرة. كي تربت غالية على كتف ابنتها وتحتضنها. بينما ظلت عليا بحضن امها للحظات حتى مالت على ركبته واضعة رأسها عليها. كانها تسقط حملها كله بين يديها الان.

ظلوا على وضعهم هكذا قرباة الساعة. حين دق جرس الباب فجأة. لتذعر عليا مكانها وتفيق من نومتها بمجرد سماعه. لتنتبه غالية الى ردة فعل ابنتها هذة .

اهدي يا حبيبي مفيش حاجه.. ده جرس الباب.. اكيد خالك ولا مراته..

ها اايوه صح.. ثواني هروح افتح أنا.

ذهبت عليا بفتح الباب بينما قامت غالية من مكانها لتلحق بيها. ولكن كانت الصدمة حين فتحت عليا الباب لتجد امامها أخيها عمر. الذي لم يدخل بمفتاحه كالمعتاد لسبب ما ...

ايه ده عمر... افكرناك حد تاني. مدخلتش بالمفتاح ليه ماما بتسأ...
نور!!

ماما فين يا عليا؟؟

تعالى يا حبيبي.. اتأخرت كده ليه؟؟ نور.. ازايك يا حبيبي تعالي.

دخلنا أنا وعمر من الباب ليغلق خلفنا. بينما ظلت واقفة مكاني دون كلمة واحدة. لم اكن أنتظر منه فقط التكلم أولا. ولكني كنت انظر الي ذلك الاستقبال الحنون كيف يمكن ان يتحأول الى حرب ودم خلال يوم واحد!

امي احنا عايزين نقولكوا حاجه مهمة.

تعالى طيب يا حبيبي واقفين ليه.. انفضلي يا نور تعالي أنتي كويسه حبيبي؟؟

اكتفيت باشارة من رأسي فقط بالايجاب. ونظرت لعمر سريعا احثه على التحدث قبل ان افقد وعي تماما الان.

هي هنا لسه نايمة ولا ايه؟؟

اه لسه تعبانة.. مرضتش اصحياها الصبح.

طب تعالوا جوه كده شوية...

في ايه يا عمر اتكلم يا ابني.. حصل حاجه ولا ايه؟؟ صال...

عمي كويس.. الموضوع يخصنا احنا.. لازم تعرفوه الأول.

وقفن عليا و والدتهم ينظرون بدهشة لبعضهم البعض. حتى صدر القرار من عمر أخيرا وتحدث قائلا:

ماما أنا ونور... كتبنا كتابنا من شوية.

اايه؟؟

صدمت عليا كثيرا من سماع أخيها. بينما ظهرت تلك البسمة الحنونة على وجه غالية. كأنها راضية تماما بما حدث. ولكني بالطبع لم افهم وقتها انها ابتسامه رضا. بل بدت كأنها بسمة أنتصار غريب.

توجهت بنظري فورا الى عمر حين اعطاهم الخبر. بينما لم اتمكن من منع نفسي من التمعن اكثر بهم جميعا. لعلي افهم قليلا وقع الخبر عليهم. وهل سيشكل عبئا عليهم ام كمان قال عمر قبل اتمام الاجراءت "كل شئ سيصبح افضل الان"...

عليا.. أنتي عارفه طبعا الي حصل مكانش لينا لوحدنا. وجعنا كلنا واحد. بس نور وضعها مختلف شوية.. دلوقتي بقت لوحدها ومينفعش تفضل في بيتها كده. وطبعا مقبلتش تفضل معنا يعني كده عشان ميصحش. توصلنا للحل ده بحيث يرضي جميع الاطراف ونبقى مسكنا العصية من النص... لحد ما عمي صالح يقوم بالسلامة يعني.. مش كده يا ماما ولا ايه؟؟

طبعا يا حبيبي.. عين العقل. اكيد مينفعش تفضلي لوحدك بعد الي حصل.

قالت غالية جملتها وهي تقبل علي لضمي اليها. لاتفاجئ من تصرفها بهذا الشكل وانظر الى عمر الذي بدى متوترا قليلا. ولكنه اظهر تعبيراً مؤكدا على كلامه من قبل كأنها فرصه لجعلى اصدق ما قاله امس عن والدته.

بينما شردت أنا قليلا فيما قاله لاخته قبل لحظات عن سبب اقدمنا على هذه الخطوة الصادمة بالطبع. لاتذكر ما قاله قبل ميحننا الي البيت قبل قليل.

"نور في حاجه مهمة كمان لازم ناخذ بالنا منها.. اخواتي مينفعش يعرفوا حاجه عن سبب جوازنا الحقيقي. هما بيحبوا خالي أكرم طبعا وميعرفوش كثير يعني عن اهل امي الي قنلتك عليهم دول. ف طبعا الموضوع هيبقى صعب عليهم وهما مش ناقصين. ارجوكي ده طلبى الوحيد منك.

تمام.. مفيش مشكلة طبعا.. بس هنقولهم ايه؟؟

اااا هنقولهم زي ما قلنا قبل كده وهنقول لاي حد.. عشان مينفعش تكوني لوحدك وأنتي امانة والدك وكريم لينا وكده. اساسا مش مضطرين نبرر يعني محدش لي حاجه عندنا"

وبالفعل تم الامر بسهولة كثيرة. كأنه يعرف تماما جوابا لكل شئ قبل حتى التفكير فيه.. حررتني غالية من ضمتها . لاقف مكاني دون حراك. انظر الى عليا الان منتظرة اي جواب منها.

يعني دلوقتي أنتوا اتجوزتوا رسمي خلاص.

اااا ايوه. طبعا هو كتب الكتاب بس عشان الظروف. وعشان تكون معنا في البيت من دلوقتي.

... تمام. معناها بقت مرات اخويا خلاص. يعني واحدة من العايلة ...

قالت عليا جملتها لتحتضني هي الاخرى بقوة. كأنى بالفعل كنت واحدة منهم الامر الذي سيصبح بعد اليوم بمثابة ضوء صغير وسط عتمة كبيرة.

التفضلي دي أوضة عمر.. وأنا وهنا أوضتنا جمبك هنا. لو احتاجتي اي حاجة قوليلي.
أنا مش هنام خلاص... هجيبك دلوقتي هدم ملونة تنامي بيها بس. بلاش تنامي بالاسود
ده.. ولما تصحي ان شاءالله نشوف حاجتك الي عايزة تحببها م البيت.. خليك براحتك
خالص انهارده متفكريش في حاجة.

... شكرا يا عليا.

ابتسمت عليا بصدق حقيقي لم اراه كثيرا من اهالي هذا البيت. كي تغلق الباب خلفها.
واظل أنا بهذة الغرفة الغريبة عني. اتطلع اليها وانظر الى كل شبر فيها افكر كيف ستسعني
هذة الغرفة رغم كل ما جرى وما سوف يحدث؟؟!

عمر ايه الي حصل؟؟ ازاي...

هفهمك كل حاجة يا امي... بس لما افهم أنا الأول.

عمر.. أوعى تكون لعبة...

لا لا ابدأ والله اتجوزنا فعلا.. كتبنا الكتاب يعني.. الي أنتي قلت وتترني شوية.

ليه؟؟ هي مش بنت زي كل البنات.. كمان الاشهار شرط اساسي من شروط الجواز. أنت
عايز الناس تفكر حاجة غلط ولا ايه؟؟

أنا مش مختلف معاكي يا امي.. بس عمي صالح وأكرم وكريم.

عمر أنا قلتك قبل كده.. أنا مش هقبل عزا في ابني غير لما الي عمل فيه كده ياخذ جزائه.
واصلا العزا ثلاث ايام بس. وأنا مش عايزة اكثر من كده.. بكرأ يعدي على خير. بعد بكرأ
ليل ان شاءالله نبقى نتجمع بره في الساحة.

وافق عمر والدته كأمر طبيعي بينهم.. ولكنه كان يعلم من داخله ان هناك سبب اخر
ايضا لديها تريده من هذا الاحتفاء بزواجه. لذلك ترك لها الامر الى نهايته كي يرى بعينه ما
الفرق الذي سيحدثه هذا الاحتفاء.

بالنيسة لي لم يكن الامر متخلفا كثيرا.. بالفعل ظللت طوال النهار بالغرفة لم اخرج
منها. الحقيقة اني لم افضل النوم وقتها ابدأ ولكن بطريقة ما بداخلي. كنت اعرف اني لم
اتمكن من النوم على هذا السرير ابدأ. الحقيقة ان تلك الاريكة انقذتني من ضغطا كبيرا كانت
ستشكله نفسي علي.. كيف يمكنني اقناع عمر بان يترك الارض لي كي أنام عليها؟؟

صحيح.. لم يدخل عمر الغرفة ابدأ من بعدي. ولكني علمت بجميع الاحوال ان اليوم لن
يمر بدون دخوله الى غرفته مرة اخرى.. لم يزعجني احد ولم يقتحمني احد ابدأ. لم اعرف
لماذا ابدأ وقتها ولكني لأول مره بحياتي وان كان المكان غير مناسب ابدأ شعرت بان قلبي
اصبح اخف بكثير عن ذي قبل.

خرجت من الغرفة حين اتى المساء .. نظرت حولي لاجد انى بنفس المكان الذي هربت منه قبل ايام فقط. حتى ان كان أول ما وقعت عليه عيني هو تلك الشرفة التي تركتها ورائي ايضا بكل مافيها. ولكن قلمي جرتني الى هناك ايضا. كأني لم اعرف مكانا غيرها بالبيت. حتى لم اعرف اني ساضطر لمواجهة نفس الموقف مرة اخرى ولكن هذه المرة بالتأكد لم استطع الركض الى الخارج ايضا.
المنظر بيبقى حلو بليل..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.. أنت هنا من امتي؟؟

هههههههه من دقيقتين.. دخلتي وقتي ولا أنتي شايفني!!

هشوفك ازاي في الضلمة دي؟؟ أنتوا على طول مضلمنها كده؟؟

كان أكرم بيبحب هدوء البلكونة دي اكثر مكان في البيت.. عشان كده مكانش حد بيغير في حاجه.. هو الي كان متوليها.

الله يرحمه.. أنت منمنتش م الصبح؟؟

لأ مبعرفش أنا م طول م النهار طالع.. شوية وهتلاقيني وقعت الصلا.

اممم أنا كمان .. بس مش عشان النور.

الأوضة مريحكي طيب؟؟

ااا كويسه تمام.. بس معلش بقه مضطر تتنازلي ع الكنية بقت مكاني خلاص.

هههههه زي ماتحبي .. بس خليك براحتك يعني السرير احسنك.

لا معلش مش متعودة على سرير مش بتاعي. فخليني كده بس دلوقتي .. لو سمحت...

براحتك... عامة تأكدي انها أوضتك وليكي حريتك فيها تمام متشليش هم وجودي ولا تحسي بالاحراج ابدأ.

شكرا... ااا أنا أول مره ابات في مكان ثاني غير البيت.. يعني عيشتي في السكن الجماعي مكنتش محسني اني غريبة. قد ما كانت محسني اني بعيدة. عشان كده مكنتش زعلانة وأنا هناك.. بس دلوقتي بيتهائلي اني داخلة دوامة هتفضل تلف بيا فترة .. عشان كده يمكن أوجه صعوبة شوية في النوم.. مش عايزة اقلقك وأنت نايم.. بس لو نومك خفيف يمكن اتبعك معيا ولا حاجه

ياستي تعبك راحة.. ولا يهملك.. خدي وقتك براحتك. المهم تبقي كويسه.

بالمناسبة صحيح.. بالنسبة للماما قالته واحنا تحت بس كنت عايز اقولك انه بعد بكر ابليل ان شاءالله هتجمع الناس قدام البيت بره عشانا وكده.. عشان...

أنا فاهمه.. بس بالسرعة دي؟؟

اااا يعني انهارده هيكونوا عدوا ثلاث ايام وبكرا سايبنا نرتاح.. قالت مش هينفع ابعد من كده.. عشانك بردوه.. عشان تبقي مرتاحة في وجودك هنا.

ااااه.. الي تشوفوه أنا مش فارقه معيا.. مجتش على دي يعني.

قصدك ايه؟؟

لا ولا حاجه.. عن اذنك أنا شكلي هقع بدري أنا كمان.. هدخل أنا.

تركته ورائي وهو يعلم تماما ما كنت اعنيه.. أنا لم اختار شيئا بحياتي من قبل ويبدو اني لن اختار بعد الان ايضا. لم تكن المشكلة برغبتها باقامة هذا التجمع هكذا. ولكني ايضا شعرت بنفس ذلك الشعور الذي اجتج عمر من قبل. وهو رغبتها بارسال رسالة اصبحت اعرف تماما ماهيتها الان.

كانت غرفتي هي ملاذي الامن ببיתי.. والان اصبحت هذه الاريكة كذلك ايضا.. كأني كنت أنتظر فقط وضع رأسي عليها لاغرق بنوما عميق لم اعرف له معنى من قبل سوى بغرفتي. حتى اني لم يسعني ان افكر كثيرا ان كان يمكنني النوم من الاساس هنا ام لا؟

هكذا الامر اذن تخطئ فتهرب تظن انك نجوت للحظات. ليلاحقك ذلك الخطأ اكثر كلما هربت منه. الحقيقة ان الامر دائما كان هكذا. تعرف انه لا بد ان يدور الذنب ليعود اليك مهما كان كبيرا. ومهما كنت أنت بلا حجم امامه. ولكن لا بد من ضربه لك بوجهك ضربة قوية. تكاد تنهيك باي لحظة بعدها.

لكن ماذا اذ كان ذلك الذنب جريمة لا تغتفر؟ جريمة ارتكبت في حق نفسك أولا قبل الاخرين؟ الان فقط ادرك ما الجنون الذي ارتكبه. ولكن أ ادركه فقط يكفي حقا؟ اذا ما الذي سوف يغيره ذلك؟ لم يجد عقله اجابات ابداء. أو بالأصح انه لم يكف عن السؤال ايضا.. مرت ثلاثة ايام على ارتكابه تلك الجرائم.

مرت عليه وهو ضائع ومختفي ايضا. مرت وهو لا يعرف الى اين والى متى سيظل هاربا. السؤال الاساسي الان هو هل هو من اراد هروبه حقا؟ ام فقط الطرق هي ما قدته الى هنا؟ الى المكان الذي بدء فيه كل شئ قبالا.. الى المكان الذي قلبه دق فيه أول مره.. الى حديقة المستشفى الذي كانوا يأخذوني فيها في صغري دائما. ظل مراد مختبئا بمبنى تحت الانشاء مقابل المبنى الرئيسي للمشفى.. كان المبنى هادئا كثيرا حين اتى اليه لم ينتبه له احدا وهو يصعد الى دوره الثاني منه ليشاهد الغرفة التي كانوا يستقبلوني فيها دائما حيث اتى. الغريب ان قبل اسابيع قليلة كان العمل قد توقف تماما في ذلك المبنى الى اجل مسمى.. كأن البناء كان يتهيئ لاستضافة مراد قليلا.. خلال هذه الايام.

كانت حالته لا تختلف كثيرا عن حالتنا.. لم يأكل ولم يغادر مكانه ابدا فقط بعض الماء كانت كفاية لرواي عطشه. بينما ظل هائما شاردا وحيدا في مكانه.. يجأوره فقط سلاح الجريمة وبعض الدماء التي احتلت ملابسه من اثار اصطدامه برفاقه أكرم وكريم.. كانت حالته لا يرثى لها.. كأنه اصابه مسا شيطانيا. جعله لا يستوعب ما حدث ذلك اليوم.. ولا يدرك ابدا ما الت اليه الامور بعدها..

فقط ظل كريم كان لا يفارقه ابدا.. حتى ذلك المشهد حين اصابه بيده بنفس سلاح قتل أكرم .. الذي لم يجعل فرق بين الجثتين سوى عدة امتار وبعض الثواني.



يوم الحادث..

لم تكن رصاصة قتل أكرم فقط التي اطلقت تلك الليلة. ولم تكن جثة أكرم وحدها ايضا. الم يقولوا دائما ان كل قاتل يرتكب خطأ ما يعرف عنه؟ الحقيقة ان حتى هولاء من يقتلون سهوا أو خوفا أو طمعا لا يرتكبوا الخطأ مره واحده فقط بل يظلوا يدوروا ويدوروا داخل دائرة لا تنتهى من السقوط.

وهذا تماما ما ادركه مراد بمجرد تاكده من أكرم فارق الحياة بعدما اصبح جثة هامدة امامه. ظل واقفا بلا حراك بجانبه لم يترك سلاحه من يده ولم يتمكن من اسكات دقات قلبه الذي كاد ان يشق صدره امامه من شدة ضرباته. ولكن كل هذا لم يشعره سوى بالقوة والأنتصار اللحظي. لم يزيده سوى غرور بان الامر أنتهى الان. حتى هول المشاهد من حوله لم يستطع ان يخرج من شردوه. حتى صوت الحركة المستمرة من زناد بالمسدس لم تفصله عن النظر الى جثة أكرم امامه حتى...

حتى سمع صوت على بعد خطوات قليلة منه.. صوت يدل على ان هناك حركة احدا ما ربما شهد على كل ما حدث قبل قليل.. كان عقله قد توقف بالفعل عن التفكير بشكل سليم و منطقي. لم يجد نفسه سوى انه يرفع سلاحه مرة اخرى يوجه امامه وهو يخطي خطوات ثابتته تجاه الصوت كي يرى مصدره. "مين؟؟ ميبين هنا؟؟" تمكن من نطق كلمات اخرى بعد كل هذا الصمت. ولكنها كلمات تدل ان هناك نهاية اخرى محتومة على وشك ان توضع الان. ذهب الى تلك الشجرة الذي خرج الصوت قبل قليل بجانبها. لم يجد شيئا. لم يجد احدا.. ولكنه ادرك انه لم يكن مجرد قط أو حيوان صغير مر سريعا. بل انها خطوات انسانا حيا اخر موجود معهم بالمزرعة. لانه بكل اسف لم يتمكن من خفي نفسه كليا. بل ترك ورائه قطعة من ملابسه. تدل انه رجل. رجلا بعمر مراد تقريبا.. اسقط معطفه اسفل الشجرة قبل قليل.. قبل ان يتمكن من ترك المكان تماما قبل لحظات فقط.. أو هكذا كان يظن بالطبع...

كان كريم قد قرر البحث عن مراد بل وأنتظاره ايضا بالمزرعة عله ينتهي بي المطاف هناك كالعادة. حين يشتاق لطفولته وايامه مع والده والدته.

لم يكن يعرف انه بالفعل قد سابقه الى هناك ولكن لم يكن وحده ايضا. أكرم ايضا كان قد وصل قبله.. ولكن الفارق بينهم ان أكرم كان على علم بذلك اللقاء بينهم بل وربما بهذة النهاية ايضا. بينما لم يحسب كريم ابدا ان اختفاء ابن عمه لم يكن سوى بداية لنهايتهم سويا....

كان قد مرت دقائق على وصول أكرم ولقائه بمراد في المزرعة. حتى اشتد الجدل بينهم.. لدرجة ان لا احد منهم ادرك ان البوابة كانت لاتزال مفتوحة اي يمكن لاي شخص ان يدخل مباشرة دون اصدار صوت احتكاكه بالباب. بل كان الجدل وصل اخره بينهم لدرجة انهم لم يشعروا ابدا بوجود احدا ما بالقرب منهم. كي يرى مصدر ذلك الجدل الشديد الواصل الى خارج البوابة. فبمجرد دخول كريم من الباب سمع اصواتهم تعلو من خلف بناء البيت .. كي يذهب ناحيتهم بعدما ادرك بالفعل ان هذا صوت أكرم ومراد حقا.. مشى خطواته في ثبات ينكر بداخله انهم يتجادلون الى تلك الدرجة من الخلاف. وجد نفسه قريب من تلك الشجرة الذي اسقط معطفه اسفلها. وقف مذهولا لم يتمكن من اخذ خطوات اخرى حين وجد أكرم معلقا بياقة مراد يحدثه بهذة النبرة الحادة. ومراد الذي يبدو عليه اثر سقوطه ارضا من صفة أكرم له قبل لحظات. ولكن كان اكثر ما جعل الصدمة تحتل كيانه هو رؤية ذلك المسدس بيد مراد. الامر الذي جعله يعجز عن الفكر والحركة ولكنه ادرك ان الامر اصبح خطيرا لدرجة كبيرة. مرت الثواني وكريم ثابتا محله يشهد جدالهم وحديث أكرم الأخير له. لم يستغرق الامر وقتا اكثر حتى وجد كريم نفسه يشهد جريمة قتل صديقه على مرمى بصره وبيد ابن عمه وأخيه الاخر مراد. كل شئ حدث بسرعة كبيرة لدرجة لم تعطه الفرصة سوى ان يترك مكانه في الحال ولكن ليس هروبا من الموقف. فقط اراد ايجاد المكان المناسب كي يحدث احدا ما عما شهده قبل لحظات. ربما ادرك لثواني ان الذي امامه الان لم يكن هو نفسه الذي كان يبحث عنه بقلق قبل دقائق فقط.

اخذ كريم يركض بسرعة بعيدا عن محيطهم. ولكنه لم ينتبه لاسقاطه معطفه من شدة هول الموقف امامه. اراد فقط ايجاد مكان مناسب كي يتحدث الى عمر وابلاغه بما حدث. ولكنه لم يسعه سوى ارسال رسالة صوتيه حين علم ان هاتفه مغلق.

"... عمر... أكرم يا عمر.. مراد.. مراد قتل أكرم.. " لتلحق بيه تلك الرصاصة الخائنة كي تنهي حياته هو الاخر في الحال. حين اصابه مراد بسلاحه من الخلف. ولكن هذه المره وهو متعمد قتل أخيه الأخير كريم.

مر امامه المشهد ببطئى كأنه يحدث امامه الان ايضا. لم يتحمل اكثر حيث ادرك بطريق هروبه ان لا يوجد مكانه يسعه الان.. ظل ساريا ساعات يجول الشوارع بعيدا عن المزرعة. حتى وجد نفسه بداخل ذلك المبنى.. لا يحأوطه سوى ادوات البناء والهواء الطلق ونوافذ غرف المشفى التي تطل عليه.

جلس ارضا يسند رأسه على حائط خلفه وهو يضرب المسدس بالرمال بجانبه.. ظل ثلاثة ايام على نفس الحالة. اذا غفت عينه قليلا ينام ويقوم في مكانه. كلما ذهب عينه الى غرفة المشفى التي اتلقى بيها العلاج.. ابتسم قليلا لتذكره طفولتنا ووجودي امامه كثيرا هكذا. كان يخيل له انى اقف على مقربة منه في بعض الاحيان ولكنه حين يدرك ان ذلك من وحي خياله فقط كان يغضب اكثر.. واذا اخترقت ذكرياته السعيدة مشاهد الجريمة وحديث أكرم الأخير له.. كان يستشيط غضبا اكثر واكثر...

حتى لم يشعر بنفسه ويده ترتطم ببعض الزجاج المكسور بالقرب منه. الا حين نزلت بشدة لدرجة ان شعوره بوجود بعض الدماء بيده. كاد ان يفقده عقله. كأنه لتوا ادرك ان هذه ليست دمائه فقط. بل هناك دماء اخرى ايضا معلقة بيده بل وبياقته ايضا. لدرجة لا بد انها سوف تخنقه وحيدا يوما ما في غرفة نظلمة على يد احدا بالتأكد اقوى منه ولكنه ليس بتلك القسوة الذي اصبح هو عليها الان.

لم يتحمل شعوره بسخونة الدماء عليه اكثر من ذلك. حاول كثيرا مسحها الا انه لوث نفسه اكثر بيها. فكر لحظات.. ثم ادرك انه لا يوجد امامه سوى دخول المشفى باي شكل. ومدأوة جرحه كي يتخلص من هذا الشعور القائم. بالفعل لم يتاخر اكثر نزل المبنى في خفاء كما دخل. ومشى تجاه مبنى المشفى العامل. قرر الدخول من احد ابواب الطوارئ كي يتفادي ملاقات احدا اما امامه. تمكن من الدخول سريعا وصعد الى الدور الثاني دخل احدى الغرف المظلمة.. وجد بعض ادوات التعقيم.. اخذها سريعا ودخل الى الحمام دوى نفسه وغسل جرحه سريعا. ولكنه هذه المره لم يتمكن من مفادة المراة امامه الذي نظر اليها مضطرا. ليجد ان مواجهة نفسه الان هي بالحقيقة اصعب بكثير من مواجهة الاخرين في اي مكان اخر. الان فقط تمكن من البكاء وتفريغ ما بداخله باكيا بشدة حتى سقط ارضا في مكانه يبكي وينوح حاله وهذا الشخص المائل امامه في المراة. الان فقط ادرك ان مراد طاهر ذهب الى مكان بعيد جدا. تاركا ورائه شبح اخر. ولكنه شبعا شيطانيا يأخذ في طريقه كل ما يعطيه قيمة في حياته.

ظل لحظات على حالته تلك.. حتى استعد نفسه قليلا وادرك انه لا يستطيع البقاء هكذا اكثر من ذلك. بل لا بد له ان يصلح حاله سريعا ويهتم بجرحه حتى يكون على اكمل صورة وهو يرتدي زي العريس منتظرا مجائي الي جانبه ايضا.

خرج من الغرفة بعدما تأكد من عدم وجود احدا بالممر. كان الوقت بالفعل قد تخطى منتصف الليل اي حركة المشفى اصبحت هادئة كثيرا.. ولكنه لم يدرك ان في نهاية هذا الممر كان هناك خبرا قاتلا اخر ينتظره. بل وجد طريقه ايضا كي يصل له فقط في تلك اللحظة حتى رغم محاولات تخفي هذة.

اتفضل يا دكتور دي نتيجة تحليل المريض في أوضة ٧٧ زي ما حضرتك توقعت بالظبط..
ياالله.. سبحان الله فعلا مكنتش متخيل استجابته للعلاج بالطريقة دي ابدأ.
الحمدلله.. مراته الحقيقة بتديله دافعه قوية أوي.

ده المهم فعلا يا بنتي.. الانسان لو معدوش غصن يتمسك بيه في الدنيا هيغرق لوحده. حتى هيندم مرتين.. انه غرق وانه كان لوحده...

صحيح يا دكتور.. حضرتك هتروح فرح بكر ا بليل مش كده؟؟

هااا ان شاءالله.. الحقيقة أنا مستغرب موقفهم مكنتش متخيل انهم يصمدوا بالقوة دي قصاد خسارتهم الكبيرة.

مدام عالية اتصلت مخصوص بالسكرتيرية انهارده تأكد على حضور حضرتك..

اه بلغوني لما خرجت من العمليات.. ربنا يوفقهم في حياتهم الجايه ان شاءالله.

انسة نور طيبة وجميلة أوي .. اكيد استاذ عمر ميتخريش عنها مش كده؟؟

الحقيقة يا بنتي أنا اعرفهم من زمن بس مع الوقت بقت مقابلاتي مقتصرة على نور وعلاجها .. بس أنا فاكر كويس نظرات عمر واهتمامه بيها في صغرهم.. كانوا اكثر من اهل.

اكيد.. المهم يعوضها الى حصل ده.. معقوله باباها واخوها في يوم واحد. مين يقدر يصمد قصاد كل ده؟؟

متنسيش ان باباها لسه عايش بردوه..

بس حضرتك شايف يا دكتور حالته مش مستقرة ابدأ. كأنه رافض الحياة خلاص.

نقول ايه... قدر الله و ماشاء فعل. اكيد ربنا له حكمة كبيرة في كل ده.. حتى خطوة جوازهم دي. لو حد تاني كنت قلت اتجنن انما مدام عالية ست قوية وحكيمة.. اكيد ليها وجهة نظر بردوه.

ربنا يهدي سرهم... حضرتك هتمشي دلوقتي؟

اه هبص على أوضة ٧٧ واتكل على الله... لو حصل اي جديد بلغني فوراً. أنتي عارفة تيلفوني شغال بليل بالذات.

اكيد يا دكتور.. بالسلامة.

كان مراد قد وقف قليلا متخفيا حين سمع صوت فتح باب غرفة الطبيب في الممر المجاور له. وقف ينتظر ابتعاده. ولكنه تفاجئ بذلك الحديث بينه وبين مرضته. الذي كان

بصي يا نور.. ماما طول عمرها مبتحش الحزن. أو بمعنى اصح فهمت بدري شوية ان الوقت الطويل الي هتسبب نفسك تحزن في حتى لو غصب عنك.. ده وقت الدنيا هتفضل ماشية في كده كده. يعني مسؤلتيك وصحتك وحياتك هتمشي هي كمان. عشان كده من صغرها. قدرت تقوم من وقعها.. مرة باباها مره ماماتها طبعاً اصحابها واحدة ورا التانيه وبابا ودلوقتي ابنها الكبير. والحقيقة رغم قسوة كل مره فيهم الا انها كانت لسه بتدهشني انها في كل مره بتقدر تصلب طولها وتشد حالها. والحقيقة خالي وبابا ليهم دور في الحكاية دي. ده مش معناها انها ست قاسية بالعكس.. ماما احن واحدة ممكن تشوفها في حياتك.. حنينة ع الي حوالها قبل نفسها.

عشان علمتنا من صغرنا.. نحزن براحتنا بس لو ورأنا مسؤوليات منطولش ابداء.. لازم نقف تاني ومع الوقت حتى لو قلبك فضل موجوع حزنك هيقبل.

بس هنا لسه صغيرة يعني ايه المسؤوليات الي تخرجها من الي هي في؟؟

مشوفتيهاش امبارح وهي بتعيط مع ماما.. مجرد ما بدأت تتكلم معها انهرت تاني كأنها أول مره تعيش الموقف تاني. بس ماما مسابتهاش غير لما اتأكدت انها هتقوم انهارده احسن من امبارح وبكرا هيبقى احسن من انهارده باذن الله.

امممم منطقتكم غريب صراحة.. بس اكد معكم حق ع الاقل بتشجعوا بعضكم ع القوة مش الضعف.

بكرا أنتي كمان تتعلمي المنطق ده وتشوفي انك هتبقى احسن.

.... أنا اساسا محدش علمني حاجه في حياتي.. لا خدت دروس ولا نصايح كل الحكاية ان الموقف هو الي كان بيمشيني لا كان عندي حد ارجله ولا حد يراجع عليا.

صدقيني يا نور ربنا بيعوض.. هتشوفي ازاي البيت ده هيعوضك عن وجع شوقتي في بيت تاني.

.... امممم الله اعلم... طب وأنتي يا عليا؟

أنا ايه؟

أنتي يعني... قدرتي تقومي انهارده بردوه؟؟

.... اضحك عليك لو اقولك اني مصدقة حاجه م الي حصلت.. بس أولاً وأخيراً ربنا لسه كاتبنا نصحي تاني كل يوم. يبقى اكيد في سبب. لو مش عشأنا يبقى عشان الي حوالينا ... ماما واخواتي يا عالم لسه الدنيا شايبة ايه؟

عندك حق..

... عايزة اسألك سؤال يا نور... لو تسلمحي يعني

اكيد أسألي...

دقت عليا باب الغرفة لنستذان الدخول فجاء صوت غالية من الداخل...

طلبتينا يا ماما...

تعالى يا حبيبتي .. نور معاكى؟؟

ايوه.

ازايك يا حبيبتي معرفتش اشوفك من الصبح معلىش .. عاملة ايه انهارده؟؟

الحمدلله يا طنط.. شكرا

اقعدوا يا بنات.. اقعدوا نتكلم شوية

اخرجت غالية علبة تبدو انها قيمة من خزينتها لتضعها امامنا . ثم اخرجت منها اسورتين متشابهين باللون الفضى..

ايه ده يا ماما؟

اسورتين.. عايزكوا تلبسوها انهارده. ايه رايكوا؟

اكدى حلويين ذوقك حلو كالعادة يا ماما...

رايك ايه يانور؟

حلوة يا طنط شكرا لحضرتك بس مفيش داعى.. المناسبة يعنى...

ده مش فرح يا نور أنا عارفة.. بس تقدرى تعتبريها هدية جوازك من ابني دي اقل حاجه تتقدملك.. وبعدين أنتى زيك زي عليا وهنا بالظبط. وأنا بحب اهادي بناتي كده.

سكت قليلا لا اعرف ماذا اقول ولا اعرف ما غرضها الحقيقي من وراء هذة الهدية ايضا. ولكن حين نظرت الى عليا ورايتها تنظر ببراءة ومحبة. ادركت ان لا مفر بان انجرف ورائهم ايضا على الأقل بشكل مبدئى.

شكرا يا طنط كلك ذوق...

العفو يا حبايبي... البسوهم بقه وخليهم في ايدكوا على طول.

اخذت هدايتي واستنذات الخروج قليلا. لعل الام وابنتها لديهم حديث خاص. وبالفعل حين أوشكت عليا على الخروج ورائي سمعت نداء والدتها عليها. فاكملت طريقي الى الغرفة بالاعلى. بينما ...

عليا...

نعم يا ماما

خليكي مع نور انهارده.. متسيهاش خليكوا جمب بعض كده وأنا عيني عليكوا.

اكدى يا ماما حاضر... بس اشمعنا يعنى؟

لا ابداء. بس لحظت انكوا ارتاحتوا لبعض يعني وأنتى عارفة نور تقريبا مكانتش بتخرج من بيتها. هيبقى الموقف صعب عليهم شوية قدام الناس بره.
اه حاضر يا امي متقلقيش.

خرجت عليا من غرفة والدتها. تاركة ورائها غالية التي اصابها بعض قلق الان حين شهدت خروج ابنتها امامها. دعت ربها بداخلها ان تمر الليلة على خير. بينما كانت تشعر بغير ذلك بداخلها...
بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ...
خضتيني يا بنتي...

أنت الي خضتني.. اعرف منين يعني انك هنا دلوقتي؟
يمكن عشان دي أوضتي مثلا يبقى هتشوفيني فيها كثير.
.... امممم اتفضلها يا سيدي..

الاستني بس.. أنتى على طول قافشة مني كده؟ أنا بهزر معاكي اقصد يعني هتشوفيني فيها عشان حاجتي هنا ودولأبي.. متنسيش انها قدام اي حد أوضتنا احنا الاتنين يعني..
لا مفيش حاجه أنا فاهمه...
نور... رايحة فين؟

... هروح فين يا عمر. أنتى شايفلي مخرج تاني.. خلاص اتربطت هنا.
قلت جملتي وأنا اشير الى تلك علبة الاسورة بيدي. بينما تفاجئ هو حين رائها.
ايه ده؟ هدية؟؟ مين جابها بقه ان شاءالله؟
... أنت بتهزر صح؟ دي مامتك ادتني حالا.
فعلا؟؟ يابختك يا ستي... هنقطعي على عليا وهنا بقه.
... لا خالص هي مامتك ليها وجهة نظر بس مرضتتش اضايقها.
طب ممكن اشوفها...

مدت يدي امامه بتلقائية دون ان انطق بكلمة. ليأخذها من يدي ولكنه لم يترك يدي تسقط وحدها. بل تفاجئت بانه اخذ العلبة بيد وحمل يدي بيده الاخرى. تلك اللحظة التي شعرت بكهرباء غريبة تسري في جسدي. المرة الأولى التي يلمس يدي فيها. والمره الأولى في حياتي التي اشعر بذلك التقارب مع الاخر.
غرقت في افكاري للحظات. بينما كانت يدي مازالت في بين يديه. كان قد فتح العلبة واخرج تلك الاسورة منها...

حتى شعرت بيده تلبسني تلك الاسورة بيدي اليمنى وظل ينظر اليها باعجاب حتى قال
لي وهو لا يزال ينظر اليها باعجاب شديد.
حلوة أوي.. حلوة عليكى.

....

ايه مالك؟؟ مش عاجبكى ولا ايه؟

ااا لا خالص حلوة...

نور... أنا عارف أنتى حاسه بايه؟

حاسة بايه؟

خايفة... خايفة منى. خايفة من بيتنا. من حيطان أوضتنا دي.

أنا مش هقولك اطمنى... بس عايزك تتأكدى من حاجة واحدة مهمة. عمر ما حد فى
البيت ده ممكن يأذيكى أو يجي عليكى. ولو فى يوم م الايام حتى حصل. و ده مش وارد
والله... هتلاقينى أنا أو لا قدامك وفى ضهرك.

كلامك اتغير يا عمر... احنا داخلنا البيت ده عشان فى ناس منكوا عايزة تأذيني حتى لو مش
فى البيت ده يبقى ازاي هتحميني منهم؟

شعر عمر ببعض التوتر من تذكري وتذكيري له بحديثه السابق قبل اقل من ٤٨ ساعة.
حتى حاول تمالك اللحظة مرة اخرى..

ااا ما طبعا.. أنا اقصد خلاص بقيتى مراتى فأنتى تحت حمايتى يعنى ومسؤليتى.

فعلا.. طب كويس والله.. يعنى السلاح هيبقى فى ايديك أنت كده...

قلت جملتى وشعرت ببعض التذمر. فالتفت الى خارج الغرفة تركته ورائى لم يجد ردا
مناسبا. ولم اجد أنا سببا لوجودى معه اكثر.. ربما حين اختفت تلك الكهرباء أو ربما حين
اختفت تلك اللمعة بعينه؟

...

(١٦)

حل المساء سريعا.. بدأت الناس تتجمع خارج المنزل والاصوات تتعالى. والطعام يخرج اليهم. حتى بعض الاضواء التي اشتعلت بالخارج لم تجعلني اندهش وأنا اتابعهم من الشرفة بالاعلى بقدر همسات بعض الضيوف وبحثهم عنا واحدا تلو الاخر. وهناك تساؤل واحد يشغل بالهم.. كيف تمكن اهل هذا البيت من الاحتفاء بزواج ابنهم قبل مرور ايام على خسارة ابنهم الاخر؟

شعرت اني ارى تساؤلاتهم على وجوه جميعا وأنا في مكاني بالاعلى. حتى جاءت عليا بجانبني تقطع افكاري....

ايه الاخبار؟؟

الناس اتلمت اهي.

شكلك زي القمر على الفكرة... الفستان حلو أوي

ولا في اي يوم في حياتي كنت اتخيل اني البس فستان بعد كام يوم بس من موت اخويا.... مسخرة والله

قدر الله وماشاء الله فعل.. الحمدلله على كل شئ.

امال عمر فين؟

مش عارفة مشفتهوش من يجي ساعتين كده... وهنا؟

بتجهز خلاص.

مدت دقيقتين تقريبا كنا أنا وعليا قد شردنا مع الناس بالاسفل. حتى سمعنا صوت هنا خلفنا تنادي .. فنظرنا اليها سويا بنفس اللحظة لاجدها مشبكة يدها بيد أخيها عمر الذي تالق قليلا اليوم في بدلته. وكانت هنا مبتسمة بود كأن الحزن مسح من قلبها قليلا.. فابتسمنا لها تلقائيا فرحين بضحكتها... حتى ذهبت عيني الى عمر الذي بمجرد تلاقي اعيننا لحظت ان عينه معلقة بيه ايضا.

تالارا ايه رايكوا؟؟ نفع نبقى كابل انهارده صح؟؟

ههههههههه زي القمر يا حبيبتي كالعادة.. بس خلاص بقه راحت علينا في حد تاني دلوقتي لازم يمस्क ايده.

قالت عليا جملتها وهي تنظر تغمز عينها الي بحب... بينما كان عمر شاردا قليلا... وقفت أنا في صمت احاول الهروب من عينه...

احم احم.. ولا ايه رايك أنت يا عريس؟؟

... هااا حلووو الفستان عليكى أوي يا نور... حتى لو اسود بس أنتي منورها أوي.

شعرت بنفس تلك الكهرباء تحتلني مره اخرى.. لدرجة وجدت نفسي اهرب من عينه
ولكن هذه المرة والبسمة تغلو وجهي. حتى كلماتي لم تجد مخرج.. فوجدتني اتمسك بفسطاني
الاسود ذلك واحركه قليلا كأني استنجد بيه لمساعدتي..

... شكرا

اااا شفتي يا عليا اهو باعني في أول مطب...

ههههههه حرام عليكى.. كل الجمال ده ومطب!... ومع ذلك يا ستي لا عاش ولا كان الي
بيبعيك يا جميل...

شكالك حلو أوي يا هنا... مبسوطه عشانك بجد.

بجد... أنتى كمان.

قالت هنا جملتها وهي تقفز الى حضني مرة اخرى. ولكني هذه المرة وجهتها ووجهي
مبتسم ابادلها ودها الواضح ذلك.. حتى جاءت اللحظة الحاسمة وسمعنا نداء رحمة بالاسفل
تنادي الجميع...

مش يلا بقه ولا ايه؟؟ احسن ما نلاقيهم طلوعوا هنا...

ايوه صح... ااا

لا لا مش وقته توهان خالص.. حضرتك اتفضل امسك ايد عروستك واحنا وراكم.

ااااا مفيش داعي احنا ننزل عادي...

عادي ازاي بس... يلا يلا يا عمر واقف كده ليه.

دفعت عليا بعمر قليلا تجاهي. حتى شعرت بقربه اكثر لدرجة جعلتني اتنفس معه الهواء
للحظات. بينما كانت عينه تتحدث بالكثير كان هو صامتا مستسلما الي رغبة اخته... مد يده
لامتزج بيها قليلا. بينما شعرت أنا ان يدي تذهب اليه دون ارادة كأنها تعرف طريقها
وحدها... تبادلنا نظرات كثيرة لا اعرف وقتها أكانت ذو معنى حقا ام مشاعر متداخلة
ببعضها فقط!؟

ذهبنا بطريقنا الى الاسفل.. وخلفنا عليا وهنا يتبادلوا نظرات الحب والابتسام على
وضعنا هكذا امامهم.

كان الجميع يبتسم بشدة بمجرد رؤيتنا سويا هكذا حين خرجنا من باب المنزل الى
الخارج.. فرغم الاحداث السيئة الى صارت قبل ايام وحزن الجميع عليها. الا ان ذلك لم
يمنعهم من الاقبال علينا مباركين وفرحين بخبر زواجنا...

ورغم عدم ارتاحي الشديد وسط كل هذا الزحام وجددتني ابحت بعيني على غالية التي كانت تبستم بفخر وقوة حين جئت عيني عليها. اثناء استقبال المباركات هي الاخرى. بينما كنت اتعلق بيد عمر اكثر كأني احته على عدم تركي هذه الليلة ابدا.. فاستجاب هو وربط على كف يدي مطمئنا كأننا زوجين بينهم حب وتفاهم شديد... وليس فقط تأر مشترك وقضية دم.

على الجانب الاخر كان هناك من يراقب كل ذلك من بعيد. واقفا بين الاشجار والغضب يعلو وجهه. كان مراد قد عزم امره قبل دقائق ان ينهي الامر الليلة حتى لا يضيع وقتا اكثر من ذلك..

وبالفعل قد قرر التواجد بين الضيوف الليلة ولكن بالخفاء. حتى يتمكن من تنفيذ خطته بنجاح هذه المرة. مرت قرابة النصف ساعة ونحن بين الضيوف بالخارج والجميع يبدو عليهم الفرح والمحبة. حتى الخال أكرم وزوجته وبناته كانوا حريصين كل الحرص على التواجد بجانبني اكثر من تواجدهم بجانب غالية تقريبا. الامر الذي جعلني ارتبك اكثر وقد خطر على بالي للحظات. كيف يمكن لمن لم يعارض قتلي ان يقابلني بكل تلك المحبة والود؟ ولكنني كنت اخرج من شرودي سريعا حين يواجهنني احد الضيوف. أو ابادل عمر النظرات قليلا. الذي كان قد ابتعد عني قليلا مضطرا.. ولكن وجود عليا وهنا بالقرب مني جعلني اشعر ببعض الاطمئنان والراحة.

حتى حين كانت تذهب هنا لامها بعدما اشارت اليها للتواجد بجانبها الليلة. كانت عليا لا تفارقني ابدا. حتى لحظت اننا نعبث بالاسورة الفضية تلك بيدنا في نفس التوقيت احيانا... كان كل شئ يصير بشكل طبيعي الى حدا ما حتى حدث ما لم ينتظره بعضنا الليلة بالتأكيد....

كنا أنا وعليا واقفين بجانب بعضنا الاخر نتحدث. حتى انقطعت الاضواء فجأة من حولنا وظهرت بعض الريبة قليلا.. حتى بمجرد ان حدث ذلك تمسكت بيد عليا سريعا بجانبني. بينما لم تمر سوى لحظات قليلة من الذعر والقلق. لدرجة اني لم اشعر بتلك الضربة التي نزلت على رأسي. وسقوطي ارضا على الفور. لم اشعر بعدها باي شئ ولم ارى اي شئ... حتى سمعت بعض الاصوات من حولي لم اعرف كم مر علي من وقت هكذا. ولكن عند سماع صوت عمر بجانبني...

نور... نور أنتي كويسه ؟ فوقي ارجوكي نووور.

.... اه هو ايه الي حصل؟؟

أنتي كويسه؟؟ في حاجه وجعاكي؟

اهه رأسي في حاجه ضربتني في رأسي.. مش عارفه ايه الي حصل...

النور قطع وجه كنت بدور عليك... لاقيتك هنا ع الارض.

يعني بقالي قد ايه كده؟؟

نص ساعة تقريبا... كنا بنحاول نرجع النور وبعدين مسمعتش صوتك ... وهنا وعليا ...

هي عليا فين؟؟

ذعر عمر من سؤالي هكذا. حتى انه ادرك اختفائها بالفعل وعدم رؤيته لها منذ رجوع الاضاءة في المكان. بينما ظهرت هنا بجانب والدتها... ولكن عدم ظهور عليا هكذا....

مش عارف .. مش كانت جمبك؟؟

ايوه قبل النور ما يقطع كانت جمبي.. حتى مسكت ايدها على طول... بس...

بس ايه؟؟

مش عارفه لما اتضربت على رأسي حسنت كانها بتتسحب من ايدي.. صوتها اختفى فجأة ... هي معاكم طيب؟؟ حصلها حاجه؟

لا مش شايفها هنا... يعني ايه الي بتقولي ده؟؟؟

ذعر عمر كثيرا حتى حول مساعدتي على القيام مجددا.. ناظرا حوله. لكنه لم يلاحظ وجودها حولنا.. ظلت عيننا تبحث عنها قليلا ولك حين لم يراها عمر. ذهب سريعا باتجاه والدته وهنا يسألهم. لكنه وجد اجابتهم تتقابل مع ذعرنا حين ادرك الجميع انهم لم يرواها بالفعل منذ رجوع الاضاءة للمكان.

اصاب الذعر الجميع قليلا.. حتى ركوض عمر والخال أكرم للبحث عنها في محيط المنزل. مرت دقائق والجميع مذعور ويبحث عنها حتى هنا التي بدأت تيكي قلقا على اختها. حاولت الركض خلفهم الا ان والدتها تملكها قليلا حتى لا يصيبها مكروه هي الاخرى...

حتى رجع عمر مضطربا لعدم ايجادها بالبيت أو محيطهم.. ليجد والدته تخبره ما لم يكن يتوقعه ابدا.

ملقتش يا امي.. عليا مش موجوده حولنا ابدا.

... أنا عارفه هي فين؟؟

عارفه؟؟ هي فين طيب؟ حصلها حاجه؟؟.... اتكلمي يا امي ساكنه ليه؟ اختي فين؟؟

عليا اتخطففت... مراد خطفها.

كلم البوليس وبلغهم اننا لاقينا مكان قاتل أكرم وكريم.

نزلت الاخبار على الجميع كالصاعقة. ما الذي يحدث؟ ما هذا الذي سمعنه؟ عليا اختطففت؟ كيف ولماذا؟ مراد؟ من اين ظهر الان؟ ولماذا يخطفها هي من الاساس؟ ما غرضه من كل ذلك؟؟ لماذا؟؟؟

انفجرت الكثير من التساؤلات الان براس الجميع. عمر وهنا وحتى أنا التي كنت لازال
استطيع الوقوف بشكل سليم من اثر الضربة. لدرجة جعلتني اشعر ان ما سمعته الان كان
من وحي خيالي فقط لدرجة لم يكن حقيقا ابدا.

ولكن كان اهم سؤال احتل رأسي فور ادركي ان ما سمعته جميعا كان حقيقا. من تلك
التعابير الصادمة والحزينة التي احتلت وجوه الجميع حولي هو...

كيف عرفت غالية بذلك؟ وكيف تستطيع الحفاظ على كل هذا الثبات الذي احتل وجهها؟
وان كان مراد هو الخاطف بالفعل.. كيف تكون متأكدة من ذلك هكذا؟؟؟

كان المكان مجهورا تماما بطبيعة الامر. حيث كانت اخر فترة شغل فيها هذا المخزن
منذ اكثر من عشر سنوات. حين كانت الشركة المسؤولة عنه تستعمله في تخزين مواردها
وموادها. الا ان الازمات الاقتصادية التي حدثت قبل سنوات اسفرت عن افلاس واغلاق هذه
الشركة. وبالتالي اصبح هذا المخزن خأويا تماما لدرجة ان مداخله ومخارجه قد صدأت لعدم
الاستعمال... ولكن الامر الاكثر اهمية من ذلك هو موقع المخزن حيث يقرب الى المزرعة
بمسافة تعتبر قليلة... اي انه مكان مناسب تماما كي يختفي فيه مراد رة اخرى دون ان يدري
احدا به..

أو كما كان يتوقع هو. انه لن يخطر على بال احد انه مختبئ في مكان قريب من مسرح
جريمته الأولى.. ولكن كما يقال " فالقاتل يعود دائما الى مكان جريمته الأولى " المكان الذي
شهد على تحوله من انسانا لآخر... وهذا تماما مع فعله مراد دون ان يدري...

كان قد رتب سيارة بشكللا ما. و تركها على مقربة من بيت غالية. كي يتمكن من
الوصول اليها سريعا حين يأخذني من بينهم.. ولكن ما لم يتوقعه ابدا ان يتدخل القدر بيننا
لدرجة تجعله يخفق مرة اخرى في الحصول علي ولكن هذه المرة وأنا على مسافة اقل من
متر امامه. كان قد وقف على مسافة بعيدة يراقب محيط المنزل جيدا. حيث شهد خروجنا أنا
وعمر امام الناس وتبادل المباركات والتحيات معهم.. كان يقف والغضب يشد عليه اكثر.
حين لحظ اشتباكي بيد عمر. والاكثر من ذلك هو تبادلنا بعض نظرات الاعجاب والود كما
اعتقد هو لحظتها.. لم تمر ساعة كاملة بعد. فعزم امره على قطع الاضواء حولنا ليتمكن من
اخذي بحرية من بين كل هؤلاء. أنتظر اللحظة المناسبة وحدد موقعي تماما قبلها. ربما توقع
ايضا اني سوف اظل في مكاني فترة تمكنه مني بحرية.

حيث تلك اللحظة التي كنا أنا وعليا نتبادل اطراف الحديث بينها ونحن نعبث باسورتينا
سويا. وكانت هنا قد توالى البقاء بجانب والدتها. وعمر قد ابتعد قليلا حيث يقابل الضيوف
وبعض اصدقائه...

حتى جاءت لحظة انقطاع الكهرباء من حولنا. وكلا منا بقى في مكانه بثبات من زعر الموقف.. مسكت أنا يد عليا بتلقائيه كي اطمئن قليلا بوجودها رغم هذا الظلام الدامس الذي احتل المكان حولنا. حتى وقعت على رأسي تلك الضربة التي جعلتني في اقل من دقيقة افقد توازني واسقط ارضا. بينما فقدت يد عليا هي الاخرى التي سحبت من يدي دون ارادة منها. ليتوقف كل شئ بعدها... حتى سماعنا تلك الاخبار من فم غالية بنفسها.

على التوازي كان مراد قد انطلق حاملا عليا بين يدي بعدما افقدها وعلها بكتم فمها وجعلها تستنشق ذلك السائل. متخيلا انه قد استحواذ علي أخيرا والان فقط تمكن من الأنتصار على الجميع وليس عمر فقط.

انطلق في طريقه الى ذلك المخزن. الذي بطبيعة الحال كان يعرف حاله مسبقا. كي نمضي الليلة هناك فقط حتى تهدأ الامور ويتمكن من الزواج بي والهرب معي بعيدا عن كل هذا... ولكن دائما ما تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن. حيث انقلب الامر تماما. ولكن ليس فقط على صاحبه بل على الجميع ايضا.

متقلقيش يا حبيبتي خلاص كل حاجه هتبقى تمام... محدش هيقدر ياخذك مني ابدًا.

كان مراد يتحدث مع عليا ظنا منه انها أنا. حيث كان يغطي رأسها بذلك الغطاء الاسود حيث لم يتمكن من رؤية وجهها طول الطريق لانشغاله بضرورة ابتعاده أولا عن محيط المنزل. وتأكد بان لا تستيقظ هي مذعورة لرؤيتها له فجأة...

حيث وصل الى وجهته المرادة. ودخل بيها حاملا اياها بين يده. دون ان يترك نفسه لعقله لحظة واحدة شاكا باي شئ. فكان يكفي تأكيدا بانه لم يخطئ ابدًا هذة المرة ايضا. وان من بين يديه الان ترتدي ذلك الفستان الاسود الذي شهدني في قبل قليل.... ولكنه كان لا يرى شئ اخر لدرجة انه لم يلاحظ ان اغلبنا كان يرتدي فساتين سوداء... أنا وعليا وهنا حتى بنات خالها أكرم.

دخل المخزن سريعا واضعا عليا على كرسي كان قد جهزه قبالا.. متحدثا لها باطمئنان ان كل شئ على ما يرام الان. كانت الفرحة وشعوره بالفوز قد احتلوه لدرجة جعلته ينسى ان ينزع ذلك الغطاء عن رأسها. حيث ترك عليا وهي لا تزال فاقدة وعلها... وركض سريعا لغلق الباب عليهم والتأكد بان لا يوجد احد قد لحظ شئ حولهم.

مرت قرابة العشر دقائق.. ومراد يبعث ببعض الاشياء الذي قد سبق وجهزها للهروب سويا بعدما يتمكن من اخذي من عمر. حتى سمع صوت عليا ورائه وهي تستفيق قليلا. فقال يحدثها وهو لا يزال يبعث بحقيته...

حبيبتي متقلقيش... هتبقى كويسه دلوقتي.. محضرلك مفاجاة عظيمة كلها الليلاي بس ونبقى مع بعض على طول مش متخيلة سعدي دلوقتي ازاي أنا حاسس اني اتولدت من جديد على ايديك وانهارده بس....

لم يتمكن مراد من انهاء جملته حين التف حوله سريعا ليفاجئ بخطأه الذي ادركه على الفور بمجرد تلاقي اعينهم في مكانا واحدا وشعوره بانفاسها المتلاحقة امامه بهذا القرب لأول مره في حياته.. ليسقط من يديه ما كان يحمله فرحا من الحقيبة. وبقائه على وضعه كما هو كأنه قد ثبت مكانه باسهم. لم يشعر مسبقا انها قد اخترقت قلبه بهذا الشكل من قبل.

.... عليا!!

اأنت؟؟ مراد؟؟ أنت الي خطفتني كده؟ ايه عايز تقتلني أنا كمان زي ما قتلت اخويا؟

.... أنتى ازاي؟؟ أنا كنت فاكرك انك؟؟ أنا خطفت نور مش أنتى!!

وقعت صفة عليا على وجهه كالماء البارد الذي جعله الان فقط في تلك اللحظة يدرك بشعة ما فعله. وأنه قد تدني بيه الامر لدرجة ان يخطف النساء الذي من المفترض ان يحميهم هو من الاخرين.

ولكن كان اكثر ما صدمه في تلك اللحظة هي تلك الشجاعة الرهيبة بعينها وهي تقف امامه رغم صعوبة الموقف وسرعة دقات قلبها التي قد تعالت بقوة. الا ان ثبات موقفها وقوتها الظاهرة عليها الان. قد اظهرته هو الاضعف والادنى في تلك اللحظة.

الي بتتكلم عنها تبقى مرات اخويا واختي.. يعني من دمي. صحيح أنا مكانش بايدي امنعك تاخذ حد من دمي قبل كده. بس انهارده وفي اللحظة دي لو قدرت حتى بالغلط انى امنعك تأذي حد تاني.. فده يكفيني بزيادة كمان.

أنت فاكرك نفسك ايه؟ هتفضل طايح فينا كده محدش هيقدر يوقفك... قتلت صاحب عمرك واخوك وكمان متخيل انك تقدر تأذي بنت مسكينة بس عشان بقت لوحدها في الدنيا... تبقى اغبي واحد في الدنيا يا مراد... نور مش لوحدها ولا عمرها هتكون لوحدها من هنا ورايح... ولو فاكرك انك تقدر تأذيها هي كمان زي ما دمرت حياتها وخذت اخوها وابوها بايدك... مش هتلاقيني أنا بس الي هقف قصادك... كلنا وأولنا امي هندوسك برجلنا... فاكرك امي يا مراد؟؟ غالية؟؟ الي في يوم م الايام قالت عليك ان ابنها من ولادها... اهو أنت بقة قتلت اخواتك الاتنين في يوم واحد.. و قتلت نفسك الي كانت تخصصنا احنا كمان قبلهم....

كانت عليا تتحدث بثبات وقوة دون حتى ان تزرع دمعة واحدة من عينها. كان روح والدتها غالية قد احتلتها تماما الان جعلتها تحاسب مراد وتقذفه بسهام الثأر لدرجة جعلته يبقى صامتا منصتا تماما لها... حتى تلك النغزة التي احتلت قلبه بمجرد رؤية عينها امامه. انسته للحظات انه بالفعل يحمل دم أخيها الاكبر بيده. والان اصابته هي الاخرى بحقيقته الزائفة. التي لم يتمكن من ادراكها ابدأ طوال الايام الماضية. منذ ان تملك الشيطان من عقله وجعله يرتكب تلك الجرائم بيده. قد جعله ايضا. ينسى ان هناك طريق للرجوع دائما... لا بد له ان يلحق بيه يوما ما مهما كلفه الامر ومهما غاب عنه.

والان فقط في تلك اللحظة. تمكن من رؤية ذلك الطريق من خلال عينها التي كانت تبرق امامه بتلك القوة. الذي كان يتخيل انه هو فقط من يمكها.

ظل عاجزا عن الرد وعقله يذهب ويعود والافكار تعترى قلبه وعقله. حتى ادرك انها اصابته بنجاح. ليس فقط بحقيقتة التي غابت عنه. بل بعشقها ايضا.

الذي نجح في اختراق حواجزه والوصول الى قلبه الحقيقي الذي كانت تحتله غمامة سوداء لا يرى من خلالها اي شئ اخر سوى الكراهية والحقد. الان تمكنت هي فقط وحدها من خرق كل تلك الحواجز والوصول الى قلبه. لدرجة جعلته لأول مره منذ ايام يسمع دقات قلبه تزيد بصدرة. حتى شعر انها قد اخذته بيدها الان امامه. دون ان يدري ولا ان يمنعها حتى....

.... عليا أنا...

أنت ايه؟؟ قاتل؟ كذاب؟ واحد حقير نسي نفسه للحظة دمر فيها كل حاجه حلوة كانت بين ايده؟ ازاي قدرت تعمل كده؟ ازاي جالك قلب تفكر وتنفذ وتمسك سلاح تاخذ بيه روح حد ثاني؟ بني ادم ثاني زيه زيك. عنده احلامه وحياته. والاهم من كده.. عنده ناس بتحبه ويحبهم روحهم راحت وراه هما كمان.

جبت القسوة دي كلها منين يا مراد؟ ازاي محدش شافها فيك قبل كده؟ عاملت فيهم ايه عشان محدش يشوفها؟؟ ومش مكفيك كل ده. جاي تقتل فرحة اتنين بيحاولوا يادوب يسندوا بعض عشان يواجهاوا سوا الاذى الي أنت سبته جواهم....

كنت عايز منها ايه؟؟ هااا فاكتر هترضخ قدامك فاكرها هتسلم ومش هتدافع عن نفسها؟ فاكرتها سهله بس عشان أنت الراجل وهي الست؟؟ هي دي الرجولة الي أنت عرفتتها في حياتك؟؟... تعرف... اهو أنا متأكد مية في مية انها لو كانت في مكاني ده دلوقتي كانت قتلتك بايدها.... زي مانا...

... زي ما ايه؟؟ ها؟؟ اتكلمي؟؟ كملي كلامك يا عليا.. سكتي ليه؟؟ زي ما أنتي عايزة تقتلني كده دلوقتي؟؟

قال مراد جملته وهو يذهب تجاه الحقيقية لجلب سلاحه بيده امامها. سلاحه ذاك الذي اطلق منه من قبل اربع رصاصات اصابته حياته أولا قبل حياة رفاقه... والان يعيد نفس الكره ثانيا ولكن هذه المره وهو بكامل وعيه. مسلما تماما لرغبتها وحبها بقلبه.. الذي اصبح يعرف تماما انه يدفع ثمن اخطائه كلها الان بتلك الكراهية التي تحتل عينها له الان.

ااا هو ده السلاح الي قتلتهم بيه.. تعرفي ده السلاح الي ضربت منه مره واتنين وأنا فاكتر اني كده بمنعهم يوجعوني... خدي حقك يا عليا. خدي حقك مني. لو في حد في الدنيا دي كلها ينفع ياخذ تاره مني يبقى أنتي ...

وضع مراد السلاح بيد عليا التي اصابتها الدهشة من استسلامه لها بهذا الشكل. رغم اعتقادها للوهلة الأولى بانها ستوجه اقصى رجل بالعالم امامها. الا انها بمجرد تلاقي عينهم لأول مره. سرعان ما رأت ذلك القلب الخفي الذي اصابته سهمها منذ قليل. دون ان تدري حتى لماذا قد شعرت هكذا في تلك اللحظة؟

مصوبا ناحية قلبه .. امرأ لها متوسلا ...

اضربي يا عليا... اضربي

كانت الدموع قد بدأت تتلألأ في عينا قليلا.. وهي تحمل السلاح بين يديها بينما يوجهه هو الى قلبه. الذي شعرت بدقاته تخترق السلاح معاكسا لتتوجه اليها هي.. ظلوا سويا للحظات عينهم لا تفارق عينا الاخر. كلا منهما على حافة الوقوع. هل ينتظرون السقوط ام يدا بعضهما البعض لانقذهما من هذة النار؟ .. رغم كل شئ. الا ان مراد تمكن من الحصول أخيرا على بعض السكينة من عينا التي لطالما شعر انه يفقدها بحياته. وكان يسعى لها لدرجة قضت عليه تماما في طريقه اليها... ربنا كان بالفعل ينتظر اطلاقها النار والخلاص بين يديها الان. افضل من ان يهرب مرة اخرى ويفقد تلك السكينة برضاه هذة المره. ولكن للحظات وان كانت قليلة كان يريد ان تنقذه هي وحدها من هذا الجحيم والاخذ بيده بعيدا عن تلك الحافة. حتى يتمكن فقط من تعويض ما كسره بداخلها. و ربما عيش حبها ايضا حتى وان كان بدونها.

حتى تمكنت عليا أخيرا من كسر هذا الصمت... ملقبة السلاح ارضا. تتحدث وعينا لا تفارق عينه...

... الجينا بس هما الي بياخدوا حقهم بالدم. يمكن يكون القتل بقى سهل عليك أنت. سلاح في ايديك تقدر تاخذ بيه الي أنت عايزه. بس أنا لأ. أنت بس الي سبت نفسك للشيطان يستخدمك في التدمير والوجع. أنت بس الي سمحت لضعفك يتمكن منك ويوصلك للبنى ادم الي قدامي دلوقتي ده. أنا لأ

أنا عارفه كويس ان دم اخويا مش هيضع. بس كمان عارفه ان طول ما أنا قادرة اخذ حقي منك وساييه بمزاجي. أنا كده بوجعك اكثر من وجع الرصاصه. وهو ده بالظبط الي أنا عايزة يا مراد. ومتمنش غيره في الدنيا.

تمكنت عليا مرة اخرى من غرس سهام قلبها في قلبه مباشرة. ولكنها هذة المره سهام مسمومة. جعلته ينزف بشدة لدرجة مكنت تلك النغزة من قلبه مرة اخرى حتى رفع يده واضعا اياها على صدره ولكن هذة المرة بوجع حقيقي جعله يدرك مدى كراهيته في قلبها ومدى الوجع الذي اسكنه في قلبها هي بالاكثر.

.... للدرجة دي.. للدرجة دي كرهيتني... للدرجة دي أنا وجعتك...

وجعتني!! أنت حرمتني من ابويا مرة تانيه يا مراد. خلّنتي اخسر ابويا مره تانيه بس المره دي وأنا بتعذب عشان بس عارفه ان واحد منا هو الى خده منا. عارف يعني ايه تعيش حياتك وأنت مكسور؟ وأنت من غير ضهر؟ عشان الي كان بيطمناك وجوده حواليك ونفسه في بيتك راح.. مبقاش موجود بس عشان في ايد غداره خدته منك؟؟

استسلمت عليا في بكائها معلنة انهيار قوتها امامه. حتى لم يتمكن هو الاخر من حبس دموعه التي لم تعرف طريقا الى عينا طوال الايام الماضية..

ازاي قدرت تعمل كده؟ ازاي قدرت تأذينا كده وأنت عارف يعني ايه تعيش من غير اب؟ ليه خليتي اتوجع تاني يا مراد؟ ليه وجعت قلبي وخوفتني واخترتلي اعيش الي باقي من عمري مكسورة عشان من بعد ابويا. خسرت اخويا الكبير.. الي وجوده هو بس كان شايل شوية من خوف الايام ووحدة الليالي بعد باب؟؟؟

أنا عاملت فيك ايه عشان تعمل فيا كده؟؟ ليه توجع امي كده؟ ليه تتعب اختي كده؟ ليه تاخذ فرحتنا وامان بيتنا وترميهم في النار بايدك؟؟ يستاهل كل ده يا مراد؟؟ في حاجه في الدنيا استحققت الي أنت عاملته ده؟؟ حرام عليك حرام عليك

انهارت عليا باكية وسقطت ارضا في مكانها وسقط معها قلبه التي لو كان يستطيع ان يخرج من بين ضلوعه هكذا ليدأوي به كل تلك الجراح التي فتحها بقلبها دون ان يدري نتيجة افعاله مسبقا فعل ذلك دون ادني تأخير منه. حيث تأكد تماما في تلك اللحظة انه خسر اخر احتمال له ان يعوض ما فات. أو ان يرجع بالزمن للوراء عدة ايام فقط. ليتمكن من تغيير كل شئ حتى يصبح الرجل الذي تستحقه عليا فقط. وليس ذلك المائل امامها في تلك اللحظة.

نزل مراد امامها والدموع لا تتوقف من عينه هو الاخر. نزل وعينه تذهب من وجهها الي سلاحه الموجود بجانبهم ارضا ايضا. ليتحدث اليها قائلا:

اقتليني يا عليا... ارجوكي اقتليني الموت اهون عليا من كل حاجه أنتى حاسها جواكي ليا دلوقتي.

ربنا بس الي بياخد الارواح يا مراد.. أوعى تفكر انك قتلت أكرم وكريم عشان أنت الاقوى وهما الاضعف.. لأ ربنا اقوى منا كلنا استخدامك بس يمكن عشان يعلمنا حاجه يمكن عشان يعلمك أنت حاجه... ويا عالم هنتعلمها اصلا ولا لأ؟؟؟

ياريتني قابلتك من زمان... ياريتني قابلتك قبل كل ده ما يحصل.

وتفرق في ايه؟؟ كلنا زي ماحنا مفيش حاجه اتغيرت. كلنا كنا سوا وعائلة واحدة. لو أنت الي فارقت ومشيت طريقك لوحدهك ده مش معنا اننا احنا الي بعدنا.

....

سبني يا مراد سبني الله يخليك... زمانهم قابلين علينا الدنيا ويمكن كلها ساعات ان مكانش اقل ويلقونا... ولا تكون فاكه هتفتكر هربان طول عمرك!؟

اعتدلت عليا من جلستها وقامت مبتعدة خطوت عن مراد الذي مازال جالسا ارضا. تنتظر الي المكان حولها كأنها تتطلع على مخرج.. حتى وجدت نفسها تقف بلا حراك امام الباب الذي دخلوا منه قبل دقائق. ولكنها شعرت كأنها مثبتة مكانها بمسامير لم تتمكن حتى من التوجه الي الباب ولم تفهم ابدا سببا لذلك لحظتها.

ممشتيش ليه؟ الباب قدامك السلاح اقربلك مني. ايه الي واقفك؟

.... مش عارفه.. حاسة كأني مثبتة في مكاني. كأن الدنيا وقفت بيا.

وقف مراد مكانه يوجه سؤاله لعليا ولنفسه ايضا. ما الذي يمنعهم من مغادرة المكان حالا والرجوع للنقطة الصفر مرة اخرى؟ ما الذي كان ينوي فعله مع ابنة عمه وأوقفه وجود عليا الان؟ والاهم من ذلك لماذا توقف عقله هكذا عن التفكير كأنه تعلق فقط بعينها التي أوجعها بشدة هكذا دون ان يدري؟

الدنيا وقفت فعلا.. كنت فاكرها وقفت يوم ما مسكت السلاح وضربتهم بيه. اتاريها مشيت اسرع ما يكون لحد ما وصلت بيا للانهارده. للحظة دي

لحد ما لاقيتك. لحد ما شفت عينيكى وفهمت الي فيها. لحد ما خدتي حقك مني من غير ولا نقطة دم واحدة. لحد ما فهمت يعني ايه تقتلي حد بجد وتسيبي عايش. عارفة يا عليا... دلوقتي بس عرفت ليه ربنا شالك عني لغاية دلوقتي.... عشان اعرف قد ايه أنا ضعيف استسلمت بسهولة قدام فكرة. مجرد فكرة استحوذت عليا كنت فاكرا ان مفيش غيرها قدامي. كنت فاكرا انها جايزة حياتي في الدنيا. اتاريكي أنتي الجنة الي بيعيش عشانها البني ادم في دار البلاء ع الارض.

وقفت عليا منصتة لحديث مراد لها كأنهم اصبحوا اشخاص اخرين في مكانا اخر في زمانا اخر. كأن ذلك المخزن المهجور اصبح أمن مكان لهم في الارض. استشعرت عليا اخيرا نبض قبلها التي لم تتمكن من تذكره كثيرا هذه الليلة. رغم نبضه الشديد منذ تلاققت عينها بمراد من النظرة الأولى. رغم كل تلك الأوجاع التي ادركتها لحظتها ايضا. الا ان وجعها التي تراكم داخلها في تلك اللحظة كان اقوى من ان تدرك ان دقائق قلبها تحمل معاني كثيرة اخرى بجانب هذا الوجع....

.... أنت بتقول ايه؟؟ الأنت ازا...

أنا مش هقولك انى بحبك. مش هقولك انى حبتك... مش هقولك انى لأول مره من ايام طويلة سمعت قلبي انهارده بس بسببك وعشانك... مش هقولك انى انهارده بس فهمت قيمة الي خسرتة وضعيته من ايدي لما شفت عينيكى. مش هقولك انى انهارده موت واتولدت على ايدك.. أنتى صح .. مش محتاجة تضربني بالنار عشان تاخدي تارك. مش محتاجة تبقي مراد تاني عشان تأذيني... أنتى صح. كفاية ان أنتى عليا.. خليكي عليا زي مانتى... وافتكري انك حققتي الي مفيش اى عدالة في الدنيا تعرف تحققه. أنتي الي حققتي العدالة الالهية يا عليا... أنتي الي ربنا استخدامك عشان يعاقبني العقاب الي استحقه فعلا....

ربنا ده جميل أوي يا عليا جميل ورحيم أوي أوي.. شوفي رغم ظلمي وجبروتي الي حسته اليومين الي فاتوا دول. ازاي كان رحيم بيا وارادلي اني اعيش سعادة عمري ما عيشتها ابدا. ازاي كتبلي حبك حتى ولو لساعات بس في حياتي... رغم انه عقاب بالنسبة لك... بس ده جايزة حياتي الي فانتت والي خلصت انهارده على ايدك أنتى بس .. مراد الي مات واتولد مكانه مراد ثاني كنت فاكر اني فقدته من زمان من ساعة موت امي وابويا. حتى مراد الي واقف قدامك دلوقتي.. أنتى السبب في وجوده... مراد الي مش شايف حاجه غير رحمة ربنا في وجودك دلوقتي معيا. عارفه يا عليا أنا حتى مش عايز اقولك سامحنى... ولا عايز ضميري يبطل يوجعني... لان ضميري ده هو الي هيفضل يفكرني دايم مش بس انى ارتكبت جريمة في حق اخواتي... لا اني كمان ضعيتك مني في نفس اللحظة الي ضربت فيها الرصاصة دي.

الان فقط ادركت عليا ان دموعها تنهمر لكسرة قلبها ايضا بجانب وجعها. الان فقط ادركت انها تبكي دموعه ايضا وليس فقط نفسها.. الان فقط ادركت ان أوجاعها زادت ولم تقل لانها وجهت أول شعور حب حقيقي في حياتها في اكثر لحظة موجعة تعيشها ايضا.

الامر اصبح مؤكدا الان مراد عشقها وهو سبب كسرة قلبها. وقلبها دق له ومعه وهو موجوع منه ايضا. لم يعد هناك مهرب لاحدا منهم. حتى تلك البوابة التي تبعد عنها مسافة سنتي مترات قليلة فقط. اصبحت مقفلة باقفال ذهبية تدوي بقوة الان. ادركت عليا انها خسرت حق عيش حبها الأول لانه اخذ قلبها وتملكه وحده الان. بل والاكثر من ذلك ربما لن يعود اليها مرة اخرى. حتى وان ظل هذا الحب بلا مقابل.

....

دوت اصوات سيارات الشرطة في كل مكان. دوت ومعها اصوات سيارة عائلة يحيي تحمل داخلها كل افراد العائلة.. حتى هنا الصغيرة التي لم ولن تعيش كل هذه التجارب المؤلمة مرة اخرى بالتأكيد.. الا انها لم تتمكن من السكون مكانها دون رؤية اختها بنفسها. لدرجة جعلت غالبية تغشى تركها وحيدة.. كي لا تقبل على فعل امرا جنونا وحدها... اما عمر فكان عقله يضربه الف سؤال وسؤال.. خوفا على اخته. وخوفا على ما سوف تقع عليه عينه عند رؤيتهم أولا. حتى تلك اللحظات التي كانت تهرب عينه فيها الى وجه زوجته التي تجلس بالخلف كان يرى الاف المشاعر والافكار ايضا تغرق في وجهها.

كانوا جميعا مشغولين بسلامة عليا.. والتخلص من مراد أخيرا. وانهم وأخيرا الليلة سوف تغلق صفحة موجوعة بحياتهم جميعا. ولكن هل سوف تغلق بالفعل اما سوف تترك وجعا جديدا سيظل اثره عالقا بيهم على مدى طويل؟؟

اصبحت السيارات على مقربة من المخزن الان. وانتشرت قوات الشرطة تحاوط المكان بعناصرها واسلحتها.. حيث لم يكن هدفهم انقاذ عليا بسلام فقط. بل والقبض على ذلك المجرم الهارب من العدالة. الذي اصبح بمثابة سفاح ارتكب عدة سولت له نفسه ارتكاب كل هذه الجرائم بحق المقربين اليه أولا.

حرص الطابط ياسر على تنبيه عمر واسرته على البقاء بسيارتهم وعدم التدخل ابدا بما سوف يحدث امامهم الان. حفاظا على سلامة عليا قبل سلامتهم.. حتى لا يتعرض احدا اخر لأذى..

الجميع في اماكنهم الان... دوى نداء احد عناصر الشرطة يأمر مراد بتسليم نفسه. دون ان يعرض نفسه والاخرين الى لخطر اخر. وان الامر قد أنتهى تماما الان فليس له مخرج من هنا...

مرت دقيقتين... كانوا كيومين بالنسبة لنا... بقائنا جميعا داخل السيارة لم يمنع قلقنا ولا تسارع دقات قلبنا باستمرار. حتى نزول عمر من السيارة وبقائه بخارجها لم يكفي لحصوله على هواء اكثر. بينما كادت ان تمر الدقيقة الثالثة... دوى صوت فتح باب المخزن يصدي في انحاء المكان... فتوجه نظر الجميع مباشرة الى هناك... تجهزت عناصر الشرطة لاي امر مفاجئ.

الا ان الصدمة الحقيقية كانت حين خرج مراد بنفسه رافعا ذراعه مستسلما للشرطة. دون ادني مقاومة منه أو مجرد فعل اي شئ. فقط خرج بمنتهى السلام والسلاسة. بدون سلاح بدون اي شئ للدفاع أو الهجوم. حيث بمجرد ان رفع عينه لمواجهة الجميع لأول مره منذ ايام طويلة. وجد هذا الكم الهائل من الناس بانتظاره. الا ان كان أول من وقع عينه عليهم هما عمر وغالية. الذين تحركوا من جانب السيارة مقتربين اكثر للامام. حيث مكان ظهور مراد مستسلما واضحا...

ظل الجميع ساكنا مكانهم قرابة الدقيقتين لعل هناك امرا اخر وراء خروج مراد امامهم بهذا الشكل. حتى عمر وغالية لم ينقضوا عليه ولم يسبوه ولم يصدروا اي فعل. فقط ظل الجميع هكذا ساكنين. حتى اطمئن الطابط ياسر بنفسه.. واعطى الاشارة الى احد العناصر بجانب للاقتراب منه والقاء القبض عليه معلنا نهاية القضية بشكلا ما الان. خلاص يا مراد.. اللعبة خلصت.

هي فعلا خلصت... احسن مما كنت اتخيل حتى.

قال مراد جملته وهو ينظر للخلف. حيث ظهرت عليا أخيرا تأتي باتجاه الباب وهي تحاول المشي بثبات رغم صعوبة كل ما حدث الليلة. وقع نظر الطابط ياسر عليها.. مما لفت أنتباه عمر والجميع ايضا حين صاحت هنا بجانبني من داخل السيارة عليا اهي خرجت عايشة...

هنا تماما لم يتمكن احد من الثبات اكثر. وركض عمر ناحية اخته التي قد خرجت تماما الى الشارع شاهدة على كلبشة مراد بقيود الشرطة الحديدية والسيطرة عليه بشكلا تام. بينما لحقت بيه غالية التي بمجرد وصولها اليها ضمتها مباشرة الى حضنها دون اي كلمة. بينما وقف عمر بجانبها ينظر الى اخته يطمئن عليها بنظره. حيث كانت غارقة تماما في حزن والدتها محاولة ايجاد بعض الطمئنة بعض كل هذه المشاعر المختلطة التي عاشتهم قبل لحظات... بينما كانت غالية معلقة نظرها بمراد الذي لم تنزل عينه عن عليا ابدأ. ظلت غالية معلقة نظرها بيه دون النطق بكلمة واحدة. بينما تحتضن ابنتها بيدها افلتت يدا منهما كي تمسك بيد ابنتها عمر الواقف امامها... كأنها تحاول السيطرة عليه كي لا تذهب عينه الى مراد ايضا. بينما كانت البسمة تعلق وجهه بقوة وثبات... اخذته عناصر الشرطة أخيرا.. لادخله السيارة.. حيث امرهم الطابط ياسر بالذهاب الى المديرية لانهاء محضر الضبط تماما... في نفس اللحظة التي رفع عمر عينه للنظر اليه مره اخرى قد هيئ له للحظات ان مراد ينظر اليه ايضا. وان تلك البسمة ما هي الا ابتسامة استفزاز له وليس فقط شعورا عبثيا منه....

كنا أنا وهنا نراقب المشهد من داخل السيارة. حتى اللحظة التي دخل مراد بيها سيارة الشرطة. كنت قد نزلت أنا من سيارة عمر ولحقت بي هنا. حيث واقفنا في مكاننا دون حراك... بينما كانت عيني لا تفارق الجميع الان. حتى وصلت تلك اللحظة التي تلاقت عيني فيها بعين عمر بعدما رفع نظره هو الآخر عن مراد... لايجاد ما لم اكن اتوقعه ابدأ...

حيث قد احتل وجه عمر... نفس ذاك التعبير الذي اعتره من قبل حين كنا نتحدث بشرفة بيتهم وأنهى الحديث لحظتها بالقائي كوب الماء عليه وتركه ورائي رجوعا الى بيتي. لم اكن افهم لحظتها لماذا كأنه يضغط على جراحي عن قصد. والان ايضا احتلني نفس ذات الشعور. حين وجدت على وجهه تعبيراً كأنه يغرسني بسكين اراد ان يصيب مراد بيه قبلا. ولكنه الان اصابني أنا بيه... دون ان ادري ما السبب. ودون ان ادري لماذا أنا...

لم نعرف معنى لذلك الصمت الذي اجتلتنا جميعا اثناء رجوعنا الي البيت. حتى ان تبديل المقاعد لم يكن كافيا لخوض اي حوار الان. فقط ارادات غالية الجلوس بالخلف مع بناتها الاثنتين بحضنها. بينما طلبت مني الجلوس بالامام بجانب زوجي كما قالت هي لحظتها...

تبادل الجميع بعض النظرات. بينما خلق الصمت مكانه بيننا كان كلا منا غارقا في افكاره ومشاعره...حتى وان وصلنا جميعا الى نهاية واحدة وهي "مراد"

حتى وصلنا الى البيت. نزل الجميع من السيارة ودخلنا الي المنزل حيث كان الخال اكرم وزوجته ينتظرون بلهفة وترقب للاطمئنان على عليا وسلامتها.. حيث بمجرد ان دخلت المنزل اقبل الجميع عليها يهتمون بيها.

حمدلله على سلامتك يا عليا أنتى كويسه يا حبيبتى؟

الحمدلله يا خالي عدت على خير.

اطلعي يا حبيبتى أوضتكم ارتاحي وبكرا نتكلم..

أنا فعلا محتاجة أنام يا ماما.. عن اذنكوا

تحركت عليا بصحبة هنا الى غرفتهم. حتى أنا تمكنت لحظتها فقط من الذهاب خلفهم حيث ارادت فقط الالتجاء الى غرفتي. اي اريكتي فقط. بينما ظل الجميع مكانهم بالاسفل... حتى كان أول واخر شئ سمعنه ونحن نصعد السلم.

خلاص كده قبضوا عليه؟؟

ايوه الحمدلله...

كويس .. عمر بكرا ان شاءالله تبدأ تحضر عزا اكرم وكريم الله يرحمهم. مش عايزين نتأخر اكثر من كده.

كان عمر شاردا قليلا... في كل ما مر بيه هذه الليلة. حتى استوقفته جملة والدته بمجرد ادراكهم غياب عليا. "عليا اتخطفت... مراد خطفها" كان عقله يضربه الف سؤال كيف ولماذا كانت لديها هذه المعلومة؟ والان لم يتمكن من منع نفسه اكثر من سؤال غالية عن الامر...

عمر أنت سامعني يا ابني؟

امي أنت عرفتي ازاي ان مراد خطف عليا؟ وانهم في المخزن ده؟؟؟

نظر الجميع الى غالية التي كانت تعرف تمام ان الليلة لن تنتهي ايدا للقبض على مراد فقط. بل ان تكون ليلة طويلة كليااليهم السابقة ايضا.

أنتظر الجميع سماع الجواب منها... الا عمر كان يعرف تماما تلك النظرة التي احتلت وجه والدته.

غالية... أنتى كنتى عارفه المكان فعلا؟؟

... أكرم أنا بنتي رجعت من ايد قاتل اخوها. دلوقتي مش بفكر في حاجه غير انها رجعتلي كويسه وبخير بفضل ربنا. اي حاجه تانيه مش مهمة دلوقتي فاهميني.

يعني ايه يا امي؟؟ أنا عايز اعرف دلوقتي أنتى مخبية ايه؟؟ ومنين جايه الثبات ده كله وأنتى عارفه كويس انه قاتل ابنك؟؟؟ يبقى...

عمررررر!!

صرخت غالية بابنها لأول مره في حياتها تقريبا.. كان يعرف تماما انه لن يحصل على جواب منها مادامت لا تريد هي. ولكنه حاول كثيرا تأجيل هذا التحقيق. الا ان الشك الذي دب بداخله كان اقوى بكثير من ضغط تلك الليلة عليه.

أنا كلامي واضح... بكرا نتكلم في الي عايزين تعرفه... انهارده معنديش دماغ افكر في اي حاجه تانيه غير سلامة بنتي. وابني الي هينام مسترياح في قبره أخيرا. اظن حدادي على ابني اتأخر كثير اصلا.. فمش هأخره تاني ابدأ ولا حتى عشانكوا... عايزة الحق أنام دلوقتي عشان اصحى الفجر اقرى قرآن والصبح ازور قبره وقبر يحيي... تصبوحوا على خير.

اصدرت غالية قرارها بمنتهى الحزم بنبرة كان يعرف كلا من أكرم وعمر ماذا تعني تماما. فالأول يدرك تماما مدى الألم الذي احتل قلب اخته. والآخر يعرف انه لا يوجد امامه الا ان سوى الاستسلام لرغبة والدته لعلها تتمكن من تفريغ غضبها هكذا.

ذهبت غالية الى غرفتها. وبقي الجميع ينظرون الي بعضهم.. حتى الخال أكرم وعمر تبادلوا النظرات الذي يقر فيه كلا منهما للاخر ان غالية تحاول الظهور بهذا الثبات فقط كي لا تنهار امامهم. ولكنهم يعرفون تماما انها تحمل فوق طاقتها وربما حملها لن يخف ابدأ بعد اليوم.

....

بالاعلى كنا نرتاح كلا منا على طريقته. عليا وهنا بغرفتهم.. حيث تمكنت عليا من ايجاد بعض السكينة أخيرا بحضن اختها الصغرى. لا يغيب عن عقلها اخر كلمات بينها وبين مراد.

لان ضميري ده هو الي هيفضل يفكرني دايم مش بس انى ارتكبت جريمة في حق اخواتي... لا انى كمان ضعيتك مني في نفس اللحظة الي ضربت فيها الرصاصة دي.

اطلق مراد لحظتها رصاصته الأخيرة كي تصيب قلب عليا مباشرة. وبالفعل نجح في ذلك الامر الذي لم يستغرق منها سوى لحظات لتدرك ان عشقها الأول الان لم يكن فقط من طرف واحد. بل انه اصيب برصاصة صاحبه ايضا قبل ان يولد. وان دقات قلبها الان ما هي اللحظات الأولى والأخيرة في حياة هذا العشق.

اقتربت عليا من مراد الذي مازال ينظر في عينها بقوة وحب لم ترى مثله في حياتها من قبل اقتربت منه والدموع لا تتوقف من عينها. ولكنها في تلك اللحظة كانت دموع الحسرة والندم على شئ ربما لن يخلق لها من الاساس.

حين اصبحت على مسافة تستطيع سماع دقات قلبه منها. شعر مراد كأنه يلمس عينها بعينه لأول مره شعر بانه يتنفس فقط لأول مره منذ زما بعيد لانه يتنفس معها نفس الهواء.

الا انه اضطر ان يفوق من غرقه فيها هكذا فقط حين دوت صوت الصفحة الثانية على وجهه. كي تجعله يستفيق من احلامه الذي ضاع فيها بداخله. لمجرد انها معه الان بنفس المكان والزمان.

أنا بكرهك... بكرهك من كل قلبي....

قالت عليا جملتها وهي تنظر في عينه. ولكن هذه المره بمرارة حقيقية تصب كل نزيف قلبها في عينه قبل قلبه. على الاقل كي يفهم ما معنى الجرح الذي فتحه في قلبها اليوم لدرجة جعلها تحزن ليس فقط على أخيها بل لى نفسها ايضا. كأنه اصبح همه الوحيد هو التخلص منهم عانليا. بدء بأكرم واليوم الدور جاء الى عليا...

قرب مراد وجهه منها لدرجة جعلته يتنفس نفس هوائها بالفعل. مسندا جبينه الى جبينها. دون ان يتقرب منها اكثر... فقط منع يده من ان تصل اليها باي شكل. حيث لم تقاومه هي الاخرى ولم تهاجمه. فقط تركت نفسها لوجعها الذي اصابها منه وعيشه حلمه الذي يعرف تماما انه أوشك على الأنتهاء مجددا.

وأنا بحبك... والله العظيم بحبك وفضل احبك لآخر يوم في عمري. حتى لو كان انهارده.

أنتهت جملته وبدء معها صفير سيارات الشرطة التي تنذر بقدمهم. لتدرك عليا انهم اصبحوا على حافة النهاية الان. مبتعدة عنه مسافة قليلة تنظر في عينه. كأنها تعلم تمام انها اخر مره.

ظهرت تلك البسمة على وجهه. معلنا تفهمه نهايته أخيرا.. وان حكم اي محاكمة عليه بعد اليوم لن يكون اسوء أو اقسى من حكم قلبها الليلة ضده.

لم ينطق بكلمة ولم تنطق هي الاخرى بكلمة فقط.. ابتعد عنها مرغما تاركا نفسه وانفاسه معها بالخلف. وذهب بطريق باب المخزن حين دوت اصوات عناصر الشرطة تدوي المكان حولهم بان يسلم نفسه. كان هذا حين وصل الى عتبة الباب. ولم يرد ان يودعها تلك اللحظة هكذا. فتح الباب وخرج منه مستسلما لهم. بينما كانت عليا تحاول التمسك قليلا كي تتمكن من النجاة من هناك أخيرا.

استفقت عليا من شردوها لتجد اختها قد خفت هكذا وهي تحتضنها. لتلحق بيها هي الاخرى محاولة التغلب على دموعها التي لم تتمكن من السيطرة عليها الان اذا وجدت طريقها خرج عينيها.

بينما لم اجد أنا طريقا الى النوم ولا الراحة. فقط استلقيت هكذا فوق اريكتي... لا اعرف ما سوف تحمل لنا الايام المقبلة هكذا. خاصة بعد الليلة. الا ان هناك شيئا ما لم يتمكن عقلي من تفويته هكذا لحظتها. وهو ان كل شئ سينغير تماما بعد الليلة. وربما لن يعود ابدا كما كان من قبل..

...

في الصباح كان عمر قد خفي مكانه على اريكة الصالون بالطابق الاسفل. لم يشعر سوى بنداء والدته له تنبه ان الساعة تركت العاشرة صباحا. محاولة جعله يستفيق كي يغير ملابسه ويرتاح قليلا بغرفته الا انه لم يتمكن من ترك الباب مفتوحا اكثر بمرجد رؤيته اليها... فوجد نفسه أولا

قوم يالا اطلع غير هدومك وتعالى نفطر سوا قبل ما اخرج...

مش هتقوليلي عرفتي ازاي مكانهم بردوه يا امي؟؟

.... عمر!!

ماما أنا عارفك كويس... بس كمان عارف انك مش هتكوني بالهدوء ده والموضوع يتعلق بحد فينا. يعني ايه اصلا؟؟ من فضلك قوليلي ايه الي حصل؟؟؟

استسلمت غالية أخيرا لرغبة ابنها. حيث كانت تعرف هي الاخرى انه لن يهدأ ابدا دون ان يعرف ولن يترك ملاحقة الامر ايضا..

.... لا حول ولا قوة الا بالله.. اقعد

...

الاقعد هنا.. هنتكلم وأنت واقف فوق رأسي كده؟!

اديني قعدت...

الاسورة ... عرفت من مكانهم من الاسورة!

.... نعم! يعني ايه الكلام ده؟ اسورة ايه؟

الاساور الي ادتها لمراتك واختك .. كان فيها جهاز تتبع عشان كنت عارفه كويس انه مش هيسكت لما يعرف خبر جوازكم. ومش هخاطر بيناتي طبعا.. كان لازم اعمل حسابه وافكر قبله عشان اضمن انه ميأديش حد من ولادي تاني.... وطلبت من عليا انها تفضل مع نور طول الليل عشان مييقاش عنده فرصة يأذي حد منهم وهما لوحدهم... بس الظاهر انه مش بالذكاء الي كنت متخيلة لما النور قطع خبط نور وخطف عليا... الحمدلله اننا لاحقنه في الوقت المناسب.

كانت الدهشة قد اخذت مكانها بالفعل على وجه عمر اثر ما يسمعه من حديث والدته.. الذي حتى وان كان يعرفها جيدا لم يدرك انها قد يخطر ببالها كل هذا وان تخطط مجرد التخطيط لامر ما هكذا... كان عمر ينصت لها بعناية حتى وان توقف عقله بعض اللحظات من اثر الصدمة الا انه كان يعود لوعيه حين يجد والدته تتحدث بكل هذه الثقة. كأنها للتو تخبره بطريقة عمل احدي اطعامتها...

فهمت دلوقتي؟ خلاص ارتحت.

..... امي هو الي أنتي بتقولي ده حصل فعلا؟ أنتي عاملتي كده بجد؟

اه عاملت كده هو الي احنا في ده يتحمل هزار... واهو الحمدلله حقق الي كنت بتمنى من ربنا وابني ارتاح في قبره.

يعني أنتي خاطرتي ببنتك ومراتي بالسهولة دي.. وجايه تقويلي عشان ابنك يرتاح في قبره؟؟ أنتي ازاي مصدقه الي بتقولي بالسهولة دي يا امي؟؟

.... أنا مش هقولك خلي بالك من نبرة صوتك وأنت بتكلمني دلوقتي عشان عارفه أنت حاسس بايه؟؟ بس تقدر تقولي لو أنت في مكاني كنت عاملت ايه؟؟

أنا بجد مش قادر اصدقك... أنتي عارفه لو كان خد نور فعلا كان عمل فيها ايه؟؟ ولا عليا نفسها يعني ايه تكون بين ايدين قاتل اخوها بالسهولة دي...

أنتي جبتي القوة دي كلها منين يا امي؟؟

امال عايزيني افضل مستتية يخلص عليك أنت في حنة مقطوعة لوحديك.. ولا أنت الي تلحقه تخلص عليه لو كان قدر يوصل لنور... أنت ناسي هو مين؟ ناسي عمل كده ليه؟ ناسي ازاي فرط في دم صاحبه وابنه عمه في لحظة غضب ليه؟؟ بتسالني جبت القوة دي منين؟؟ افكرك اني ام... ام خسرت ابنها الكبير في غمضة عين غدر وخيانة من واحد كان اقربله من دمه... ومش بس كده ده كان مستتني اللحظة المناسبة عشان يخلص على ابني الثاني... وأوعى تقولي انك مكنتش عارف كده كويس؟؟ كنت عايزيني اعمل ايه؟؟ اسبيكوا تضعبوا من ايدي واحد ورا الثاني؟؟

تقومي تخاطري بالبنات؟؟؟؟ ماما دول عليا و نور أنتي فاهمه ده؟؟؟!

ومين قالك أنتي حطتهم في خطر ولا حتى كنت هسمح انهم يتأذوا.... الاسورة محددة مكانهم من أول ما كانوا هنا الاتنين قدام عيني ومن أول ما رجع النور وحصل الي حصل.. وأنا شايفة بعيني المكان الي خدها فيه... كمان....

كمان ايه؟؟؟ في ايه تاني؟؟؟

أنا عارفه مراد كويس... مكانش هياذي لعليا ولا نور بالي كنت متخيله... هو كان كل همه نور وانه يتجوزها... عشان يقهرك أنت مش انه يأذيها تفرق كثير أوي.

هنا تماما فقد عمر اعصابه وضرب مزهية الورد بجانب يده ليطيح بيها ارضا.. معلنا عدم السيطرة على نفسه تماما امام كل هذا الثبات والحزم من والدته... ليكمل والغضب يشتعل في وجهه.

الأنتي لسه قادرة تقولي انك عارفه كويس... هو مين ده يا امي؟؟ مراد مراد طاهر الي قتل ابنك الكبير... أنتي ازاي بتقولي كده؟؟؟

الأنت اتجننت ... اهدى شوية واحترم نفسك قدامي.. أنت نسيت أنا مين؟؟! أوعى تفكر
انك بتحاسبني... أنا بشارك ابني بالي عملته بشارك راجل بيتي الي عارفه عقله وقلبه كويس
من قبل حتى هو ما يفهم نفسه... أوعى تفكر انك غضبان اكثر مني. ولا ان الدنيا وردى
عشان بكلمك بالهدوء ده... أنا ام يا عمر حتى لو عمرك ما هتفهم يعني ايه ام بس عشان
أنت الراجل. تفكر ان الدنيا سهله تحت السيطرة... لا يا حبيبي الدنيا كل يوم بتديك مية
ضربة على دماغك... والاهم من كده انك بتعيش وتكمل يومك عادى وأنت مضروب ومش
قادر... لحد ما تيجي الضربة المية وواحد دي الي تضم ضهرك وتكسرك ساعتها بس يا تقع
ومتقوملكش قومة وتنتهي وأنت حىي.. يا اما تفكر الناس الي في رقبتك وعلى قلبك وتقوم
وتكمل وأنت موجوع ومكسور... اهي الام بقه هي الي بتضرب مية ضربة في اليوم يا
استاذ كلهم يوجعوا ويكسروا الضهر. بس لازم تقف وتكمل عشان ولادها واهل بيتها...
فهمت يا ابن بطني؟!!

ادرك عمر نفسه قليلا وانصت لحديث والدته بدقة متفهما كم العجز والوجع التي تشعر
بيه. لمجرد انها بالفعل لم ولن تسقط ابدا فقط لهم كي تحمل عنهم وعن نفسها وجع تلك الايام
المره التي فتحت باب اصبح من الصعب عليهم اغلاقه بسهولة.

أنا معلمتش حاجه غلط... مراد الي أنت بتتكلم عنه ده صح أذنا وقهرنا.. بس في الأول
والاخر زيه زيك تربية ايدنا. تربيته طاهر وجميلة... يعني مهما الشيطان كل عقله... هيبقى
جذوره الطيبة الي اتزرعت جواه اقوى منه ومنك.

والا مكانش سلم نفسه واستسلم بالسهولة دي . مانت شفت بعينيك

وغير كده يا أخي أنا ست مؤمنة وثقتي في ربنا كبيرة. عارفه انه هيحفظلي بنتي وبنت
الناس الي بقت في رقبتنا. وعمره ما يخذل دعايا ورجائي منه فيكوا ابدا... واهو الحمد لله
بنتي بخير وسلامة جمبي ومراتك معاك وأنت واقف قدامي صاغ سليم صوتك بيرج في
البيت اهو. وهو بين اربع حيطان هيفضل يحاسب نفسه فيهم لحد ربنا ما يحاسبه بنفسه.
هعوز ايه تاني أنا اكثر من كده؟؟!

.... تفكري فعلا بقيت بالسهولة دي؟؟

ومين قالك انها لازم تبقى سهله؟! الدنيا دار ابتلاء يا حبيبي دار شقاء يدربك ويقوي عضمك كل يوم.. عشان كل يوم تقوم وتعافر عشان توصل للجائزة الحقيقية الجائزة الي مفيش بعدها اي تعب ولا حزن... اهو أنا ابني الكبير طلع اشجع واقوى مني عاش حياته كلها ايه في مصحف يسعلها.. وسابقي عليها ... عايزيني اخذله أنا واتخلى عنه هناك... لا وحياتك عندي ما اقدر انسى نفسي يوم واحد واتخلى عنكوا لا دنيا ولا اخرة. لازم اكون زيه عشان ربنا يعوضني رؤيته وريحته الي اتحرمت منهم في الدنيا في جنته باذن الله... هو وابوك

وقف عمر حائرا امام ثبات امه وحزمها. ليدرك أخيرا ان قوة ايمانها ويقينها بالله هو من يحركها الان وليس فقط تجاربها الشاقة بالحياة.

.... اقولك ايه بس يا امي؟! مبتقتش عارف أنتى قوية ولا قاسية ولا مكشوف عنك الحجاب!! ازاى قادرة تحافظى على ثباتك ده قدام كل الي حصل اصلا؟

.... ده مش ثبات يا حبيبي.. مين قالك اني مش عايزة اتجنن وافقد عقلي.. ولا اقطعه بسناني. كل الحكاية ان ده مش الصبح مش الحل بالنسبة لي... في حاجات اهم واكبر كتير.. أنتوا والبيت ده واخويا.. يبقى برايك أنت مين الاله؟

كان عمر على وشك الرد على والدته. ولكنه توقف مضطرا حين تفاجئ بوجودي امامهم على باب الغرفة.. الامر الذي جعلهم سويا في حالة صدمة ان اكون قد سمعت كل حديثهم الماضي ايضا.

حاول عمر تدراك الموقف قليلا. كي لا يفصح عن شئ لم اسمعه بنفسي. لذلك فضل الصمت قليلا. كي ابدء أنا الحديث...

... نور!!؟

.... أنا عايزة اروح لبابا المستشفى.. عايزة اشوفه... لو سمحت

... اكيد يا حبيبتى... روح مع مراتك ومتسبهاش.. وأنا كمان لازم امشي عشان الحق ارجع. خلي بالكم من نفسكم

عايزة حاجه يا نور؟؟

... شكرا يا طنط.

مش عايزكي تخافي من حاجه ولا تفكري في حاجه من دلوقتي ورايح... ويوم ما تلاقى نفسك مشتاقة لاخوكي كمان. أنا أول واحدة هتاخذك لقبره.

قالت غالية جملتها وهي تربت على كتفي لحظة خروجها من الغرفة. كأنها تؤكد على اني اصبحت جزءا منهم. حتى ان ذكرى أخي الباقية الان ستظل معلقة بيهم الى الابد.

... انا لو جاهزة دلوقتي خلىنا ننمشي هغير هدومي بس واجيلك على طول

ايوه جاهزة.

تجهز عمر سريعا لنتحرك سويا من المنزل. دون ان ينطق احدنا بكلمة. وصلنا الى المشفى بعد دقائق. في زيارتي الأولى لأول مره منذ ان احتجز بيها أبي قبل ايام.

لم ادري وقتها لماذا شعرت بكل هذا الضعف بمجرد وقوف السيارة امام المشفى. كأني أنتظرت لحظات ان يخرج أبي منها واقفا على اقدامه ليأخذني من يدي ويعود بينا الي منزلنا. الا انه حتى حين لم يخرج شعرت كأني اريد الركض على الفور وعبور كل تلك الحواجز التي اقيمت بيني وبين غرفتي بمنزلي القديم. هل اصبح قديما الان حقا؟! يا للمهزلة!!

أنتشلني عمر من شردوي حين افقت على يده التي احتوت يدي بقوة دون ان أنتبه حتى.
أنتي كويسه؟

..... هااا مش عارفه. للحظة حست ان حتى لو المكان أوالزمن اتغيروا هفضل طول عمري خايفة من مواجهة ابويا.

أنا عارف قد ايه صعب عليكي الي حصل والايام الي فاتت كانت كل حاجه فوق بعضها. ملحتيش حتى تفكري ان عمي في المستشفى ولازم تبقي جمبه.

أنا مفكرتش لحظة انه ممكن يبقى محتاجلي. بابا اصلا عمره ما شافني عشان دلوقتي يبقى دوري ناحيته.... بس انهارده. امبارح بعد كل الي حصل. لاقيت نفسي مش بفكر في كريم بس... لاقيت نفسي بمفكرش في مراد ولا الي عمله بس... لأول مره ف حياتي لاقيت بابا قدامي. حسيت لأول مره انه بينادني. كأني لو خرجت من أوضتك هيبقي في أوضته جمبي. معرفش ليه حست كده. معرفش ليه حست اني محتاجه اشوفه واشتاقت لماما كمان. رغم ان مفيش معيا منها غير ريحيتها في هدومها ووجع قلبها الي في قلبي.

بس كأني لأول مره في حياتي نسيت ان ابويا مبصش في وشي. نستت اني ملحتنش احضن امي. نسيت اني لوحدتي.. مفكرتش بس غير ان اخويا مبقاش موجود. واني مش هقدر اتعايش مع ده اكثر من كده.

نسيت كل وجعي من ابويا وامي. ولاقيتني مشتاقة لحضن ابويا وحنيته الي اصلا معرفش عنهم حاجه من صغري.. كأن الواحد مهما لف ودار بردوه بيرجع لنفس نقطة بدايته تاني.

كان عمر يستمع لي باهتمام شديد. حتى لحظت اني استرسلت معه في الحديث دون ان ادري كيف ولماذا فتحت قلبي له وأنا الذي لا افضل الحديث مع احد بالعموم؟! ولكني في تلك اللحظة سيطرت علي مشاعر كثيرة كنت اعتقد انها لا علاقة لها ببعضها. حتى أنتبهت ان يده مازالت تحمل يدي طوال فترة حديثي له.

أنتي مبقتيش لوحدك. وصدقتي اكيد عمي كمان محتاجك زي ما أنتي محتاجله دلوقتي.

ميتهايليش.... بس يالا بينا لو فضلنا هنا اكثر من كده يمكن مقدرش ادخل ابداء.

نزلنا سويا من السيارة. لاجد يده تذهب الي يدي مره اخرى. واجدني أنا استسلم لها مجددا بارداتي. لنخل المشفى معا مشبكين ايدينا ببعض. لندخل الى المشفى نبحت سويا عن غرفة أبي. حتى التقينا مع طبيبي المعالج في الطابق العلوى. الذي بمجرد رؤيتنا امامه ابتسم ابتسامه عريضة لم ادرك سببها في الحال.

الاهلا العرسان الجداد معقوله أول خروجة تبقي المستشفى كده؟؟

الاهلا ازيك يا دكتور؟؟

الحمدلله.. أنتوا عاملين ايه اتمنى تكونوا احسن انهارده.

أنا عارف الي حصل صعب ومش اي حد يتحملوا. بس أنتوا اقويا وهتقدروا تعدوا الموقف سوا.

....

صحيح ايه الي جابكم انهارده؟ ان شالله الامور تمام؟؟

الاهلا أنا جايه اشوف بابا. عايزة اطمن عليه.

حقيقي يا بنتي؟؟ منتصوريش حاجه زي دي هتفرق معه ازاى. خاصة انه بعد الي حصل. اكيد بمجرد ما يحس انه حد من قرابيه موجودين هيتحسن.

.... هو حالته ايه دلوقتي؟

أنتى هنا خلاص... تقدرى تتطمنى بنفسك احسن.

استغربت اجابة الطبيب. الذي للوهلة الأولى شعرت بانه يندرنى بشفاء أبي. الا ان اجابته تلك نجحت في قصف الرعب بقلبي للحظات مرت علي كأنها ايام.

ببالفعل اتجهت ناحية غرفته. بصحبة عمر ليتركني عند باب الغرفة ساحبا يده من يدي... قائلا:

أنتى عارفه انى هفضل هنا جمبك تمام... بس اي كانت حالته بيتهايلي أنتوا محتاجين الدقايق دي لوحدكوا.. وأنا جمبك هنا مش هسيبك.

اشرت له بتفهمني واتفاقي معه فيما يقوله. لاخذ نفسا عميقا داخلي وامد يدي لافتح باب الغرفة. لتقع عيني أولا على أبي الممد على ذلك السرير غارقا في سباته لا يشعر بشئ حوله ولا باحد. كان مازال في غيبوته لم يستفيق منها منذ ان جائه خبر أخي كريم بالمنزل.

دخلت الغرفة امشي خطوات بطئية تجاهه. ليقع نظر عمر خارجا عليه ايضا. ليدرك لحظتها رغبة الطبيب بعدم الافصاح عن شئ في الوقت الحالي. مغلقا الباب خلفي. معلنا تركي أنا وأبي بغرفة واحدة لأول مره في حياتي كلها..

دكتور لو سمحت؟؟

هو عمي ماله؟ معقولة مفيش اي تحسن؟

... الحقيقة يا عمر استاذ صالح رافض الحياة تماما. بمجرد ما انتقل على هنا واسعفنه بشكل مبدئي وهو غايب عن الوعي رافض الاستجابة لاي علاج تقريبا. ولما دخل في الغيبوبة طبعا فرصه قلت بشكل كبير.

أنا فاهم طبعا اثر الصدمة عليه.. بس الحقيقة لأول مره في حياتي كطبيب اشوف قدامي حالة بتعقد ده...

لا حول ولا قوة الا بالله... طب ليه حضرتك بتقول كده؟؟

عشان رغم كل الي بلغتك بيه ده. الا انه لسه في حاجه متعلق بيها.. يعني واحد في حالته والي طبقا لتحاليه ومؤاثراته الحيوية هو تقريبا عايش بالاجهزة فقط. بس رغم كده لسه روحه متعلقه. كأنه مش مكتوبله الخلاص بسهولة... ربنا يتولى.

تفهم عمر كلام الطبيب عن حالة والدي. وسكن في مكانه ينتظرنى لا يدري أيق لي معرفة هذا الحديث ام يتركني هكذا لحكمي الشخصي بعد هذه الزيارة... الذب لم يعلم احدا منا ابدا انها قد تكون....

بابا... أنا عارفه انك سامعني... جايز تكون سامعني. مش عارفه ليه لما شفتك دلوقتي رجعت اخاف تاني.. رجعلي احساسى الي كنت بحسه وأنا معاك على سفرة واحدة... رغم ان سفرتنا كانت مليانة... بس بردوه كان دايمًا عندي رهبة منك. رغم وجود كريم ومر...

أنا عارفه انك زعلت أوي. أنا كمان قلبي وجعني أوي يا بابا... الايام الي فاتت كنت بفكر في حاجات كتيرة أوي. عقلي مبطلش تفكير.. بس امبارح بس فكرت فيك... لأول مره فكرت فيك بس مش مع حاجات تانيه ولا في وسط الزحمة.. وأنا شايفة العساكر مكابشينه ع العربية... وأنا شايفة الابتسامه دي على وشه وأنا شايفة عيونه الي مكانتش بتخاف من حاجه. لأول مره يا بابا افكرتك. افكرتك وأنت واقع قدامي لما جالك الخبر. افكرتك لما بقيت لا حول ليك ولا قوة... افكرتك وأنت بين اربع حيطان حتى مش عارف تحزن على ابنك... لحظتها بس عرفت قد ايه أنا ضعيفة يا بابا... ضعيفة ووحيدة. عشان كبرت من غيرك. كبرت لوحدي... كبرت وأنا شايفة حياتي متعلقة باهتمام كريم اخويا و حنيته عليا. الي لما خسرت. خسرت معه الحيطه الي كنت مستخبية فيها... كريم مشي يا بابا. مشي وسابني لوحدي. عشان أنت اساسا كنت سايبني لوحدي. سبتني وأنا حتى مش عارفة شكل الدنيا الي بره الحيطه دي. ليه كده يا بابا؟؟ طب استفدت ايه دلوقتي؟ ماما رجعت تاني؟ ابنك فضل موجود؟ حتى ابن اخوك الي ادبته الي باقي من حياتك معرفش يحافظ على اي حاجه منك؟؟

اهو دلوقتي مفضلش غيري أنا وأنت.. بس تعرف حتى وأنت في مكانك ده. في حيطه كبيرة أوي بينا. أنت عارف انهم مستنيك هناك.. وأنا عارفه انى غصب عني لازم افضل واقفة. بس واقفة في أوضة ملهاش حيطان... والاسوء اني حتى مش عارفه اقع على ارضها ارتح شوية. اكيد قلت لنفسك كتير ياريتها كانت هي الي ماتت وملك الي فضلت... كنت بشوفها دايمًا في عينيك ولا وشك الكام مره الي كنت بعرف اشوف فيها وشك...

أنت صح يا بابا... معاك حق... ياريتني كنت أنا اللي موت من زمان يمكن حتى كريم
كمان كان فضل عايش...
كريم....

خرج صوت أبي فجأة ينادي باسم أخي. أبي الذي لم ينطق ولم يكن بحالة صحية سليمة
الايام الماضية تحدث فجأة بصعوبة ينادي اخر ما يتذكره في الحياة واخر ما كان له ايضا.
بابا ... بابا أنت سامعني؟؟ اتكلم يا بابا اتكلم...
كررريم ابني كريم... أنت هنا يا حبيبي؟

كان يخرج كلماته بصعوبة حتى انه لم يرجع الى وعيه بشكل كامل. تملكنتي دهشة
كبيرة حيث للوهلة الأولى تخيلت انه يعود الي وعيه وادراكه كاملا.. حيث احتلنتي فرحة
كبيرة. لعله أخيرا يتمكن من استعادة صحته. ولكني لم أنتبه ابدا لحظتها انه يتخيل أخي وهو
غير واعيا ايضا.
بابا...

كريم... أنت اتاخرت عليا يا حبيبي.. رحى فين؟؟
.... أنا هنا يا بابا جمبك... اتاخرت شوية بس جيت... جيت خلاص.
متمشيش تاني يا حبيبي... متمشيش زي ملك أنت كمان وتسييني.
.... لا يا بابا مش همشي... مش همشي المهم أنت تبقى كويس دلوقتي.
اختك فين يا كريم؟؟ نور بنتي...

لم استطع حبس دموعي اكثر. حين خرج اسمي من بين شفاه. للحظة ظننت انها المرة
الأولى التي اسمع فيها اسمي منه. ثم ادركت اني بالفعل لا اتذكر متى ان سبق له ذلك...
حاولت تدراك دموعي وصدمتي ايضا. ولكن...
بابا... نور...؟

خلي بالك منها يا كريم... خلي بالك منها يا حبيبي. أنا معرفتش احافظ عليها. معرفتش
انفذ وصية ملك حبيبتى... معرفتش اكونلها حاجه غير سبب في جروحها اكثر... لو تعرف
كنت بطمن ازاى وأنا شايفك مهتم بيها وبتحافظ عليها. كنت فاكرا انها كده كويسه... بس
مفيش حاجه بتعوض احساس اليتيم والوحدة الي دخلته قلبها... تعرف انى كنت مستني اليوم
الي تقف قدامي وتحاسبني على وجعها مني. تقولي انها بنتي أنا وملك زيها زيك. بس كل
يوم كان بيعدى من غير ما يحصل كنت بفهم انها كرهنتي اكثر. لدرجة انها تكبر قدامي بس
بعيدة عني. من غير ابوها... كنت كل يوم بفهم انى خسرتها لما لاقيتها بتقف على رجلها من
غير ما تطلب مني حاجه. ولا تستنى مني حاجه... على قد ما كنت فخور بيها على قد ما
كنت بخجل من نفسي اكثر انى مكنتش اب حقيقي ليها. كانت محتاجني يا كريم أنا عارف
متأكد.

كانت محتاجة ابوها يسندها في غياب امها. بس أنا معملتش كده. معلمتش اي حاجه كان لازم اعملها... مش عارف هتقدروا تسامحوني ولا لأ... بس لو في يوم قدرت تصدقني... خليها هي كمان تسامحني... خليها تعرف اني بحبها. من أول لحظة جات دنيتي فيها وأنا بحبها. أنا مكرهتش غير نفسي يا ابني... نفسي وضعفي الي ضعيووا ملك مني وضعيووا كل سنين بنتي مني.

بكيت.. بكيت كما لم ابكي من قبل.. بكيت أخي ونفسي.. بكيت أبي ايضا. أبي الذي غرس سهامه في قلبي. سهام الابوة وسهام الوجد.. سهام تحمل سمها قبل عسلها ايضا. أبي الذي لم يكن يشعر بوجودي قبلا ولم يعرف بوجودي اليوم ايضا. ولكنه تحدث لي وعني لأول مره منذ ولادتي. لأول مره اختر ان يطيب خاطري وهو يدب خنجره في قلبي ايضا. لم اشعر نفسي عاجزة هكذا قبلا.. ولم اجد وصفا لما احتل قلبي لحظتها ابدأ. فقط شعرت لأول مره كان نراع أبي تحاوطني. ولكني ادركت ايضا حجم جروحي وثقلها التي لم يعد يكفي مجرد العناق كي تتعافى.

بابا... بابا ارجوك اصحى.. اصحى كلمنى تاني. اصحى نتخانق أول مره. اصحى احضني أول مره... اصحى قولي اي حاجه... بس بلاش تمشي كده وأنا معشتش معاك اي حاجه... ارجوك.

خلي بالك منها يا كريم... أوعوا تيجوا ورايا على طول. خلوني اشيع من امكم الأول شوية... وحشتني أوي. اهي واقفة قدامي اهي مستنيني.. أنا جاي يا ملك. جاي يا حبيبتي. بابااااا لا بابا...

لم ادرك ان صرأخي لحظتها قد اخترق باب الغرفة. ليصل الي مسامعهم بالخارج. حتى دخل عمر واقفا امامي فجأة. ليدرك ان دعائه فقط لم يكفي لاصلاحه. بابا رد عليا... قوم يا بابا قوم متمشيش أنت كمان عشان خااطري... نور نور تعالي لو سمحتي ارجوكي كفاية...

عمر بابا كلمني ... بابا رد عليا كان بيكلمني... كان فاكروني كريم اخويا بس كلمني أنا قالي الي قلبه ... ارجوك ساعده خلي يقوم..

تحرك عمر قليلا تجاه سرير أبي.. ليجد ان الامر قد أنتهى منذ لحظات. ولم يدرك احدأنا صوت صفير الاجهزة من حولنا منذرا فارقنا ايضا.. بمجرد ان اصفى همه وحمل ضميره ناحيتي. وكان اخر ما تعلق بيه في حياته بالفعل كان أنا .. ابنته.

نور...

لا باااااااااا... بابا متسيينيش أنت كمان ياابابا لا ارجوك...

وجدت نفسي بين احضان عمر يحأول جمع شتت امري. بينما كانت دموعه تنهمر على كتفي ايضا. وأنا اسمع دعائه بالرحمة لأبي... لم ادرك نفسي لحظتها. ولم ادرك ان صراخي وصل لاقصه حتى تجمع الجميع بالمشفى حولنا. حتى لم اتحمل اكثر فقدت وعي بحضن زوجي. وأنا احأول مقاومة كل هذا الوجع بداخلي.. لم اعلم وقتها كم من الوقت قد مضى علي هكذا. فقط اتذكر انى لم اكن اريد ان افيق ابدا. لعلي اجد مواساتي قليلا في احلامي بيهم.

...

(١٨)

بعد مرور ثلاثة اشهر الساعة الحادية عشر صباحا بيت غالية

كانت تجلس في غرفة الصالون بالطابق الاسفل. تنتقل بين سور القرآن محاولة ايجاد السكنينة والامان بين اياته. حتى دق جرس الباب منذرا وصول احدا ما اليهم.. تحركت من مكانها لتفتح الباب لتفاجئ بهذا الساعي امامها.
ايوه اتفضل..

سلام عليكم يا فندم.. مش بيت الانسة عليا يحيي؟

ايوه هو.. خير؟

معيا جواب للانسة عليا.

جواب لعليا... منين؟

من سجن المزرعة...

جواب لبنتي من السجن؟؟؟

ايوه يا فندم... ده العنوان المكتوب فيه..

طيب ممكن أنا استلمه أنا والدتها.

طبعا يا فندم مفيش مشكلة.. بس امضيلي هنا بالاستلام لو سمحتي..

وقعت غالية بالاستلام. واخذت الجواب منه مغلقه الباب على فور.. تفكر لماذا يأتي هذا الجواب هكذا الى عليا؟؟ حتى خطر على بالها الكثير والكثير. الا ان المفاجأة كانت حين اقبلت عليه تفتحه بنفسها بعدما وجدت ذلك الاسم على وجهته الاخرى.

...

مضت عشرة اشهر كاملة مضت على كل شئ وكل ما حدث. مضت على ذلك اليوم. بل ذلك الاسبوع الذي تغير فيه كل شئ. كنت اعتقد ان كل يوم مضى بمفرده كان هو اسوء ما يمكن ان يحدث.. لكن بعد مرور كل ذلك الوقت ادركت ان كل يوما منهم كان ينذر لليوم الذي يلي والذي افكر انه اصعب مما سبقه. اليوم وبعد كل هذا الوقت. وأنا اجلس وحدي في الصباح الباكر بشرفة المنزل الذي اصبحت مقربة لي تماما مثل اريكتي. اتذكر كل تلك الايام السابقة. وكيف نالت منا جميعا بشكلا ما.. اتذكر خسارة أخي زواجي.. وجودي بهذا البيت. شنتت عليا وصولا الى فقدانني أبي. الذي تزرعت بعده كثيرا طوال ايام. لم يبقى بي طاقة اتمسك بيها للوقوف بعدها.

ولم يعد يسعني اي مكان منذ ان افقت من اغمائي في غرفة المشفى. ووصلني نوااح الجميع خارج الغرفة. حينها ادركت اني لم اتمكن حتى من الحفاظ على تلك الاحلام كثيرا. كيفما لم يبقى احدا من عائلتي. قبل حتى ان ادرك حقا ان لدي عائلة.

تولى عمر وخاله كل شئ. أنهت الاجراءات والمراسم. وأنا لا انطق بكلمة. حيث قال الطبيب انها صدمة عصبية حدة. حتى قلبي لم يتمكن من الصمود كثيرا امام كل هذه الاحداث. فاصبح التوتر والقلق في تلك الحالة سلاحا قاتلا مصوبا علي.

لم اعد اذكر الكثير عن تلك الايام. فقط اذكر اني ظللت عاجزة عن التحدث ما يقرب من شهر. حتى قرر عمر الانتقال معي قليلا الي بيتي السابق. لعلني اجد بعض الراحة بمكانا ليس بغريب عني. كما نصحه الطبيب في حالتي.

لم اتذكر الكثير ايضا عن تلك الفترة التي قضيتها وحدها ببيتي. فقط بعض الكوابيس الذي كنت افيق منها ابكي دون صوت. وبعض الايام التي كنت افيق منها لاجد نفسي بين ذراعيه. واثر دموع كوابيسي بيننا. حتى اني أنتبه ابدأ متى اصبحنا مقربين. ومتى وجد عمر طريقا الي قلبي خلال تلك الفترة رغم صعوبتها. لم ادري هل لانه لم يستغل قلة حيلتي ابدأ وقتها؟ ام لانه اظهر اهتمامه ومحبه في كل تفصيلة فعلها تجاهي؟

شعرت انه يحأوطني بشدة فلم يترك مجال لكوابيسي اكثر. حيث اذكر جيدا انه لم يتركني وقتها ابدأ. ولم يتأخر احدا من اسرته على مواساتي والوقوف بجانبني. كانت الفتيات وغالية يتبادلن الزيارة علينا خلال الاسبوع. حتى لا يقتحموا خصوصتنا ابدأ. حيث كانوا يتوجدون نهارا.. ولا يظلوا اكثر من ساعة معنا... لم يسأل احدا منهم على شئ. ولم يقم نفسه بيننا ابدأ. فقط كان الجميع يحافظ على مسافته بيننا. كي لا يقم نفسه خلف باب غرفتنا ابدأ.

بقينا قرابة الشهرين بمنزلي. حيث كانت الفترة الأولى هي الاصعب بينما مع مرور الوقت ووجود عمر بجانبني. اصبحت اتحسن واستجيب للحياة مرة اخرى. اذكر جيدا ذلك اليوم الذي تحدثت فيه أول مره بعد سكون فترة طويلة. وكيف استقبلني هو بفرح شديد كالطفل الذي حصل على هدية كان ينتظرها طويلا. ضمنى بقوة لدرجة شعرت ان خلاياي امتزجت بيه. لأول مره منذ يوم زواجنا.

رجعنا بعدها الى بيته بناء على رغبتني. حيث لم ارد ابدأ تثقيل حملي عليه اكثر من ذلك.. رغم اصراره الشديد بان لا داعي بشعوري هكذا ابدأ. الا اني لم اتمكن ابدأ من تصديق كل هذه المشاعر الجيدة تجاهي .. خاصة بعد كل هذه السنوات التي قضيتها وحدي ولنفسي.

تغير الكثير في تلك الفترة.. اصبح كل شئ طبيعا هكذا. كلا في حياته... اصبحت أنا والفتيات مقربين اكثر. رغم الفروق العمرية البسيطة بيننا. الا ان عليا تمكنت من فتح باب بيننا لا يغلق ابدأ. حيث تقوت صداقتي بيها اكثر واكثر. ربما لتفهمها لي منذ أول يوم دخلت فيه بيتهم. حيث كنا نقضي واغلب أوقاتنا معا بغرفتهم. حتى يعود عمر من عمله... كنا نفعل كل شئ معا. حتى دراسة هنا. اصبحنا نتبادل سويا في مساعدتها بيها. بينما ادركت اني تعلمت الضحك حقا بينهم. ولا انكر اني شعرت كثيرا بالدفاء والارتياح بهذا المنزل الذي اصبح منزلي.. واصبحوا هم عائلتي الوحيدة. بعد كل ما حدث وعيشه سويا....

كنت اتخيل ان كل شئ يتغير بي لدرجة لم يأتي يوما اخر افكر ان كل شئ سوف يتغير بعده ايضا. حتى جاء ذلك اليوم... وبعد مرور عشرة اشهر كاملة على زواجي.. ليتغير كل شئ في حياتي. دون ان ادري كيف ولماذا وصلنا الى هنا؟ ذلك اليوم حيث بدء فصلا جديدا في حياتي... لم اكن اتخيل ان كل ما سبقه كان بمثابة صفرا على شماله.

....

صباح الخير يا جميل...

صباح النور يا عليا.. تعالي

صحتي بدري بردوه؟؟

أنتى عارفة الشروق بتاعكم اسرني.. مجرد ما احس بضوء الشمس دخل الأوضة مقدرش ماقومش...

الشروق بتاعنا كلنا لو سمحتي.. لسه بردوه!؟

صديقيني يا عليا.. أنا مكنتش اتخيل اي حاجه م الي حصلت في حياتي دي.. عشان كده مش حاسة بضيقه عشان بتكلم كأننا اتنين مش عايلة واحدة. عشان بقيت واثقة ان الايام بتغير كثير أوي. والدليل اهو. قعدتنا دي.. وهزارنا وسهرنا بليل... و...

و ايه؟؟ أنا عارفه ان كل حاجه ليها وقتها.. بس صديقيني حب اخويا ليكي دي الحاجه الوحيدة الي لا اتغيرت ولا ممكن تتغير ابدا مع الايام.

مش قلتلك قبل كده.. أنتى بتتكلمي من وجهة نظرك כאخت لي.. معاكي حق اكيد شفتي حاجه قدامك تثبتلك ده.. بس أنا مراته يا عليا... لازم كل واحد فينا يثبت لتاني بنفسه.. مش بشهادة ناس تانيه.

وأنتى محسنتش ان ده صح طول الفترة الي فاتت دي؟؟

حتى لو حسيت... بس أنا... أنا في كسر جوايا اثر باقي من ايام وحشة فاتت يمكن مقدرش اتعافى منه.. ويمكن هو الي مش مخلصيني عارفه اصدق. ان ممكن حد يحبني بس بيحبني... مش عشان اتعود عليا ولا بقيت امر واقع في حياته... فاكراه لما كنا قاعدين سوا في بيتنا القديم؟ وقتها مكنتش قادرة افهم ولا استوعب اي حاجه م الي حصلت. عشان كده لما قلبي دق خفت يكون لانني مشتتة وخفت اكون موهومة وبرمي حمل عليه اكثر... أنا مش عايزة ابقى خايفة يا عليا. هي دي النقطة.

عندك حق وأنا فاهمكي والله. بس أنتوا مع بعض على طول. يعني طبيعي في حاجه تتولد بينكوا. امال لو مكنتوش متجوزين يعني.

سمعتي عن الحب الي بيجي بعد الجواز!؟ اهو احنا حتى ده مش بالسهولة دي يتحقق ما بينا لان ببساطة احنا جوازنا مش جواز عادي.

أنا فاهم والله و عارف كويس... بره حدود أوضتنا دي حاجه. وهنا حاجه تانيه خالص.
تقدري تكوني بحريتك لاقصى درجة. لا حد يقدر يفتحها ولا يتدخل فيها. وحققي أنا جبتة
عشان عارف انه مينفعش بره الباب ده اصلا.

.... يعني تقصد ايه؟

يعني... الفستان ده ليكي أنتي بس. وأنتي معيا هنا في أوضتنا دي وفي حياتنا دي. مش
لحاجه تانيه ولا مكان تاني... وبعدين يا ستي ده فستان خروج مش قميص ن...

أوووعى تكمل... خلاص فهمت قصدك. فهمتك

هههههههههه شفتي بتدخلني في تفاصيل ازاي... اتفضلي جربي بقه...

عمرررر!!

عشان خاطري... لو سمحتي.

استجبت لرغبته أخيرا. وذهبت بالفعل كي ارتدي هديته. الحقيقة ان الامر كله لم يكن
غريبا بالنسبة لي. فعمر مؤخر بالفعل اصبح يتجاوز الكثير من الحواجز الذي كانت قد اقيمت
بيننا منذ أول لقاء لنا فوق جثة أخي وأخيه. الا ان مع مرور الايام وخاصة بعدما أنتهى كل
ذلك الحزن تقريبا. اصبحت المسافات تتلاشى بيننا. لدرجة اني لم اتخيل يوما انها سوف
تختفي الى الابد.

ارتديت الفستان بالفعل وخرجت اليه وأنا احاول الحفاظ على ثباتي امامه لآخر لحظة.
ولكن...

....

ايه مالك؟؟ سكت كده ليه؟؟

... ها شكلك حلووووي اوي بجد.. مكنتش متخيل انه هيطلع بالجمال ده كله عليك.

بجد؟؟ أنت بس عشان مش متعود تشوفني كده.

لا لا مين قال ان جمالك قل في عيني يوم؟! أنا بشوفك كل يوم احلى واحدة في الدنيا.. بس
انهارده... دلوقتي أنتي احلى من احلى واحدة في الدنيا.

لم أنتبه ابدا ان دقات قلبي قد تعالت بالفعل. لدرجة اني لم اتمكن من السيطرة على
رجفة يدي اكثر... كانت عيونه مثبتة تماما بعيني وهو يتحدث لدرجة شعرت اني اريد
الاختفاء تماما الان كي اهرب من هذا الموقف. ولكني ادركت ان منفذي الوحيد وقتها كانت
عينه بالفعل....

||| خليني اغيره بقه... ثانية واحدة...

لا لا... خليكي شوية كمان عشانني...

لم تخرج الكلمات منه فحسب. بل تفاجئت بي يسحبني ناحيته لدرجة انى اصبحت اتنفس معه نفس الهواء للحظات طويلة. ولم اجد طريقا للابتعاد عنه.

عمر...

لو تعرفي بحس بايه لما تنطقي اسمي... كأنه اتخلق في الدنيا بس عشان تقولي. معرفش اسمعه من حد تاني بعدها ابدا.

عمر لو سمحت...

قلب عمر...

امتزجت يدي بيده لحظتها حتى شعرت انها لم تكن لي قبلا من الاساس. اخذ يدي بيده وضعها على قلبه. كي اشعر ان نبضه يسري في عروقي أنا بينما ظلت عينه معلقه بي. تخبرني الكثير والكثير دون الحاجه ان ينطق هو بكلمة.

نور... أنتى عارفه أنا مستني اليوم ده من قد ايه؟ من قبل حتى ما تبقي على اسمي. وأنا بحلم باللحظة بس الي اقربك فيها وأنا مصدق كمان انك مش هتهربي مني. وان رعشة ايدك دي مش خوف مني... بالعكس ده عشان أنتى كمان حاسة حاجه ناحيتي زي مآنا حاسس تمام.

قال عمر جملته وهو يقبل يدي بين يديه. بينما غرقت أنا فيه تماما. كنت لا اعرف انه سوف يكون نجاتي ولكن لفترة من الزمن قبل ان يغرقني بنفسه.

أنا لو بخاف بخاف من نفسي يا عمر. خايفة يكون الي بيحصل ده مش حقيقي. اللحظة دي مجرد لحظة وتعدي. خايفة اكون الي بشوفه في عينيك كل يوم من شهور ده انعكاسي مش الي جواك أنت.

لم اشعر وقتها سوى بانى فقدت نفسي للحظات. ربما مرت علي كالخيال. حين تفاجئت بيه يقبلني بقوة بينما لم امنعه أنا ولم اتمكن من فهم ان تلك هي حقيقتي الوحيدة. التي لم اكون استطيع فهمها وحدي من قبل.

ودلوقتي؟؟ حاسة بايه؟؟

.... حاسة اني مش ع الارض. كأنك طائر بيا بعيد عن كل حاجه. كأننا اتنين لسه بشوفوا الدنيا انهارداه أول مره. حاسين انها مش غريبة عنهم.. بس كل حاجه دلوقتي ليها طعم جديد.... حاسة اني قوية... قوية بس عشان أنت جمبي.

.... يبقى كده مش ناقص غير حاجه واحدة بس.

حاجة ايه؟؟؟

اننا نبقي واحد...

صدقيني اتكلمت كثير.. لو تعرفي قلتك ايه مرة في قلبي من واحنا صغيرين. بس عارفه لو كنت ان في يوم م الايام ربنا هيسمع مني ويكتبك ليا بجد... كنت خبت كل الكلام الي في الدنيا عشانك أنتي بس في اللحظة دي.

..... عايزة أسالك سؤال؟

أسالي

وضعت يدي على قلبه كي اتحسس نبضه في عروقي مرة اخرى... وسألته:

أنت امتي حسنت كل ده ليا؟؟ يعني كأنك كنت بتتقصد كثير تخبي كل ده بعيد عن عينيك.. كأنك كنت خايف اشوفه أو اصدقاه... صح؟؟

اخذ نفسا عميقا شعرت انه يخرج من رئيتي أنا. بينما كانت يدي بين يديه بالفعل يقبلها بحنان... ليحبيني لحظتها...

يمكن معاكي حق... مش عارف خوف ولا حاجه تانيه... بس أنتي في قلبي من سنين كثير يا نور. سنين كنت اتمنى اقصيها معاكي وليكي... سنين مكنتش اعرف أو بمعنى اصح مكنتش فاهم اني هفضل اشوفك قدامي في كل حاجه... وانك هتبقى الحلم الي نفسي أوصله مهما حققت احلام تانيه... حتى وأنتي بعيدة مكنتش بعيدة عني... كنت يوم بعد يوم اجيلك عند الجامعة عشان اشوفك... كنت كل عيد ميلاد ليكي... اطفيلك شمعة واتملك امنية تحققيها. كنت كل يوم اتخيلك معيا وجمبي في تفاصيل حياتي ونجاحي وطموحي. مكنتش بخاف غير من اني اخسرك في يوم. ومكنتش بحلم غير بانني اشوفك قدامي وتبقي ليا....

تجمعت الدموع في عيني اثر كلماته. التي وجدت طريقها المعهود الي قلبي مباشرة. كان ينجح في غرس بذور حبه في قلبي مع كل كلمة يخرجها من قلبه الي... لتظل تنبت في قلبي زهور احلام لم اعيشها من قبل ولم اعرف انها ستظل معلقة في عنقه حتى تذبل على يده ايضا.

اكمل وهو يقبل عيني.. يمحو دموعي بلطف:

وانهارده بس... عرفت ان ربنا بيحبني أووي... وراضي عني أوووي. من أول ما خلى عيني تشوفك تاني يوم ما اتكبلنا نتوجع سوا... ونعيش حزننا سوا. لحد ما بقيتي بين ايديا دلوقتي...

قرب جبينه من جبيني نتلامس انفاسنا سويا. كي تمتزج ببعضها كما امتزجنا نحن قبلا... بينما كانت دموعي تنهمر على وجنتيه... طبع قبلته الحنونة على شفاهي. بينما لم تمر سوى لحظات حتى وجدت نفسي بين ضلوعه... يضمني بقوة مقبلا رأسي. حتى شعرت اني وجدت ضلعه الذي خلقت منه قبل سنوات طويلة.

....

تغير ذلك الرجل الذي كان يتمنى فقط وجودي بجانبه. تغير بعدما تملكني وضمن بقائي اليه... فكل ذلك لم يكفي ايضا. بل كنت اعرف انه يغمرنى فقط كي يبقى ملكتي بيده. كأنه يتقصد شعوري بانى الاضعف. بانى لا امك غيره. بانى لست لاحدا غيره.... كان يعبر عن كل ما تدري عينه وكلماته نهارا.. بيننا حين توصل ابواب تلك الغرفة. حين لا يتركنى للنوم وحدي... حين يشعرني بان لا يوجد مكانا بالعالم الان يأخذني منه. حين تشل يدي وقدمي فقط كي يتمكن منى هو.

احببته... لا انكر ولم انكر... تمكن منى. ومن قلبي ايضا. مع مرور الوقت احببت ذلك الشخص الذي ترك اثره في داخلي. وقعت في غرام الرجل الذي اصبحت ارى في عينه غضب محل الحب. كراهية محل الحنان. أنتقام محل الفرح. احببته قبل ان ادرك انه يوجعني. احببته قبل ان ادرك انه يعاقبني. احببته رغم ايلامه لي. وتركة تلك الالم لي فقط.

الاكثر غرابة ليس انى ادركت كل ذلك متأخره. بل انى تأملت ان يتصلح كل شئ حين شعرت ان هناك اثار اخرى له تتكون بداخلي. تخيلت انى سوف اتحسن حين يصبح لي شئ منه. نجح في شعوري بان لا هناك احدا اخر غيره في العالم. لا اعرف ا غباء هذا ام فقط قلة حيلة ام صغر سني وقلة خبرتي أو ربما جهلي. جهلي بكل شئ حولي قبل وجوده في حياتي وبعدها ايضا. لم يكن لدي يوما شخصا يعلمنى.

يشهدنى العالم.. تعلمت أول مشاعري مع عمر. و عشت أول كل أوجاعي معه ايضا... كنت اعتقد ان هذا هو الحب. وتلك الاثار هي تعبيره عنها. حتى وان توجعت قليلا... فهو يحبني. يكفي انه يشعرني با....

لا لم يكن يشعرني بشئ... فقط الالم. فقد اصبح عمر هو السبب الذي جعلني انسى ضربة مراد القاتلة لحياتي.

فبكل الاسف.... اتضح ان هناك ضربات قاتلة. وضربات وموجعة... فالأولى تنهى حياتك بشكل أو باخر. ام الثانية تظل تتخبط بك حتى تنهيك نفسك قبل انفساك.

....

حامل...؟

ايوه...

ضمتنى عليا بحنان كما تعهدت منها. كأن المكان لم يسع فرحتها لاجلي. حتى تمكنت من استجماع بعض الكلمات قائلة:

ياالله الف مبروك يا حبيبتي الف مبروك.

الله يبارك فيكي

الف حمد وشكر ليك ياارب... ياما أنت كريم يارب مش متخيلة خبر زي ده هيعمل ايه في ماما!

ماما يا الهوى دي تحت تعالوا دي هتفرح أووي.

اخذني عمر من يدي ركضا الي الطابق الاسفل حيث تجلس والدته. فبمجرد ان رأتنا هكذا مصطفين امامها... خلعت نضارتها بهدوء. تطلعت الينا في تعجب.

مالكو؟؟؟ واقفين كده ليه؟؟ خير يارب

مبروووك يا ماما.

مبروووك على ايه؟؟

هتبقى تينة يا ماما نور حامل.

ركض عمر الى حضن والدته يخبرها بهذا الخبر السعيد... بينما تفاجئت غالية كثيرا. فرحت بشدة. فرجت كثيرا شعرت بطاقتها تماما مثل بناتها. الا انها غالية المعتادة.. حتى فرحتها تكون بهذا الثبات والهدوء.

الف حمد وشكر ليك يا اارب.. مبروك يا احبابي الف مبروك... تعالي في حضني...

ضمتني وقتها بحنان الام الذي تعهدته منها.. لم انكر اني احيانا كثيره كنت اشعر اني افتقد ذلك الحزن.. تلك الضمة التي تعطيك الامان المطلق دون مقابل... لم اكن اشعر بفقدانها من قبل. حيث لم ارى امي ولم يضمني أبي ابدا.

لذلك كان شعوري السابق دائما اني لا اعرف ماذا تعني تلك الضمة بما اني لم اعيشها قبلا. ولكن الان... بعدما جربت ذلك الشعور الغريب. ادركت اني افتقد الكثير والكثير. حيث افتقدت كل شئ قد فقدته من قبل. فادركت ان فاقد الشئ قد يعطي بالطبع. ولكنه سوف يظل يفتقده كثيرا حين ذلك.

كنت قد اختبرت مشاعر كثيرة مختلطة في ذلك... مشاعر افتقدتها كثيرا سابقا. ومشاعر عشتها عن جديد معهم. السعادة, الامان, المشاركة, الاهتمام.

ولكن الغريب بالامر هو بعض المشاعر المشتركة مع حياتي السابقه كالوجع, والالم. وكلها سابقا كانت من نصيب أبي وابن عمي. والان اصبحت من نصيب زوجي.

....

مضت الشهور الأولى طبيعية. حيث حاول الجميع مساعدتي في الاهتمام بحملي. ليس فقط لانعدام خبرتي بالامر. ولكن حين اكد الطبيب ان هناك بعض الصعوبات التي قد نواجهها بطبيعة الامر بسبب حالة قلبي الصحية. وان كانت سابقا لا تظهر انها قد تؤثر على حملي. الا ان الوضع اختلف الان كثيرا. حيث تفاجئنا جميعا. باني احمل توأم في بطني. طفلين معا. قدر لي ان اعيش مصيرا مشتركا مع غالية لاجلهم. حيث كان الامر يدعو للسعادة مضاعفة بالطبع. ولكن كنا نحذر كثيرا اثناء تلك الفرحة. حيث توقف الجميع عند حديث الطبيب عن وجود بعض الخطورة التي قد توجهنا فيها بعد. صحيح انها مجرد احتمالات في الوقت الحالي... ولكنها تدعو الي الاهتمام الزائد بالتاكيد.

الحقيقة ان عائلتي لم يكلوا الامر ابدا. صحيح اصبحت اقول عائلتي الان اذن... حيث في اثناء حدوث كل ذلك واختبار كل تلك المشاعر الجديدة. ادركت امرا هاما جدا... هو عدم الربط بين عمر وعائلته ابدا.

فاختيه لم يكونوا ابدا سوى اختين لي ايضا. ومنذ اليوم الأول كذلك الامر بالنسبة لوالدته. حتى اسرة خاله أكرم... لم ارى منهم اي شئ منذ ان وطئت قدمي داخل هذا المنزل غير الاهتمام والمحبة والمسأوة...

وان كان عمر نجح في جعلي اشعر عكس كل ذلك. مع مرور الوقت... الا ان الحية تختلف تماما معهم. وخاصة في تلك الفترة.. التي لم تخلو بالطبع من رؤية وجه عمر الحقيقي. الذي لم يتمكن من اخفائه فقط لانه لا يتمكن مني طوال اشهر الحمل. ولكن لا استطيع ان انسى ابدا... تلك النظرات تلك اللمسات التي مع الوقت اصبحت لا اخشاها مثل قبل. استغرق مني الوقت كثيرا. حتى ادركت انه يتمكن من عقلي قبل نفسي ايضا. كان يحاوط كل افكاري ومشاعري حتى هوائي الذي اتنفسه. صحيح اصبحت لا اتنفس بوجوده. لم اعد اتنفس وجوده... فقط ادركت اني تحت رحمته. فقط ليس لانني احمل طفليه كما يقول دائما. ولكن لاني لا املك اي خيار اخر غيره.

" أنتى اساسا عارفه كويس انك هنا وبس... لا هتكوني في مكان ثاني ولا مع حد ثاني.. أنتى فاهمه"

اصبحت كل كلماته تقول نفس المعنى. اصبحت كل كلماته تؤدي الى نفس النتيجة. اصبحت كل لمساته وتعابير وجهه توصل نفس الرسالة... أنتى لي أنتى هنا أنتى بلا احد أنتى ملكي وحدي...

كانت الايام تسير بسرعة فائقة لم اكن قادرة حتى على ادراك ما يفعله بي. وتلاعبه بنفسي ونفسي هكذا... كنت خائفة كثيرا على أولادي. بينما اصبحت لا اخشه هو نفسه. اصبح وجوده لا يجعل قلبي يدق حبا.. ولا يدق خوفا.

فقط يدق... كأنه يخبرني فقط اني مازلت حية... لذلك استمري في المحاربة لاجل أولادك الان... ثم لنفسك.

قامتا الفتيات لاحتضان امهم وتقبيل رأسها بعدما تبادلنا بعض النظرات بينهما. بينما تفهمت أنا بالطبع وجهة نظرها التي اتفقت معي دون ان نتقصد ذلك. بينما كانت عيني لا تفارق عيون عمر كي افهم رد فعله لحظتها.

حيث ادركت انه وان اضطر ان يظهر موافقته على حديث والدته وتفهمها.. الا انه لم يتمكن هذه المرة من اخفاء استيائه قليلا. ليس فقط لاعتراضي على الاسم ولكن لانه ولأول مره منذ ان ظهر على حقيقته امامي. لن يتم شئ رغم هو بيه.

....

لم اكن اتوقع ان تمر شهوري الأخيرة في الحمل بهذه الصعوبة. حيث بمجرد ان دخلت شهري السابع. بدأت تظهر تلك الخطورة الذي سبق وحذرنا الطبيب منها سابقا. حيث كنت لا استطيع القدوم على قدمي اكثر من نصف ساعة متواصلة. حتى صعود ونزول السلم اصبح يشكل خطرا كبيرة علي. ومع مرور الايام كنت اتنفس بصعوبة كبيرة في بعض الاحيان.

كنت احاول الصمود دائما. ولكن بالطبع لم انجح في ذلك كثيرا. حيث كانت عليا ترافقني وتهتم بيه كثيرا في ذلك الوقت. بينما كنا نصر على هنا كي تهتم بدروسها فقط. لم تتمكن من تركي ايضا هي الاخرى.

كانوا يحاولون جميعا بث الطماننة بي. وعدم اظهار قلقهم امامي ولكنني كنت ادرك دائما ان حديث الطبيب معهم بعيدا عن مسمعي ينذر باشياء خطيرة دائما.. حيث كنت اتابع تعابيرهم وردات فعلهم معي بعدها. فادرك ان الامر يزداد صعوبة مع الايام.

الحقيقة ان الامر لم يكن مختلفا كثيرا بالنسبة الى عمر. فمع مرور تلك الايام الصعبة وسوء حالتي الصحية. اصبح يتجنب النظر في عيني كثيرا. اكاد اجزم اني لم اكن اراه معي بنفس الغرفة غير دقائق معدودة خلال اليوم. ولكني لم اعرف ابدأ وقتها لما شعرت ان سبب هذا هو تنأيب ضميره تجاهي قليلا. وليس شيئا اخر. ولكن بمجرد ان تخطر لي تلك الفكرة. اجد نفسي أسأل سؤال واحد... هل لديه ضمير بالفعل ايضا؟

لم احد اجابة وقتها. ولم اعرف لما كنت اشعر هكذا تجاهه في بعض الاحيان. هل غيابا مني؟ ام شفقة ناحيته؟ ام فقط تبريرا تلقائية مني لاني احبه؟

ليس حبه بداخلي اصبح ماضي؟ لا لم يصبح. لا لم اعرف ولا اعرف كيف وماذا حدث لي. فقط كنت اريد وضع أولادي بامان. ولكن لم الحق الاهتمام بهم اكثر حتى جاء ذلك اليوم.

ماااااا... مااما الحقني بسرعة...

مالك يا عليا في ايه؟؟

نور تعبانه أووي لازم تروح المستشفى.

خيبيير يااارب اللهم اجعله خير... حصل ايه؟

مش قادرة تاخذ نفسها وحاسه بالم الولادة كمان.

الستر يارب دي لسه مبقالهش اسبوع في التاسع... خليكي أنتي جمبها وأنا هطلب الاسعاف بسرة...

مش هنلحق نلظ الاسعاف... كلمي خالي يجي يسوق العربية بينا ناخذها احنا بسرة.

ايوه صح.... طيب خليكي معها.

تملك الذعر من الجميع في تلك اللحظة. بينما كنت لا استطيع التحكم في الامي اكثر. كنت اصرخ من الم ولادتي ولا استطيع التنفس بشكل سليم ابدا....

لم أنتبه كثيرا لما يحدث حولي. فقط كنت اعني نفسي قليلا لاجد ان الخال اكرم يحملني بيده للسيارة. ثم ان اجد عليا بجانبني وغالية يتحدثوا بذعر شديد. ثم وجدت نفسي على سرير المستشفى احاول التنفس بمساعدة قناع الاكسجين. لاغيب قليلا عن الوعي بعدها... ثم حين عدت للنفس. وجدت الطبيب يقف بجانبني والذعر يظهر على الجميع ايضا.

هو ايه الي حصل؟

حمد الله على سلامتكم يا مدام نور. متقلقيش الحمدلله احنا سيطرنا على مشكلة التنفس دلوقتي.. والوجع الي جالك.

يعني أنا هولد دلوقتي...

..... الحقيقة أنا بلغت استاذ عمر كمان. كل ما مر معنا وقت في التاسع بيكون افضل. عشان كده هتفضلي معنا انهارده ليكرا كمان. وهنتابع الوضع كل ساعة.

شكرا يا دكتور.

خرج الطبيب من الغرفة بعدما زرع قنبلته بيننا تماما. ادركت انه اخبر عمر بعض الاشياء ايضا اثناء اغمائي قبل قليل. لذلك كان عابسا لهذة الدرجة. أو أنا من شعرت هكذا فقط. لم اعرف... فقط حين توجههمر خلف الطبيب للخارج. شعرت انها اللحظة المناسبة كي...

عليا... خليكي شوية من فضلك.

.... نعم يا حبيبتي عايزة حاجه؟ موجوده أو حاسه بحاجه؟

لا لا عايزة اتكلم معاكي في حاجه ضروري.... قبل ما عمر يرجع.

تطلعت عليا خلفها لتجد ان عمر بالفعل غاب عن الغرفة. لتقترب قليلا مني وتجلس بجانبني.. تحضتن يدي بيدها.

قوليلي حاسه بايه دلوقتي؟؟ متقلقيش الدكتور طمنا هو بس شايف انه...

عليا...

يعني هو ادري طبعا.. بس ماما بتقولني ان الحاجات دي طبيعية..

عليا...

عارفه اكيد عشان أول مره بردوه...

عليا اسمعني... مفيش داعي تتمسكي دموعك قدامي. ولا تظهري قوية... اما عارفه كويس أنتوا عارفين ايه بقالكوا شهور.. وأنا مش معترضة كله مقدر ومكتوب. بس في حاجات كده لو محصلتش فجاة. تفقد حكمتها. وحكمة ربنا في الموت والحيا كبيرة أوي. هو بردوه الي بيقدر لحد يفهمها وحد لأ.

..... كلام ايه ده بس؟ موت ايه متفكريش في حاجه خالص... صدقيني هتبقى احسن وهتخرجي أنتي و ولادك بخير وسلام. متخافيش من حاجه.

أنا مش خايفه يا عليا.. والله ما خايفة. كل الحكاية بس اني عايزة اطمن. اطمن على ولادي. وانهم يبقوا احسن مني. ومش بس بصحة كويسه.

ياحبيبتني باذن الله هيطلعوا احسن ناس في الدنيا.. وايه الي يمنع كده اصلا؟ أنتي امهم وعمر ابوهم واحنا كلنا اهلهم وجمبهم... هيطلعوا وحشين لمين بقه؟؟

.... عايزة اطلب منك حاجه يا عليا... اعتبريها وصيتي الأخيرة.

.....

اسمعني من فضلك.. عشان خاطري.

عايزيكي أنت تخلي بالك منهم يا عليا. ربيهم أنتي صح يطلعوا زيك و زي هنا... حنيتكم هتطلعهم ناس احسن. وتعوضهم عن قدر وحش ممكن يصيبهم.

عمر... اخوكي مش حنين يا عليا. مش زي ما أنتي شايفه. يمكن يكون اخ كويس وابن محصلش... بس لا كان زوج كويس ولا هيكون اب محصلش.

أنا عارفه كويس. يمكن قدرت اعرفه اكثر من نفسه كمان. شفت وشه الي محدش شافه... أنا مش بقولك الكلام ده عشان اقسكي عليه. بس أنتي كنتي اختي الي مكانتش عندي. ولو كان ليا اخت فعلا كنت هقولها هي الكلام ده.

من غير دخول في تفاصيل كثير. الي بيني وبينه هيفضل كده مهما حصل.

بس ولادي مش عايزهم يعيشوا اي حاجة م الي عشتها. مش عايزهم يضطروا يكرهوه
في يوم م الايام. خليكي أنتي جمبهم أنتي تعرفي تكوني ام وصاحبة جدعة واخت قريبة ليهم.
عارفه ان ليكي حياتك وهيبقى لك بيتك. أنا بس مش طالبة منك غير ان اترك يفضل في
حياتهم. يفكرهم لو هينسوا. ويقويهم لو وقعوا....

لو جوالي حاجة... ارجوكي اعتبري ده أول واخر طلب مني.

بكيث عليا... بكيث كما لم تبكي من قبل. بكيث وهي تحضنتني بينما كان بكائها هو
اسمى رد على مطلبي منها. ولكن لم تكن وحدها من تبكي في تلك اللحظة.

هناك من كان يشاركنا الحديث خلف الجدار بجانب باب الغرفة. فعمر لم يرحل مثلما
تخيلنا. بل بمجرد سماعه اني اريد التحدث مع عليا بشكلا خاص. ادرك ان هناك امرا ما.
اختبى وراء الجدار بحيث لا يظهر لنا وبقي باب الغرفة مفتوحا. فظل ينصت بعناية الى كل
كلمة تحدثنا فيها سويا.

بينما لم يتمكن من تمالك نفسه هو الاخر. جلس ارضا والدموع تنهمر من عينه. بالفعل
تألما من ضميره. حيث ضربت كلمات جدارن قلبه. لدرجة انها تمكنت أخيرا من كسر حاجه
عينه. وافلتت زمام دموعه.

....

(٢١)

مرت الليلة الأولى بصعوبة. فبينما كانت غالية وهنا وعمر يتنابوا على زيارتي. لم ترد عليا تركي ابدأ وفضلت البقاء معي بالغرفة ليلتها. كان الجميع يدخل ويخرج علينا كل ساعتين. فان ذهبت غالية انت هنا. وان ذهبت هنا اتى عمر. بينما بقيت أنا غائبة عن الوعي طوال الليل. حتى وان كنت اتوجع كثيرا وقتها. ولكن كنت اتوجع في صمت بفعل الادوية والعلاجات الذي كانوا يسكنونني بيها طوال الليل. حتى جاء الصباح سريعا... استقيظت عليا من نومتها لتجدني غارقة في النوم دون حركة. بينما لم يستغرق الامر منها لحظات لتدرك انى لا انتفس. فقط كالجثة امامها.

استنفرت كل المشفى سريعا اثر صراخها. حتى جاء الطبيب يخبرهم بسرعة اخذي الي غرفة العمليات مباشرة فلم يعد بامكاني الصمود اكثر ولم يعد بامكان أولادي الأنتظار اكثر. لم يستغرق الامر اكثر من دقائق.. حتى تجمعت العائلة سريعا امام غرفة العمليات. بينما كنت أنا لا ازال فاقدة وعيي. فبدأ الاستعداد لولادتي على الفور.

بينما خرج الطبيب اليهم للمره الأخيرة. كي يتخذ عمر قرار هاماً. كان قد وضعه الطبيب امامه كاحتمال فقط قبل شهرين.

من فضلكوا اهدوا... ان شاءالله احنا بنستعد حالياً لتوليد مدام نور. بس جيت ابلكم لآخر مره الموضوع هيمشي ازاي.

ظمني يا دكتور ارجوك.. هتبقى كويسه؟؟

الحالة مش سهلة يا مدام غالية زي مانتني عارفه. احنا كنا بنحاول نقويها شوية ايام زيادة بالادوية. لكن الحقيقة مكنتش متوقع ابدأ انها متمحملش اكثر من ليلة... وبما انها دخلت في كومة تقريبا. يبقى مش هتقدر تتحمل الم الولادة اكثر من كده... طبعا بنسبة تتعدى الـ ٩٠% هتكون ولادة قيصرية.

.... ايه؟؟؟ هتفتحوا بطنها؟؟؟

من فضلكم متقلقوش ... عملية ولادة التوائم دي مش حاجه جديدة علينا. واغلب الولادات تقريبا بتتم كده... عشان طبعا نلحق الام. وكمان منقدهش حد من الولاد... بس في حالة مدام نور الموضوع مختلف شوية...

أنا كنت بلغت استاذ عمر بيه قبل كده كمجرد احتمال. بس الحقيقة كل البوادر قدامي دلوقتي بتقول انه مش هيفضل احتمال كتير... عشان كده جيت اخذ موافقة من الاب على الاقرار الي هيجيله بعد شوية.

..... بلغت بايه يا دكتور؟؟؟ عمر؟؟ بصلي هنا أنت كنت عارف حاجه ومخبياها.

اهدي يا مدام غالية.. أنا مقدر صعوبة الموقف. بس صدقيني كل دقيقة دلوقتي بتعدي على مدام نور والطفلين بتزود الخطورة... عشان كده لازم اعرف قرارك دلوقتي يا استاذ عمر... لو اضطرنا نختار تحت اي ظرف م الظروف. نختار مدام نور؟ ولا الطفلين؟؟؟

وقعت الصدمة كالصاعقة على الجميع. حيث لم تحتلم الفتيات ابدا. فضموا بعضهم حزنا. بينما كانت غالية تحاول استعياب ما قيل لها للتو. ام عمر فكان خاليا من اي شعور. فقط ادرك ان الامر تخطى مرحلة الالم ضميره فقط. فالان هناك الم لا يحتمل تملك صدره وقلبه... جعله يشعر بانه هو من يلفظ انفاسه الأخيرة.

..... عمر؟؟؟ رد ع الدكتور يا عمر.... رد قوله هتضحى بمين فيهم؟؟ مراتك ولا ولادك؟؟؟
رد رد يا ابن بطني ررررر

لم يتمالك عمر نفسه ابدا امام والدته. افلت نفسه بصعوبة من قبضتها له. حيث ابتعد خطوات عنهم يفكر. كأن عقله لم يعد بمكانه ابدا.

الأنا اسف يا جماعة بس حقيقي الوقت مش في صالحنا ابدا... لازم تقرر يا استاذ عمر.

احتل الصمت وصوت البكاء الشديد فقط المشهد للحظات. كانت عينا الجميع معلقة بعمر. بينما كانت ترن كلماتي الأخيرة في رأس عليا. ظلت تتطلع بأخيها كأنها تستجده.... فتركت حضن اختيها وذهبت ناحيت تمسك بيده قائلة:

.... عمر... حبيبي توائي ونصي الثاني... ارجوك فكر. مينفعش تخسر حد فيهم. بس الموضوع مش ايدنا دلوقتي. لو حاسس انك بتتعاقب دلوقتي. مينفعش تعاقبهم هما معاك... مراتك قوية. بس ولادك بردوه لازم يبقوا اقوى.

ووأنت دلوقتي الي مطلوب منك تديهم القوة دي. ارجوك اقف على رجلك وخليك جمبهم. أنت الوحيد دلوقتي الي تقدر تساعدهم. عشان خاطري...

.... أنا خايف أووي يا عليا.... مش عايز اخسر حد ثاني... مش عايز اخسرهم ثاني....

لم يفلت عمر زمام دموعه فقط. ولكن هذه المره لم يتحمل البقاء داخل زي الرجل الذي لا ينهار اكثر. فترك نفسه لحضن اخته لعله يجد اي اجابات تريحه ويأمنها. وسط كل هذا العذاب...

ظلوا هكذا لحظات... بينما كانت عينا غالية وهنا لا تفارقهم والدموع تنهمر بشدة من عيونهم. استجمع عمر نفسه قليلا. وتمكن أخيرا من الوقوف على قدميه. اخذ بيد اخته. وذهب باتجاه الطبيب....

....

الولاد... اختار ولادي يا دكتور.

وقعت الدهشة مرة اخرى على وجه الجميع. بينما لم يتمكن احد من فهم ما يدور برأسه. تحدثت غالية بعنف قائلة:

اايه الي أنت بتقوله ده؟؟ أنت اتجننت

لو سمحتي يا امي... أنا عارف أنا بعمل ايه. اتفضل يا دكتور ارجوك بلاش نضيع وقت اكثر من كده... وأنا همضي ع الي أنتوا عايزينه. بس اطمن عليهم الأول.

ركض الطبيب الى الداخل فوراً. ليبدء العملية كي لا يضيع الوقت اكثر هباء. بينما تعلقت غالية بياقة ابنها على الفور والغضب يشتعل في رأسها.
اايه الي أنت عملته ده؟؟ ازاى تضحى بمراتك بالسهولة دي.

....

رد عليا...

لم يتحمل عمر اكثر. فاكمل الصراخ هو. ولكن هذه المرة تجاه نفسه قبل الاخرين.

عايزني اعمل ايه يعني؟؟؟ الأنتى مش عارفه أنا حاسس بي بقالي شهرين... كل يوم مكنتش بفكر ف حاجه غير لو الاحتمال ده بقى حقيقة. هعمل ايه؟ هنقذ مين فيهم؟ هضحى بمين فيهم؟؟؟ مكنتش قادر اشيل لوحدي ياامى.. تعبت... كنت بهرب منها ومن عينها بس عشان متفهمش اني خايف.

خايف عليها ومنها. خايف اخسرها بعد اما لاقيتها. واخاف اخسرها لو خسرنا ولادنا احنا الاتنين. اعمل ايه؟؟؟ لو حاسه بيا فعلا كنتي فهمتي انه مش بمزاجي. زي ما كل الي حصل من سنة مكانش بمزاجي.

..... ليه مقولتش لحد فينا لما الدكتور قالك؟؟ ليه مخلتهاش هي تختار؟

قولي دلوقتي. هتقدر تتحمل ذنب الي هيفضل فيهم. هتقدر تتحمل ذنب ولادك يعيشوا مصير امهم؟ ولا امهم تعيش امك أنت؟؟؟ قولي يا ابن بطني....

هتعرف تعيش زيها ولا زي أنا؟؟؟ هتقدر تقف على رجلك بعد انهارده وأنت مكانها ولا في مكاني أنا؟؟؟ رد رد عليا زي ما ردت على الدكتور كده واديته فرمان الاعدام رررررد.

..... أنا مخترتش ولادي عشان اتخليت عن نور. أنا اخترت ولادي عشان عارف انها لو في مكاني هتعمل كده بالظبط... أنا متأكد انها قوية. اقوى مني مية مرة. الي توصل للانهارده بعد كل بعد كل ده تبقى قوية مية مرة. نور هتحارب عشان نفسها عشان تعيش. بس ولادي.... دول اضعف بكتير من انهم يخشوا الحرب دي اصلا. حرب الحياه والموت.

نور هتعيش.... هتعيش عشان ولادنا. هتعيش عشان تقف قدامي وتعاندي. هتعيش عشان هي الي تستحق تعيش.

لو كنا بنعيش انهارده قبل سنة من دلوقتي... يمكن مكنتش اخترت نفس الاختيار. بس أنا فهمت... فهمت بعد كل الوقت ده. انها احتملت كل حاجه عشان قوية عشان قادرة تعاند في الدنيا وتدوس عليها... الي كانت روحها في اخوها عرفت تعيش من بعده يا امي. الي حزنت على ابوها الي مكنش حتى يببص في وشها عرفت تعيش من بعده... الي قلبها كل يوم كان بيقولها بصي أنا مش هيفضل ادق كثير.... فضلت عايشة وهي بتعاند مرضها كل يوم يا امي.

تفتكري دلوقتي مستنية كلمة مني عشان تعيش؟ مستنية امضا عشان تقاوم... لا يا امي نور هتعيش... هتعيش عشان... عشان أنا مقدرش اعيش من غيرها يا امي... مش هقدر اعيش يوم واحد من غيرها.

كانت كلماته الأخيرة تختم تلك القوة الذي تمكنت منه هكذا. فوجد نفسه بحضن امه بيكيان سويا وبيكيان أخته معها. اللتان لم يتحملا ايضا. وانضما الى ذلك الحضن باحثين جميع عن بعض السكنية الذي قد ذهب عنهم قليلا. اثر ذلك اليوم الصعب.

...

لم تكن العملية سهلة ابدأ. حيث قد استغرقت اكثر من ساعة. لم يخرج اليهم خبرا فيها. ولم تمر عليهم هادئة ابدأ. كانت غالية غارقة في قراءة القرآن تحاؤل الصمود قليلا بعد كل ما حدث. بينما كانت هنا تستند رأسها على كتفها محاولة ايجاد بعض السكنية هي الاخرى. كانت عليا لاتزال واقفة في توتر.. لا يوجد على لسانها سوى مناجاة الله بين الحين والآخر. بينما كان عمر جالسا ارضا يسند رأسه على الجدار في احباط وخوف.

مرت الساعة الثانية وهما على نفس الحال. لم يتغير شئ ابدأ... بينما أوشك الوقت على تخطي الثلاث ساعات... خرج الطبيب أخيرا. بينما كانت حالة الجميع مرثية بالفعل. حيث دبت الروح بيهم أخيرا... فوقف عمر امامه على الفور. وكان أول ما سأله.

ظمني يا دكتور لو سمحت؟؟؟ عايشين؟؟

..... الحقيقة مش عارف اقولكم ازاى.. بس زي مانتوا شايفين طبعاً العملية مكناتش سهلة على الاطلاق. مدام نور الحقيقة اظهرت قوة غريبة مكنتش متخيل انها تتحمل عملية حرجة زي دي... بس الحمد لله الولادة تمت بخير...

اقدر اقولك مبروك يا استاذ عمر جالك بنت و ولد زي القمر... الف مبرووووك.

انفرجت اسرير الجميع على الفور. حيث وصل صراخ الفتيات فرحا الى اخر المشفى. بينما كانت غالية منشغلة بحمد ربنا على نعمته... واحتضان ابنها بعدما تم الافراج عنهم أخيرا خلال تلك اللحظات. الا ان هناك شيئاً اخر قد بقى....

الحمد لله يارب.. الف حمد وشكر ليك يا ارب. طب ونور يا دكتور ظمني ارجوك.. عاملة ايه دلوقتي؟؟؟

....

خير يا دكتور سكت ليه؟؟؟ يعني كلامك دلوقتي ميدلش ان في حاجه وحشة ابدأ.. مش كده؟؟
طمنى ارجوك.

الحقيقة مدام نور قاومت كتير فعلا... والولادة نفسها مكنتش سهله ابدأ وكنا محأوطنها بكل
الاحتيطات اللازمة تجنبنا لاي مفاجاة. ولكن.....

بس ايه يا دكتور؟؟

بعد الولادة على طول.. دخلت في غيبوبة مفاجاة.... وللأسف مش معروف ابدأ هتقدر
تفوق منها امتى..... بس بشكل مبدئي اقدر اطمنكم بنحأول نسيطر على نشاط قلبها حالياً.
وبصراحة هو ده الي يطمن.. بعد المجهود الجبار الي بذلته اثناء الولادة. طبيعي جدا يبقى
في اضطراب حالياً. انما متقلقوش كل حاجه تحت السيطرة باذن الله.

كانت تقع الكثير من المعلومات على مسامعهم. لدرجة انهم لم يشعروا سابقا بكل تلك
المشاعر في ان واحد ابدأ. بينما كانت الفرحة قد احتلت وجههم ولو قليلا. الان اصابتهم
الدهشة وبعض الألم ايضا.

..... لا اله الا الله... لله الامر من قبل ومن بعد.

..... اقدر اشوفها امتى يا دكتور؟؟؟ ارجوك عايز اشوفها.

مفيش مشكلة.. نطمن بس على اخر التطورات. وهتكون تحت الملاحظة بشكل دائم. وهبلغ
حضرتك على طول.

ضمت غالية ابنها مرة اخرى. ولكن هذه المرة كي تطمئنه حقا وتدعمه بكل قلبها.
متقلقش يا حبيبي. كل حاجه هتبقى كويسه.. الحمد لله على كل شئ. ربنا قادر يغير من حال
لحال يا حبيبي سيبها على الله.
يا ارب يا امي يارب.

كانت ليلة صعبة بالفعل. ولكن مقارنة بما قبلها فهي تعتبر الاسهل ايضا الى حد ما.
اصبح بامكان الجميع ان يضحك قليلا عند رؤية وجه الطفلين في غرفة الحضانة. بينما كان
الجميع قلقين ايضا على حالتني. الا انهم تمكنوا أخيرا من تنفس الصعداء ولو لبعض الوقت.
فكان الجميع يتناوب بيننا كالعادة. حتى جاء المساء واراد عمر البقاء بالمشفى معنا.
وذهب البقية الي البيت. لعلهم يرتاحوا قليلا. ويتمكن هو من ايجاد سكينته قليلا بجانبنا أنا
وطفليه الان.

متأكد انك مش عايز حاجه؟ مش عايزيني افضل معاك بردوه؟؟

لا لا روعي أنتي ارتاحي.. أنتوا كللكوا اتهلكتوا اليومين دول... خليني أنا معهم انهارده.

هههههه معهم؟؟ فهمت دلوقتي ياترى؟؟

ههههههه فهمت... بقينا اربعة خلاص.

جلس عمر بجانبني ينظر الي يدي ينتظر اي اشارة منها. بينما ظلت عليا هي الاخرى تراقب الامر الا ان حين مرت دقائق لم يحدث بيها شئ. تراجع عمر أخيرا. وترك يدي يحأول الوقوف على قدمه في ثبات حتى....

.... اتحركت يا عمر.. ايدها اتحركت فعلا.

الايه؟؟ أنت متأكده؟

اه والله أنا كمان شفتها... اتحركت وأنت بتقوم.

ياالله يعني سامعنا فعلا صح سامعنا يا عليا.

ايوووه الحمدلله الف حمد وشكر ليك يارب... كلمها يا عمر كلمها ثاني اكيد هتحس...

.... ياااارب.... نور أنتي سامعني صح؟؟ عايزة تقولي انك سامعنا. أنا فهمتك والله... أنا هنا وعليا كمان هنا هي.... ولادنا كويسين أنتي بقيتي ام يا نور. بقينا اب وام أخيرا. جبنا تيمور وتارا. سمتهم زي ما كنتي عايزة.... الأنتي كويسه صح؟؟

نزلت بعض الدموع من عيني وقتها. الا ان حركة اصابعي اثر كلمات عمر هي التي زادت حماسهم اكثر. حين تأكدوا من اني اسمعهم بالفعل.

نظر عمر الي عليا متحمسا. بينما ادركت عليا الامر وتحمست هي الاخرى. ليتابعوا حركة يدي وعيوني سويا لدقائق.

....

لم تكن الساعات التالية سهله على الاطلاق. فحماسة عمر وعليا لم تهدأ ابدا. فلم يتمكنوا من تركي ابدا. ولم يمنعوا هذا التطوير عن بقية العائلة ايضا. حيث بمجرد ان اخبرت عليا والدتها بما حدث. جاءت هي وهنا يحملوا الطفلين على ايديهم راكضين فرحا. فتجمع الجميع فوق رأسي داعين الله ان يتم شفائي تماما و افيق من نومتي أخيرا.

وبالفعل.. بمجرد ان بدء بكاء الطفلين معا بالغرفة. تحركت يدي مرة اخرى ولكن هذه المرة كانت حركتي اقوي من المرتين الماضيين. فأنتبه عمر الى ذلك. بينما كانوا البقية يحأولون الاهتمام بالطفلين. فتحمس سريعا قائلا:

الاستنوا. محدش يسكتهم نور سامعهم صوتهم بيحركها... خليه شوية.

بس يا حبيبي كده...

عشان خاطري يا امي دقيقتين بس... نور حاسه بيهم. ارجوكي.

بالفعل لم يحأول احدا منهم اسكات الطفلين. بل قريهم مني اكثر. حتى بدأت حركتي تزيد. وتزايد انفعالي وتأثري بهم كثيرا... فلم تمر سوى ثواني معدودة حتى...

..... ولادي...

نور.... أنتي سامعني.

شكرا يا طنط. بس الحمد لله أنا احسن دلوقتي. وكده كده لسه يوم الخميس بعد ثلاث ايام. ففي وقت مفيش مشكلة.

تبادلنا الابتسام سويا. ثم وجدتها بجانبى مرة اخرى تضمني اليها. كما اصبحت الحالة بيننا منذ ان خرجت من المشفى. كانت تشعرني بحنأنا غريب لم اعتده ابدأ. ولم اعرف له معنى من قبل.

لم يعد الامر غريبا علي. ولم يعد يشعرني بانى غريبة عنهم. فقط بدأت افهم ان جدران هذا المنزل تحتلني بداخلها اكثر من اى مكان اخر. رغم رؤيتي الكثير والكثير في منزل والدي. كنت اظن ذلك...

حتى وجدتني اعيش الاكثر هنا. بين جدران هذا المنزل. اختبرت مشاعر جديدة. ومختلفة كثيرا. كنت ظننتني ادركت نفسي من قبل. حتى ادركت هذا البيت. ادركت انى هنا تألمت وضحكت وخفت وعشت اكبر لحظات ضعفي. وعرفت اكبر لحظات قوتي ايضا. وجدت نفسي بين اصوات بكاء اطفالي. ووجدت قوتي في وجه والدهم.

....

مرت الايام التالية سريعا حيث بدأت تجهيزات سبوع الطفلين وجاء الخميس سريعا. كي يتجمع الناس بمنزلنا تماما كما حدث من قبل. كان الزحام يملأ الارحاء الاطفال متجمعين. الاقارب سعداء. الجميع ترتسم على وجههم بسمة جميلة. فرحا بينا وبأولادنا. حتى انى لم اشعر بالوقت ابدأ. فقط بعد عدة ساعات بين الناس. وجدت نفسي اتذكر تلك الليلة. وجدت ذلك الزحام يذكرني بالليلة الذي ظننت فيها ان كل شئ قد أنتهى.

تلك الليلة التي اختطفت عليا فيها وأنتهت بالقاء القبض على مراد. تلك الليلة الذي كانت اجوائها تشبة الليلة تماما. فقط الفارق الوحيد ان هذه الليلة أنتهت على خير. والجميع سعداء ومع بعض. وليس كبعض ليالينا السابقة ابدأ.

كان يوم حلووو أوي.. بقالي كثير مشفتش بيتنا زحمة كده.

.... ايوه صح.

حباااايب بابا بكرا يشوفوا الصور دي ويفرحوا بيها زينا كده.

كنا بغرفتنا سويا. أحاول تنويم الطفلين حتى جاء هو يتحدث بفرح عن تلك الليلة الذي أنتهت قبل دقائق فقط. كنت استمع اليه وأنا اعرف انه سوف يصل الموضوع الى مكانا اخر تماما. اصبحت ادري الى اين تصل افكاره دائما قبل حتى ان يتحدث بيها.

فقط حاولت الخروج من الغرفة. حتى وجدته يمسك يدي كي يوقفني قليلا. بينما شعرت ان يدي تحترق بين يديه لحظتها. قال:

نوور... رايحة فين؟

..... ااا رايحة اشوف البنات. عشان العيال مصيحوش من صوتنا.

كلام ايه؟؟

كلامك. يوم المستشفى يوم الولادة قبل ما....

ايوووه افكرت.

نور... عمر بيجبك بجد. مش عارفه اقولها لك ازاي. بس لو تعرفي كان عامل ازاي في الوقت الي كنتي فيه في المستشفى. لما الدكتور قالنا ان الوضع محتاج اختيار منه. أنا لأول في حياتي شفت اخويا عامل كده.

عارفه اني قاتلك الي حصل قبل كده. بس مش عارفه ازاي رغم كل ده بيبقى في حاجات تانيه متحكمة فيكو؟؟

..... الي بيني وبين عمر صعب جدا اني اشرحه في كلمات.. صعب اني اختصره في وصف أو مجرد حالة. أنا حاسة اننا في حرب. حرب كل يوم بتخلص علينا ومجبرة انك كل يوم تقومي تاني تكملها. طاقتك خلصت بتسحقنيها وتقومي تاني. تعبتني لازم تمسكي كل اسلحتك وتقفي. حرب مش هتخلص حتى بان واحد فينا ينتهي...

ايوووه بس أنتوا بتحبوا بعض بجد... أوعي تنكري ان مشاعركم متبادلة.

مبكرش.. مين قال اني بهرب من مشاعري. أو مش معترفة بيها. بس هو بردوه مين قال اني بحاكمه عليها.

أنا بحاكمه على الي ببيان في عينه هو يا عليا. الي شفته من سنة ونص. والي بقيت بشوفه من شهر كتير. الي قدر يخيلني اصدقه. ومبقتش عارفه عشان كان صادق فعلا ولا عشان بس أنا اصدقه. والي بقى بيخيلني اعيشه كل يوم من بعد ما بقي...

اظهرت عليا تفهمها المعتاد الذي كانت ومازالت تحاوطني بيه منذ أول يوم لي بينهم. بينما كنت احاول البقاء داخل حدودي الزوجية. الا اني بالفعل شعرت بان حتى الكلمات لم تعد تكفي لذلك.

.... أنا فاهمكي والله العظيم فاهمكي.. بس عشان فاهمكي بقولك أنتوا بس محتاجين شوية. يمكن ملحقوش تفهموا بعض اكثر عشان كل الي عشنا وقتها بردوه.

.... فاكرة أول مره قلبك دق فيها؟؟

نور لو سمحتي...

أنا مش بفكرك بحاجه والله ولا قصدي اقلب عليك الي فات.. بس عايزة اقولك.. وارجو ان
قلوبنا تدق. بس ده مش معناه ابدأ اننا بنحب بجد.

اخوكم بيحب... بس حبه بيوجعني. حبه بيخلني اعرف ان دقة قلبي لي مكانتش كفاية عشاق
اتقبله.

صمتنا كلاًنا. دخل الصمت بيننا بعدما كنا نستطيع التحدث باي شئ وبكل شئ. تمكن
الصمت منا سوياً لأول مره منذ زمن. لم تكن عليا تمكنت من نسيان تلك الليلة والمشاعر
الغريبة التي اجتحتها ابدأ وقتها. ولم يكن الزمن قادراً ابدأ على مودأوة كسرة قلبها الذي
تمكنت منها تماماً منذ تلك اللحظة.

كانت تعرف اني لم اتقصد تجريحها. ولكنها ادركت ايضاً مدى عمق جرح أخيها بي.
لدرجة ان اعود الحديث عن تلك الليلة مرة اخرى هكذا.

....

كنت اعرف دائما انه لا يوجد شئ اسرع من الوقت. كنت اندهش دائما وافكر كيف يمر من فوقنا هكذا وان كنا حطاما؟ كيف يجهل من كل ماضي ذكريات؟ وكيف يجعل ما هو اتى خيال؟

اياما مرت كلحظات وشهورا مرت كالايام. حتى ان السنوات اصبحت تدور وتعود اليينا في المرأة, وجوه اطفالنا, عيوننا الحزينة, وحتى تلك الشعرات البيضاء التي احتلت رأس بعضنا.

اليوم مضت خمس سنوات. مضت على كل شئ.. زواجي , فقداني الأول, نضجي الأول حتى يسعني القول عمري الذي مضى تحت مسمى الارقام. بالتأكيد ليس تماما, ولكن يوم بالزيادة أو بالنقصان لن يغير الكثير. الوقت باكملة لا يشكل فرقا في حالاتنا. بالاصح لانه ليس يوم واحد الذي غير حياة الجميع هنا .. بل هي ايام قدرت ان تأتي متتالية لتبدل حالنا لحالا اخر.. فالايام والتواريخ ليست مشكلة. على الاقل كلا منا ينظر بالتحديد الي ذلك اليوم الذي غير حياته.. الشئ الغريب ان يكون الشئ الوحيد المشترك بيننا كلنا هنا هو فقط التاريخ. كلا منا لديه يوم يتذكره , كلا منا لديه قبل هذا اليوم وبعد هذا اليوم الخاص به , ولكن الشئ المشترك هو عيشنا جميعا تلك الالم بالتاريخ نفسه.. مجرد تاريخ عدة ارقام جمعت لتغيرنا جميعا..

أو ربما لتجمعنا بعدها كي لا نفترق ابدا رغما عن المسافات والفروقات. الشئ الاكثر الغرابة هنا هو ان كل ما حدث صار أولا لنفترق فكيف لنا ان نجتمع اذن؟ من منا كان يخطر بباله ان هذا الشخص سيكون قدره للابد؟! من منا اختر ان يفقد احد ليجد احد اخر؟؟ هل كان حقا هذا الشخص الاكثر احتياجا له في تلك اللحظة.. هل الخيار كان لنا ام فقط تواجهنا له؟؟ فاذا كنا مخيرين كيف اخترنا الفقد والوجع والفراق أولا؟؟ و اذا كنا ميسرين كيف لم ننتبه الي كل هذه العلامات عندما اجتمعت امامنا بل وجدنا انفسنا بداخل سلسلة من التوابع حتى اننا لم نفهم اين البدايه؟ وكيف هي؟ أ كنا فيها وعيشنا حقا؟ ام فقط هو قضاء الله وقدره الذي جعلنا نتخطى البدايات فقط حتى نبدء في غزل جديد في هذه السلسلة الكبيرة؟ بالتأكيد هو قضاء الله وقدره في كل شئ نعيشه ومضى ايضا. أنا اثق في ذلك تمام الثقة , ولكن ماذا عن الشئ الخفي دوما في قضاء الله . ذاك الذي احيانا لا ينتبه له بعض الناس ايضا الا بعض المحظوظين دوما أو دعونا نقول بعض الموقنين في الله ادق.. هو اللطف . لطف الله عز وجل في قضائه وقدره فدوما ما يصطحبا معا حينما ينطلق واحدا منهم ليستكنا سويا في الارض وينفذا امر الله في اهله.

فهذا تماما ما حدث معنا جميعا هنا. قضاء الله ثم لطفه الذي احاط بينا جميعا كي تمر بنا الايام وصولا الى هذه اللحظة تماما .. اليوم هو ٢٠٢١/٨/٢٢ اليوم هو الذكرى الخامسة على زواجي , هو الذكرى الخامسة على اخر واهم يوم في حياتي , اليوم هو يوم حزين على عائلة زوجي لفقدنهم عزيزا اخر فيه هو خال زوجي الكبير بعدما توفه الله صباح اليوم في فراشه ف بيته وسط اسرته الكبيرة والصغيرة. لكي يختتم حياته الدنوية القصيرة على الارض ليلقي رب العباد.

ولكن ما حدث بالماضي مضى وانتهى. والان نعيش جميعا توابعه معا .. فمع وفاة الخال أكرم اليوم. كانت لدي خطط اخرى ايضا. الغريب هنا هو نفس دهشتي الذي اصبتني تماما قبل خمس سنوات. الدهشة التي حأوطنتني عندما ادركت اني الوحيدة التي دفعت الثمن ليس لاطئانها بل اخطاء الاخرين. فالان وقد عزمت على خطوة لا بد منها كي احسم شيئا اخر في حياتي . شيئا صار واستمر خمس سنوات حتى اصبح له نتائج وظروفه في الحقيقة هو شعوري الان بان ربما ما لم اختاره أنا قبل خمس سنوات اصبح باستطعاتي الان ان احكمه واقيم مصيره. فهو مصيري أنا ايضا بلا شك..

فاليوم ٢٠٢١/٨/٢٢ وبعد ما كنت قد قررت قبل ايام قليلة . قررت ان اترك بيتي , زوجي وعائلتي الاخرى. وأولادي التوام ذاتا الاربع اعوام . قد يبدو الامر اهمال – جنون – أنانية مطلقة – قد ابدو الان اكثر الناس أنانية ونكرا للنعمة على وجه الارض.. ولكن كيف يمكن ان يحاكم الانسان بدون محاكمة ؟ حتما هو شئ يحدث في هذه الدنيا فقط. فأنا لن أبرئ نفسي ولكني ايضا لن احكم على ذاتي باني الافضل امومة وحبا لاحد .. بل هو العكس تماما يكاد يكون العكس في كل شئ بالاساس هو السبب في كل هذا.

ربما هو البداية نفسها التي أنتظرتها منذ أول يوم في زواجي من خمس سنوات .. الا توجد تلك المقولة التي غيرت حياة الكثيرين "اذا اردت شيئا بشدة فاطلق صراحه". وهذا تماما ما انوي فعله الان هو ترك كل شئ أولا حتى احسم ان كان لي بالاساس ام لأ؟ ..

كيف اصبحت فجاه زوجة ؟ كيف اصبحت أم ؟ كيف صرت بهذا البيت بين هولاء الناس ؟ لماذا اصبحوا مقربون مني؟ والاكثرا اهمية هو زواجي .. لماذا استمر من الاساس؟ هل سوف يصمد امام ماضينا وتركنا لكل شئ الان ؟ ام هو لم يكن فقط الا ورقة رسمية وولد وبنيت للخلاص من هذا الماضي؟؟

ولكن كي نصل الى هنا ايضا. لا بد ان تكون هناك بداية اخرى لكل شئ. الا توجد تلك اللحظة الذي تغير حياتك بعدها للابد؟ أنا ايضا قد عشت حياتي كلها انتقل بين كل تلك اللحظات. لم تكن مرة ولم تكن الأخيرة. فقط استغرق مني الكثير والكثير من الوقت كي ادرك اني حين اشعر بان هذا ابعده ما يمكن ان يحدث. يأتي الابد كي يصطدم بوجهي دائما.

...

يااالحبيبيتي ايوه اكيد معاكي حق.. أنا هفهمك هنا هتفهمك. بس عمر؟ أنتي متخايلة قرار زي ده هيشقلب حياتكم ازاي؟

.... يمكن هو ده بالظبط الي محتاجينه يا عليا. بقالنا سنين واحنا بنمثل الهدوء والرازنة. يمكن اللغبطة دي هي الي ترجعنا للطريق الصح. مش يمكن كل حاجة كانت غلط من الأول اصلا؟

... ايوه بس...

متشغليش بالك يا عليا.. أنا عارفه ان الموضوع مفاجئ بالنسبة لك بس صدقيني بالنسبة لي هو مش كده ابدأ. أنا فضلت اربع سنين بس عشان خاطر ولادي... ولما قررت اعمل كده دلوقتي كمان عشان خاطر ولادي.

عشان اقدر اعرف هيعشيو بيانا وهما احسن لما أنا اعرف ابقى احسن كمان. ولا معنا احنا الاتنين وكل يوم امهم بتدبل قدامهم. ومين يعرف يمكن اتفاجئ بيهم قدامي في يوم ومقدرش ابعدهم عن اي حاجة بيانا.

للدرجة دي الحياة بينكوا مستحيلة؟

لم تكفي الكلمات وقتها ابدأ للرد على سؤال عليا. لذلك اكتفيت بصمتي لحظتها. بينما ادركت هي الاخرى ما يجيبه هذا الصمت.

...

انقضت الثلاثة ايام التالية على نفس الحالة. بين متابعة حالة الخال أكرم. الذي كانت حالته تسوء وتحسن بشكل متقلب. يوما بعد يوما كان الوضع يخبرنا ان هناك شيئا ما سئ على وشك الحدوث.

حتى ان عودة غالية الي منزلنا لم تستمر كثيرا. فكانت تذهب وتعود كل يوم كي يطمئن قلبها على أخيها الوحيد. بينما كانت تحاول البقاء صامدة امام اسرته كي لا تضعف عزيمة بناته بالتحديد. الا انها كانت تستسلم كثيرا دون مقاومة منها لدموعها وخوفها وكل تلك الاشارات التي تواجهها يوميا مع أخيها.

رما بسبب ايمانه الشديد وتسليمه لقضاء الله بهذا اليقين والثبات وربما لانها تعلم جيدا انها لن تكن المره الأولى التي توجه فيها هذه الخسارة.

كان الوضع بيني وبين عمر يكاد يكون طبيعيا جدا. كان يذهب صباحا الي عمله ويعود مساء ليقضي وقته اما بالغرفتنا وحيدا اما مع الأولاد بغرفتهم. لم تجمعني بيه كلمة منذ زمنا بعد. حيث ادرك وان كان بعد سنوات اني قد تمكنت من الابتعاد عنه وان كنا بنفس المنزل.

حتى وان جمعنا غرفة واحدة. وان كنت لم اتمكن من بعدي عنه بشكل كامل فتلك العلاقة بيننا اصبحت مثل الواجب. امر حتمي لا بد من حدوثه كل فترة. فقط كي يخبرني بانى لازلت ضمن املاكه. ولن استطيع ابدأ الخروج من حدوده. ظل الوضع بيننا هكذا طوال اشهر. لم اعرف هل مرت سنوات بالفعل؟ ام فقط أنا من كنت امر فوق تلك الايام؟

اصبحت تلك الغرفة هي محيط سيطرته علي. المكان الوحيد الذي يعرف تماما انى لن احاربه فيه. ولن اهرب من مواجهته نفسه ولي ايضا.

اصبحت تلك البقاع الزرقاء التي تحتل جسدي يوما بعد يوما. جزء لا يتجزء مني. فكان أول شئ اراه في الصباح هو بقعة جديدة تمكنت مني هي الاخرى.

الغريب .. ان عدم محاربتى ومقاومتى له بهذا الشكل كان يشعره بانى اغلبه اكثر في كل مره. كأن أنتقامه منى لم يكفي بشتى الطرق. بل لا بد ان نخوض كلأنا نفس الحرب. كان يعرف تماما انى قد تركت الساحة له منذ زمانا طويل. فقط هل عدم تنازلي له هو ما يحفز تلك القسوة بداخله؟ ام انه اراد دائما التأكد من استمرارية تلك الحرب فقط كي اظل منشغلة بيه طوال حياتي؟

لم اعرف ولن اعرف ابدأ.. فقط ادركت قبل سنوات من الان. ان بقائي هنا معه لم يعد له معنى باي شكلا كان. وان حربه لي لم تكن سوى حرب كبرياء اراد الصمود فيها فقط كي يعوض خسارته السابقة الذي ظللت ادفع ثمنها له سنوات طويلة من حياتي.

اتخذت القرار قبلا. ادركت ان ليس هناك ما يسمى بالوقت المناسب فقط نحن من ناسب ذلك الوقت مهما كانت الظروف. بقيت لاجل أولادي فقط. الذين كانوا يكبرون امامي ومعى كي يخبروني فقط ان هناك اشياء في الحياة تستحق العيش لاجلها. وان كانت كل الاسباب تخبرك بانك لا تستحق. فقط سبب واحد يكفي لخبارك بان الاكثر استحققا على الاطلاق.

مرت السنوات وأنا أنتظر. وكان هو لا يكتفي من محاربتى. كنت ازداد يقينا من قراري. و كان يزداد هو غرورا وثقة من بقائي معه وبجانبه رغم كل شئ. صحيح فابتعادي عنه داخل نفس الجدار. لم يتمكن من اختراق تلك الاقنعة ابدأ. ولكنه فقط كان يشجعه على استمرارية هزيمتى في كل مره؟
أو هكذا كان يعتقد دائما....

الان فقط اصبحت اشعر ان الوقت المناسب قد اقترب كثيرا. وانى لن استغرق الكثير بعد الان كي اجد سكينتى واطمئنانى الذين قد سرقوا منى قبلا.

كانت تمر الايام السابقة وأنا اعلم تماما انها لن تطول علي اكثر من ذلك. كنت اتطلع الى أولادي وأنا اعرف تماما انى غيبتى ربما تطول عنهم كثيرا بعدها. كنت اتطلع على اغراضى وأنا اعرف انها سوف تغادر ذلك المكان وتلك الغرفة في القريب العاجل.

مضى اسبوعا كاملا وكل شئ كما هو. فقط حالة الخال أكرم تزداد سواء. وازداد أنا صلابة امام قراري. شعرت بان تلك اللحظة على وشك الاصطدم بوجهي في اي وقت. ومع انشغال الجميع بصحة الخال أكرم ودعم اسرته. وانشغال عمر نفسه مع والدته وخاله. كأنه استغلها فرصة مناسبة للهروب من مواجهة عيني في ذلك الوقت. بعدما اصبح لا يجد بيهم شيئا سوى العناد والقوة.

حتى جاءت تلك الليلة التي قد عزمت امري فيها كي اترك كل شئ. ولكن كان هناك امرا ما لا بد لي من اتمامه أولا. كي اتمكن من تنفيذ خطتي على اكمل وجه.

عليا أنتى صاحبة؟

تعالى يا نور أنا صاحبة...

ايه ده أنا اسفه.. معرفش ان هنا نايمة شفت النور شغال.

هههههههه أنتى عارفه بنتام على مشاريعها دلوقتي.. كانت بتذاكر وراحت عليها نومة.

وسط الكتب كده؟؟

هههههههه الحمدلله انها مش ع المكتب.

...

مالك يا نور شكلك في حاجه؟؟

.... كنت عايزة اتكلم معاكي.. ضروري.

طب تعالى نطلع البلكونة..

اغلقت عليا اضواء الغرفة كي تستريح هنا قليلا.. ثم ذهبنا سويا الى شرفتنا المعهودة. حيث بمجرد جلوسنا اخذنا نفسا عميقا بداخلنا كأننا نستنشق هواءا جديدا لم يكن من قبل.

قوليلي بقه عايزني في ايه؟

.... أنا همشي بكرا يا عليا. بكرا الصبح لازم امشي.

..... ايه؟؟ أنتى بتتكلمي جد؟؟ اكيد بتهزري مش كده؟؟

وهو الموضوع ده في هزار يا عليا.. مش ده الي كنا انكلمنا في قبل كده؟؟

ايووه بس اصل.... بصراحة افنكرتك صرفتي نظر لما عدت الايام ال فانتت من غير ما تفتحي معيا الموضوع تاني. حتى قلت انه اكيد بقى في حل تاني.

الحل الي مظهرش من سنين كتير. هيظهر دلوقتي؟ .. أنا كنت ساكته بس لحد م نظمنا على خالك... الحقيقة مكنتش متخايلة انه وضعه هيوصل لكده. حتى عدم مروحه المستشفى ده...

ولا حد كان مصدق... بس كلنا فاهمنا دلوقتي.. حتى ماما ثباتها قدام الموقف كمان مبقاش مستغربينه.. يا عالم ربنا شيلنا ايه بين يوم وليلة. بس خالي مسلم امره تماما. مبقاش

بيقول حاجه غير الحمدلله.. الحمدلله انه في بيته الحمدلله انه بصحته الحمدلله انه معنا واحنا معه.

أول مره في حياتي اشوف حد كده؟؟

خالك مآدش حد يا عليا ولا عمل حاجه وحشة في حد.. حياته كلها عاشها في هدوء ومحبة للكل الي حواليه. يعني الي هو في دلوقتي ده .. ده رضا ربنا عنه ورحمته بيه في كل الأوقات.

ونعمة بالله. ربنا ينزل علينا السكينة والرحمة كمان وكمان....

....

مالك بتفكري في ايه؟؟

عارفه الواحد ممكن يعيش عمره كله يدور على السكينة والرحمة دول. فإكر انهم هنا بين اهل الارض. مياخدش باله غير متأخر أوي ان ربنا سبحانه وتعالى هو الي بيحطهم بينا هنا. يمكن تلاقيهم في بني ادم. بس لو حصل ونسيتي انه بني ادم زيه زيك. يعني ممكن يغدر يخون يكذب. ساعتها بس بتفهمني انك ارتباطتي بسكينة خدعة و وهم كبير.

وهو ده الي مخليكي عايزة تبعدني من زمان؟؟

.... أنا تعبت أوي يا عليا. عشت حياتي مكانش فيها غير اخويا. امي مشيت من بدري وابويا فضل يلومني سنين عمري كلها على كده.. اخويا راح وابويا فهم انه ظلمني بس بعد فوات الأوان.. اتجوزت عمر عشان كان المفروض هيحميني... مقدرش يحميني من نفسه.. في ذنب حصل...

اكتشفت اني الوحيد الي دفعت تمنه.. ومن بدري أوووي. أنا لو بمشى دلوقتي يا عليا. بمشي عشان اعرف الحق الي فضل مني عشان خاطر ولادي. تيمور وتارا مش عايزيهم يدفعوا تمن حاجه. ولا عايزيهم يطلعوا زيي ولا زي عمر. عايزيهم بيقوا احسن مسيوش حد يظلمهم. ولا يظلموا حد.. لو بعد سنين كتير من دلوقتي هو ده بس الي هطلع بيه من الدنيا.. صدقيني مش هندم ولا هحس ان حياتي كلها ضاعت في الهوا.

..... ياريت مكانش كل ده حصل.. ياريت مكنتش وصلتاوا لكل ده...

ياريت مكنتش حاجات كتيرة أوي حصلت يا عليا... المهم في حاجه اهم من ده كله دلوقتي عايزة أمنك عليها..

ايه هي؟؟

الولاد... تيمور وتارا... مش محتاجه اقولك انهم مش لازم يعرفوا حاجه طبعاً. بس عايزة اطلب منك اني هكلمهم كل يوم على تيلفونك. تيلفوني هيبقى مقفول ده لو مسبتوش هنا.. هتصرف واتصل بيكوا وهكلمهم من عندك.

اكيد طبعاً .. بس كده؟؟

لأ... أنا مش عارفه الخطوة دي هتوصلنا لايه ولا ابعادها هتكون لفين بس. الاهم من كده اني زي ما قلتلك قبل كده. عايزيكي أنتى تخلي بالك منهم لحد ما اقدر اكون معهم تاني..
.... مش عارفه اقولك ايه.. بس بجد بدعي ربنا كل يوم انه يحققك الي أنتى عايزه من الي هتعملي. وتلاقي نفسك الي بتدوري عليها وسط كل التوهة دي.

ربت على يد عليا ممتنة لها على تفهمها ومساندتها لي الان وسابقا.. بقينا طوال الليلة في الشرفة حتى غرقنا في نومنا سويا. عليا مسندة رأسها على كتفي. وأنا اتكئ عليها في امان. كما لو كان العالم كله خاليا من اي كذب و خداع و كراهية.

لم نشعر حتى بضوء الصباح الذي اخترق وجهنا. حتى جاء ذلك الاتصال الذي تمكن من ايقاظ الجميع بالمنزل. وليس فقط نحن...

الو... ايوه يا ماما... ايوه صاحين عمر ونور وأنا... ايه الي حصل؟؟ ايه؟؟ أنا لله وأنا اليه راجعون... لا حول ولا قوة الا بالله. حاضر احنا جايين حالا.

....

عمر لازم نروح على بيت خالي دلوقتي.. خالي أكرم تعيش أنت...

لم يكن لدي احدنا متسعا من الوقت لسؤال الاخر كيف تمكن صوت رنين هاتف المنزل من ايقاظ الجميع هكذا. حتى جاء ذلك الخبر وكأن ارادة ربنا بالفعل جعل صوت ذلك الرنين بمثابة التنبيه لنا عما سوف نسمعه.. حأولنا أنا و عليا التماسك قليلا. بينما اخذ عمر يتمم ببعض الادعية...

قررنا عدم ايقاظ هنا والطفلين حتى لا يذعروا. فقط تركنا لها ورقة خارج الغرفة ان تتصل باحدنا فقط بمجرد ان تصحو. حتى لا تدعر ان رأت الخبر على هاتفها ايضا. تجهزنا ثلاثتنا وذهبنا جميعا باتجاه البيت الذي لطالما خرج صوت الفرح والضحك منه. اليوم يخرج منه صوت القرآن رحمة على روح واحد من افضل البشر في الارض على الاطلاق. الخال أكرم الذي لم يكن سوى بمثابة اب واخ اكبر لنا جميعا وليس فقط لغالية.

لم نبكي ولم نصرخ ابدا.. صحيح انها لم تكن الفجيعة الأولى في حياتي. ولكن مثلما يقولون دائما " فالمرض يأتي لينبه اهل المريض وليس صاحبه فقط" وبالفعل هذا ما حدث معنا جميعا.

فالايام الماضية كلها كانت بمثابة التنبيه على ما اتى اليوم هكذا. كانت الفتيات وفاطمة منهارين بالفعل.. فخسارة الخال أكرم لم تكن بخسارة عادية. فهو حقا كان خير الزوج وخير الاب لبناته. كنا نعرف أنا وعليا تماما ما يشعرون بيه. فسابق تجربتنا بذلك الالم.. قد سبق وفتح لنا هذا الباب سويا... يقولون ان اسوء ما في الحزن ان يذكرك دائما بحزنك الماضي. فلا بد لك ان ترجع لتلك النقطة التي توقعت انها التئمت مع الزمن. الا ان دمة واحدة فقط من احدا اخر تكفي لاشعال تلك النار في قلبك مرة اخرى.

كنا نحاول مواساتهم و انفسنا. حتى غالية رغم ثباتها المعتاد الا انها لم تمنع نفسها هذه المرة من مساندة زوجة أخيها وبناته. حيث بمجرد ان بدء عمر في الطقوس كي يلحقوا صلاة الظهر. وفتت غالية تتم بدعاء ما وهي تحضنن زوجة أخيها وتدعمها. رغم انها أول من يحتاج الدعم في تلك اللحظة.

تمت الطقوس والاجراءت.. وفي طريقنا الي المدفن جاءت نسمة هواء غريبة كأنها تنذر عن بداية شتاء قوي. فعجلة الامر لم تجعلني أنتبه اني قد خرجت من غير شالي الذي كنا نتدفى بيه أنا وعليا في الشرفة.

مر الامر بسلسلة غريبة. أنتهت مراسم الدفن والصلاة. وأنتهت مراسم التعزية الأولى عند المدفن. كنت اقف على بعد مسافة من الجميع اراقب المشهد كأنني اشهده للمرة الأولى تماما. ولكن تلك النسمة الباردة التي احتلت المكان لم تجعل الامر يبدو مختلفا ابدا.. فمنذ سنوات بعيدة شعرت بنفس تلك البرودة حين اختبرت معنى الفقد لأول مرة في حياتي.. ولكن هذه المرة...

ايه بردانة؟؟

اه شوية...

طب خدي الشال ده خلي على كتفك دلوقتي بس.. متقلقيش شوية وهنمشي.

تطلعت اليه وبيده التي تحاوطني الان بذلك الشال. لم ادري لحظتها ابدا كيف جاء ومن اين جاء بهذا الشكل المفاجئ. لم ادرك حتى ان كان حقيقيا بالفعل ام اني فقط تخيلت. رغم وجود الشال الذي كنت اعتقد انه بقى في الشرفة على كتفي بالفعل الا اني شعرت في تلك اللحظة كان الزمن توقف من حولي.

كان الكل منشغلا في شئ ما من حولي.. بينما كان يبدو ان الامر سيطول بالفعل. وجدت نفسي داخل تلك اللحظة الحاسمة التي أنتظرتها من قبل. اردت العودة الى المنزل سريعا كي اتمكن من ترك كل شئ الان فقط.

لم ادرك اني قد اسقطت شالي ارضا اثناء انسحابي في هدوء من بينهم. رجعت الي المنزل سريعا. لاجد عليا تأتي خلفي في عجلة تخبرتني.

نور...

عليا ايه الي رجعت؟؟

لاقيتك ماشية من غير ما حد يشوفك.. خفت تكوني هتمشي بجد من غير ما تسلمي عليا.

كنت معتادة على كل هذا اللطف والاهتمام من عليا مسبقا. ولكني في تلك اللحظة لم اشعر سوى اني اريد ضمها فقط.. ربما امتنأنا لها وربما تعويضا عما سوف افتقده بيها خلال لحظات. وربما فقط لاني أنا من احتجت ذلك في تلك اللحظة.

شكرا يا عليا.. بجد كنت محتاجة اشوفك فعلا قبل ما امشي.

أنتى بجد هتمشي؟؟

مفيش وقت انسب من دلوقتي.. لازم الحق اخرج من المنصورية كلها قبل ما يرجعوا من الدفنة. والا يا عالم هتجي لحظة زي دي تاني امتى.

الحقيقة أنا متمش ابدأ نعيش يوم زي انهارده تاني.

عندك حق.. وصدقيني أنا زيك تمام.... خليني اطلع اشوف الولاد بسرعة قبل ما امشي.

صعدنا سويا الى الطابق الاعلى. حيث كانت تجلس هنا بصحبة الطفلين... فبمجرد دخولنا الغرفة ادركنا انها كانت تبكي بالفعل. ولكنها حاولت البقاء هادئة قدر المستطاع كي لا تذعر الطفلين حولها.

أنتوا جيتوا؟

.... حبيبتى أنتى كويسه؟؟ حقاك عليا مرضناش نصيحي عشان متخضيش.

أنا عارفة يا عليا مفيش مشكلة.. كمان مكانش هينفع كلنا نخرج كده ونسيب العيال لوحدهم.

..... هنااا أنا عايزة اشكرك بجد على انهارده وكل الايام الي فاتت الصلا. كنتي على طول بتساعدني أنتى وعليا وختلوا بالكم منهم دايمًا.

... ايه الكلام ده بقه؟؟ بتودعني ولا ايه؟ طبعا هنتم بيهم ونقف جمبك امال احنا اهل وعائلة واحدة ازاي.

معاكي حق.. أنا اصلا متعلمتش المعاني دي غير معاكم هنا. ويمكن مكنتش هفهمها ابدأ من غير وجودكم جمبي.

نور.. هو حصل حاجه ولا ايه؟؟ حد ضايقكم في حاجه هناك؟؟

لا لا ابدأ.. كلمتين في قلبي كان لازم اقولهم من زمان.. بس اتأخرت كالعادة.

....

اااا هنا مش عايزة تروحي لماما شوية.. احنا هنقعد معهم دلوقتي.. روعي أنتى شوية عشان رحمة وريم كمان.

ااااا تمام مفيش مشكلة.. لازم اكون معهم بردوه. لو هنبدل كده يبقى احسن.

اه ااه يالا أنتي روجي بسرعة عشان تلحقينهم في البيت وبليل هابقي اكلمك قبل الشيفت الثاني تمام.

كانت هنا تنظر لعليا في غير فهم لماذا تحدثت بهذا الشكل الان. ولكن حين تدراكت علي الامر وحثتها على الذهاب الى بيت خالها لقضاء واجب العزاء. تنست هنا قليلا كلماتي. بينما كانت على وشك الخروج من الغرفة حتى تفاجئت بي اضمها بقوة كما بالفعل لو كنت اودعها. حتى اشارت الي عليا مستفهمة. فارادت عليا تدارك الموقف مرة اخرى. فانضمت اليها هي ايضا كي نحتضن بعض ثلاثتنا.

خرجت هنا من المنزل. بينما لم يبق احد غيري وعليا والطفلين. فارادت توديع اطفالي اخيرا. ولكن ليس لاني سوف اتخلي عنهم. بل فقط لاني سوف اخفي منهم قليلا.

تيمور تارا.. حبايبي عايزة اقولكم على حاجه مهمه.. مش احنا كنا بنلعب مع بعض هنا كلنا.. دلوقتي عايزة اقولكم على فكرة.. ايه رايكم نلعب لعبة جديدة.
بجد يا ماما؟؟

طبعا يا حبيبتي.. بس بشرط اللعبة دي أنا وأنتوا بس.. عمتمو عليا هتلعب معنا كمان بس احنا لعبتنا غيبير.

فرح الأولاد كثيرا مهلين بمشاركتنا للعب معهم مرة اخرى. بينما اردت أنا اكمال مهمتي الى نهايتها.

حبايبي اسمعوني.. اهم شرط في اللعبة دي انها تفضل بينا احنا وبس.. لا بابا ولا هنا ولا اي حد ثاني يعرف بيها..
ولا تينة غالية؟؟

ولا اي حد.. دلوقتي أنا همشي بعيد شوية هتلعب حاجه زي الاستغامية. مش هكون قدامكم هنا في البيت. بس كل شوية هكلمكم في التيلفون. وكل مره هقولكم على لعبة جديدة جوه لعبتنا ايه رايكم؟؟

الله حلوة اوي يا ماما.

حبايبي اهم حاجه زي ما اتعودنا نفضل شطار ومنزل علش حد تمام.. لعبتنا هتطول شوية.. بس متقلقوش من اي حاجه أنا معاكم على طول وفي ثانية هكون قدامكم الاتفقنا...

علت اصواتهم سويا يتفقون معي على بدء لعبتنا الان. بينما كانت تنظر عليا اليها في محبة وعينها تدمع قليلا. حتى حاولت اضحكها قائلة:

اااا وأنتي كمان هتلعبي معنا يا عليا مش كده؟؟

اا ايوه طبعا.. لما أنتي تستخبي هنكون احنا الثلاثة هنا مستنينك.

ولما ترجعي هنعرف مين الكسبان. مش كده؟؟

طبعاً.. بس من دلوقتي أنا عارفه أنتوا الي هتكسبوا. وفي الآخر ليكوا عندي جائزة كبيرة قد كده.

اكتملت فرحة الأولاد بلعبتنا الان. بينما كنت اعي تماما ما تخبرني بيه عليا بين كلماتها تلك.. الا اني حاولت نسيان كل شئ اخر الان غير حضن أولادي في تلك اللحظة. الذي ورغم كل شئ واي شئ اخر سافعل اكثر ما بوسعي كي لا يكون الأخير.

رفقتني عليا خارج غرفتهم قليلاً.. جهزت حقيبتي سريعاً واغلقت باب الغرفة من ورائي متقصدة عدم النظر الي اي شئ فيها. بينما كنت القي نظرة أخيرة على كل شئ وبالخاص تلك الشرفة التي افرجت عني الكثير والكثير مسبقاً. و شاركتني كل حياتي بهذا المنزل.

.... خلاص كده؟؟

عارفه انك مش محتاجة وصية. بس خلي بالك منهم يا عليا عشان خاطري.

.... متقلقيش في عينيا دايماً. أنا بقه عارفه مش هتقولي بس لازم اسألك هتروحي فين؟؟

.... اكبر مشكلة بتواجهنا احنا الاتنين لما بتنسي انك اخت عمر أولاً وأخيراً. يعني أنا الي لازم مهما حصل مسيبكيش في موقف صعب معه. وأنتى أول حد قدامه. مقدرش اسبيلك سر زي ده دلوقتي. بس اطمني أول ما استقر هكلمك كلها كام ساعة بس حتى تكون الدنيا هديت هنا.

....

أنا لازم امشي دلوقتي.. ممكن يجوا في اي وقت... هتوحشني.

ودعنا بعضنا أنا وعلياً بصعوبة. محأولة تدراك الموقف كي لا افارقها حزينه بهذا الشكل.. اخذت حقيبتي وغادرت المنزل سريعاً. بينما كانت عليا تشاهدني من الشرفة. لم اتمكن حتى من النظر لها مرة اخرى كي لا ترى دموعي وانهياري هكذا.

لم اترك ذلك المنزل فقط الذي عشت فيه الكثير طوال سنوات. وشهد على دموعي وفرحي وكل مشاعري. ولم اكن ابكي لحظتها لانى نشعرت بالندم.. فقط ادركت وان كنت احأول التخلص من اثار عمر السيئة بداخلي وتلك الحرب المزعومة التي ادخلني فيها. لا بد لي أنا احافظ على غنائمي وان كان هذا هو الاصعب على الاطلاق. فعلاقتي بعلياً وهنا ووجود تيمور وتارا بحياتي. دفعني نحو تلك اللحظة الان.

لم يكن الامر سهلاً ابداً مسبقاً. ولم اشعر نحوهم ابداً انهم اداة ضغط تمنعني من تحقيق تلك العدالة لنفسى. فقط كنت اشعر دائماً انهم سبب كافي وحقيقي كي احب نفسى واسعى لصالحها. حتى اتمكن من تحقيق صالحهم ايضاً.

...

(٢٤)

نعم كانت الخطة بالتلك السهولة. فكل شئ يكون اكثر سهولة بالطبع طالما هو داخل عقلك. ولم اشعر بصعوبة ايضا اثناء تنفيذها. فقط ادركت ان الصعوبة كلها تمكن في أنتظار الخطوة التالية. أنتظار القرار بيد عمر. أنتظار اما خلاصي منه أو نهاية ذلك السجن معه؟

غادرت المنصورية ومحيط البيت سريعا. كنت قد استاجرت سيارة من القاهرة كي لا يتمكن حد من معرفة مكاني من خلال السائق. توجهت الى الطريق حيث كانت تنتظرني السيارة. وغادرت بي بلا رجعة.

لم تكن المرة الأولى التي أخذني فيها الطريق معه الي وجهة لا اعرفها تماما. مجهولة وان كانت معروفة للجميع. ولكن هذه المرة كنت اشعر اني على مفترق طرق طويل لا ينتهي ابدأ. وعلى الرغم من هذا لا ادري لما كنت اشعر بهذا القدر من الارتياح هكذا. كنت اعرف اني سوف اجد شيئا ما في نهاية هذا الطريق. ربما سيجعلني اجد نفسي الذي سبق و ضيعتها في مكانا بعيد جدا. اشتاقت لأولادي سريعا. اشتاقت لضمهم وتواجدي معهم بنفس المكان.

ولكن ثقتي بان نهاية هذا الامر ستكون في صالحهم بكل الاحوال كانت تدعمني وتقويني في بداية طريقي. كانت الخطة بان اصل الى القاهرة وابقاء في احدى فنادقها الصغيرة كي ابقى على تواصل غير مباشر مع الشارع والناس.

وبالفعل مضت الان ثلاثة ساعات كاملة على مغادرتي ذلك البيت. كنت قد استقرت بالفندق. حيث اردت البقاء بغرفة ذات اطلالة جيدة لها شرفة صغيرة فقط تكفي افكاري وشرودوي بيها. كنت داخل تلك الشرفة منذ ان وطئت قدمي الغرفة. شعرت بان دوار الارض توقف من حولي والان فقط أنا اقف على ارض ثابتة لن اقع عليها بين حين والآخر.

مرت عدة دقائق وأنا استنشق هواء ذلك المكان الجديد. الذي لم اشعر بغربتي المعهودة فيه. فقط كنت بحاجه لاستجماع نفسي قليلا قبل ان اخطو اخر خطوة في طريق تلك البداية المحتومة.

...

قبل دقائق في المنصورية

كنت قد تركت شالي وغادرت موقع الجنازة على عجلة. لدرجة انى لم أنتبه بان عليا لم تكن هي فقط من لحظت غيابي. بل هناك احدا اخر ايضا لمح مغادرتي من بعيد. ولكن لم يتمكن من تعقب الامر لحظتها. بسبب صعوبة الموقف من حوله. حتى لم يكن متاكدا كثيرا من انها أنا من تغادر هكذا في تلك اللحظة. بالاصح لم يخطر بباله ابدا ان تكون أنا من تغادر الجنازة بهذا الشكل.

حتى لحظتها لم يشعر بان الامر بتلك الاهمية. فقط هناك من اراد المغادرة سريعا.. حتى جاءت لحظة مغادرتهم المكان جميعا. ليمر عمر بجانب ذلك الشال الملقى على الارض بنفس المكان الذي شهد مغادرة احدا منه قبلا.

لم يستغرق الامر منه سوى لحظات حتى ادرك معرفته بهذا الشال جيدا. فقد سبق واخذه بيده من الشرفة قبل ان تغادر البيت صباحا ثلاثتنا. وقد سبق ووضع بيده على كتفي قبل مدة كي اتدفئ قليلا.

فادرك ان ما رآه لم يكن خيالا فقط. ولم تكن احدى النساء الغريبات هي التي تترك المكان. اذن كانت أنا. زوجته ولكن لماذا؟ وكيف يمكنها المغادرة هكذا بدون علمه ورؤيته؟ كأنها.... كأنها تهرب من شئ ما!

...

وصل عمر البيت سريعا. وهو لم يترك الشال من يده لحظة واحدة. دخل من الباب على الفور ينادي ويبحث كأنه يعرف تماما انه لن يجد ما يبحث عنه ابدا.

نور.... نوووور

مالك يا عمر بتدور علي ايه؟؟

عليا نور فين؟؟

....

عليا قوليلي ارجوكي.. نور هنا صح؟؟ معاكوا في الأوضة صح؟

عمر نوووور...

بابا!!!!

خرج الأولاد من الغرفة يركضوا الى أبيهم بمجرد سماع صوته. احتضنهم سويا وعلامات القلق والريبة تظهر عليه بشدة. حتى اردات عليا تدراك الموقف قليلا. الا ان عمر...

حبيبي هي ماما فين؟؟ شفتوها انهارده؟؟

ماما بتلعب معنا.

تيمور شششش ماما قالتلنا منقولش لحد. احنا بس الي بنلعب اللعبة دي.

بدأت علامات الانفعال تظهر على وجه عمر. حتى لاحظت عليا فاردات اخذ الأولاد بعيدا عنه حتى لا ينفجر عليهم الان. ولكن كانت المفاجأة. حين اظهر كل هذا التحكم والثبات.

نور فين يا عليا؟؟

حبايبي يالا نكمل احنا لعبتنا جوه.. أنا هتكلم مع بابا دلوقتي.

.... عمر نور مشيت وسابتلك الرسالة دي.. جاتلي من قبل ما أنت تيجي على طول.

لم ينطق عمر بكلمة .. فقط وقف مكانه ينتظر اخته كي تضع بيده تلك الرسالة الصوتية التي قد وصلت هاتفها قبل دقائق. رغم وقوع خبر مغادرتي عليه كالماء البارد. الا انه لم يظهر اي رد فعل. فقط حتى وضعت عليا الهاتف بيده وبدأت الرسالة..

عمر... مش عارفه هتسمع الرسالة دي امتى وفين. بس المهم انه اي كان الوقت هكون بعدت خلاص. على الأقل في مكان بعيد عنك وعن حدودك. يمكن هنتفاجئ كثير بس أنا مشيت يا عمر.. قدرت امشي واخرج من بين ايدك. مش هقولك مدورش عليا.. لاني مش عارفه اصلا هتدور ولا لأ. بس عايزة اقولك اني لحد ما اشوفك ويا عالم ده هيكون امتى.. مش عايزة منك غير حاجة واحدة بس... طلقني يا عمر... طلقني لان ده الاحسن ليا وليك. والاهم من كده احسن عشان ولادنا.. مش عايزهم في يوم يدفعوا تمن حاجة حصلت بينا أو بسببنا. زي ما أنا عشت معاك خمس سنين من حياتي بخلص فواتير مش بتاعتي ولا ذنبي.

عارف ايه المشكلة بجد.. انك ولا مره جربت تشوفني.. بمعنى اصح ولا مره جربت تبص في عيني حقيقي. كنت بتشوف الي أنت حكمت عليا بيه وبس. كل مره كنت بتهرب فيها الحقيقة كنت بتبقى خايف تشوف اني فاهمه ده. الحقيقة انه حتى دلوقتي ملوش لازمة الكلام ده. دلوقتي مش عايزم منك غير حاجة واحدة بس... جهزلي ورقتي عشان لما هرجع مش هرجع على البيت ده.

أنتهت الرسالة.. وأنتهى كل شئ معها. كان لابد ان اكون قاسية الى هذه الدرجة. كان لابد ان اغلق ابواب اي احتمالات اخرى. كان لابد ان اغلق كل الاشارات والفرص المعلقة بوجهه.

شعر كأن كل شئ توقف من حوله فجأة. توقف الزمن قليلا وتوقف نبضه ايضا. كأنه لم يعد يسمع اي شئ حوله حتى نبضات قلبه. نسمات الهواء , ضحكات أولاده , حتى صوت ضميره الذي كان يعرفه تماما منذ زما بعيد.

فقط بقى مكانه لا يحرك ساكنا. حتى احتوته تلك الشرفة لفترة. كانت عليا تراقب وضعه من بعيد. لا تعرف ان كان هدوئه هذا ما قبل العاصفة ام ان العاصفة قد انفجرت بالفعل؟؟

مرت قرابة العشرون دقيقة حتى تمكنت عليا من الاقتراب منه. بينما تمكن الصمت من وجهه جيدا. لم تكن ملامحه تقول اي شيء. فقط بقى شاردا لم يفارق الشال يده ابدا.

.... عمر... أنت كويس؟

....

عمر عشان خاطري رد عليا.. خايفة أسالك الرسالة فيها ايه... طب قل لي بس أنت حاسس بايه؟

....

عمر....

نور مشيت يا عليا. مشيت وسابتني... عايزة تسيبني على طول.

حبيبي أنا عارفه ان الموضوع صعب.. بس أنت لازم تهدأ عشان تعرف أنت عايز ايه... نور مراتك وأنت الوحيد الي تقدر تلاقها. بس المهم تكون عايز كده فعلا.

.... قصدك ايه؟؟

عمر... أنا معرفش ايه الي بينكوا. بس مفيش حد بيسيبي حد كده من غير سبب. ومادام حصل يبقى لازم تتعامل معه تفهم الأول أنت فعلا عايزها ترجع ولا خلاص لحد كده... بس في سؤال لازم تجاوبه الأول عشان تعرف تفكر صح..

سؤال ايه؟؟

أنت بتحبها بجد ولا لا يا عمر؟؟

لسه بتسألني...

مش أنا الي بيسأل. هي سألت نفسها السؤال ده مية مره. وأنت دلوقتي الي لازم تجاوبه... أنت حبتها فعلا؟؟

شرد عمر للحظات مغمضا عينه. لم يكن يبحث عن الاجابة بعد. فقط اراد سماع نفس السؤال من داخله حقا. اراد التأكد من انه يستطيع فهم نفسه وما بداخله حقا. ولو لأول مره في حياته. ولكنه تفاجئ باصطدام الاجابة في وجهه لدرجة.. لم يرى سوى صورتي فقط تمر من امام عينه. الان فقط تمكن من سماع صوتي ورؤيتي لأول مره.

لم يتحمل اكثر فوجد نفسه يحاول التنفس اكثر. حتى....

حبها يااااا عليا. حبتها هي ومحبتش ولا هحب غيرها في حياتي... أنتي مش عارفه هي بالنسبة لي ايه.. حياتي كلها ملهاش لازمة من غيرها. أنا عشت عمري كله اتمنى اللحظة الي تبقى ليا فيها. ولما بقت معيا مبعثش عارف أنا بحافظ عليها ولا بضيعها من ايدي.

أنا مش عايزها تضيع مني تاني يا عليا... أنا ما صدقت لاقيتها. ما صدقت بقينا سوا
وبينا كل الي فات ده. أنا... أنا مش عايز حابه غيرها في الدنيا. مش عايزها تسيبني يا
عليا... متخليهاش تسيبني تاني ارجووكي يا عليا ساعديني.

لم يتحمل اكثر. فترك نفسه لدموعه وحزنه هكذا. كأنه لم يكن يدرك شيئا بداخله قبلا.
ولم يفهم ابدا حقيقة تلك المشاعر بداخله.

قامت عليا تضمه اليها تحول مواساته. حيث تفاجئت هي الاخرى بكم المشاعر الذي
يحملها بداخله. ولا تدري لما كان يحتفظ بيها داخله ايضا.

.... عيط يا عمر عيط.. دموعك دي الي هتفكرك بضميرك تاني. وتخليك تقبل
مشاعرك من الأول... أنت قلت كل حاجه لنفسك دلوقتي. بس كمان هي الي محتاجة تعرف
الكلام ده مش أنا بس.. أنت بتحبتها بجد يا عمر.. بس مع الاسف أوقات كثير مش بيكون
الحب لوحده كفاية. لو محافظتش عليه زي الوردة تمام هيدبل ويموت كمان. أنت محافظتش
عليكم قبل كده بس لسه عندك فرصة.. مفيش وقت بيبضيع. وأنا متأكد انها هي كمان
محتاجة بس تتأكد من مشاعرها دي زيك بالطبط.

.... تفتكري؟؟

لازم تحارب عشان حبك يا عمر.. مفيش حاجه مضمونة في الدنيا. يبقى ازاى أنت احتكارت
وجودها للابد؟ فرصتك دلوقتي عشان تعوض كل ده.. مضعياش من ايدك تاني... ده لو
أنت عايز كده فعلا.

ختمت عليا كلماتها بقبلة حنونة على رأس أخيها. وقامت بعدها باتجاه غرفتها حيث
كانوا الطفلين موجودين. لتترك أخيها على حاله. يحاول سماع نفسه أولا وقبل كل شيء. ليجد
انها تحدثه باسم واحد فقط. كان لا يدري انه موجود في اعماقه سابقا بهذا الشكل.. نور.

....

ادركت ان الوقت يمر فقط حين تكون سعيدا. فيومي بين أولادي وعليها وهنا كان يمر
في لمح البصر. اما هذة الليلة لم تمر علي باي شكل. لم ادري هل بسبب وحدتي التي ردت
الي بعد زما طويل؟ ام فقط لانني تركت نفسي لتلك الوحدة مجددا؟

مرت ساعات طويلة. وأنا بغرفتي بالفندق. لم اتمكن من النوم أو حتى من التحدث مع
احد. فقط وضعت الهاتف امامي.. اعد الدقائق كي ينقضي النهار سريعا لاتمكن من الاتصال
بعليا وبأولادي. فحتما سيكون الجمي مشغولون بالعزاء مساء. اذن هذا هو انسب وقت.

فبمجرد تجاوز الساعة السابعة.. اتصلت بعليا على الفور.

الو.. ازايك يا عليا؟؟ الولاد عاملين ايه؟؟

الحمدلله متقلقيش.. قاعدين معيا في البيت.

طب والعزا ومامتك..

كلمت هنا هتفضل هي معها انهارده. وأنا هفضل هنا مع الولاد الليلا دي بالذات.. كمان
عشان...

الرسالة وصلته صح؟؟

ايوه سمعها من تيلفوني زي ما اتفقنا.

... ده اخر سؤال عنه هسالهولك يا عليا.. أنا بس عايزة اطمن عليكوا وعلى الولاد... هما
صاحيين اقدر اكلهم؟؟

زي ما تحبي.. استني اكلمك فيديو احسن.... طمنني عليكى الأول. أنتى احسن دلوقتي؟؟

بحأول.. وهكون ان شاءالله.. في حاجات كتيره في الدنيا لازم اتمسك بيها دلوقتي.

هو كمان بيفكر زيك دلوقتي.

عليا!!!

نور.. لأول مره في حياتي هتدخل فيكوا. بس حقا عليا وعشرة السنين تخليني لازم
اقولك الكلام ده دلوقتي. تمام دخلتي حرب مش بناعتك.. خسرتي شوية وكسبتي شوية.. بس
كمان لازم تعرفي ان مكسبك الحقيقي مكانش ولادك بس.. أنتى قدرتي توقفي على رجلك
وتعدي كل حاجه بس عشان لسه في حب جوه قلبك. تمام بتقولي انه في مشاعر تانيه كتير
غمت عينيكى.. بس أنتى مقتدرتش تكبري ولادك غير بالحب ده. مقدرتش تقبلينا وتعيشي
معنا غير بالحب ده.. مجرحتش وتعبتني غير لما جرتي الحب ده... الجرح الكبير مبيجيش
غير من الحب الكبير يا نور.. وأنتى لازم تفهمي انك مجروحة دلوقتي بس عشان حبتني
بجد. وبعدك عنه دلوقتي عشان حبك لي.

مش عايزكي تزعلي مني.. بس أنتى لو مفهمتش دلوقتي ان حربك بقت مع نفسك مش
ضده.. هتخسري كل حاجه.

لم تخطئ بكلمة. كانت تعرف وكنت اعرف ذلك جيدا. الثقة والثبات التي احتلوا كلماتها
ذكروني بعنادي الذي اعتاد عمر رؤيته في عيني. لم تضعني عليا امام الحقيقة فقط. بل
تأكدت انى مدت بالقوة الكافية التي تجعلني اقف ورائي تصرفي.

....

الولاد بره مع عمر... ثواني أناديلهم.

لأ خلاص بلاش دلوقتي.. هكلمك تاني.

اغلقت الهاتف سريعا وأنا اعلم جيدا انى اسوف احتاج وقتنا اكثر كي أواجه تلك الحقيقة. ربما
الليلة باكملها.

....

حين سمعوا دخول عمر المنزل.. اقموا سريعا من مكانهم يستقبلوه على سلم الطابق العلوي. حتى ظهر اليهم صامتا تماما والحزن يحتل وجهه بشكلا كبير. فكان أول سؤال طرحته هنا..

هااا ايه الاخبار مفيش جديد؟؟

....

ااااا تعالى يا عمر اقعده معنا شوية في الأوضة البلكونة سفعة عليك دلوقتي..

... مش قادر يا عليا والله...

عشان خاطري.. الولاد نايمين ومش هنعمل دوشة خالص.

ابتسم عمر مضطرا امام لطافة اخته. واستسلم لرغبتهم ببقائه معهم حاليا. فدخلوا الغرفة وجلس بينهم. حيث استندت هنا على كتفه بمجرد جلوسه. فلم يكن امه سوى فتح حضنه الى توأمته ايضا. لعله يجد بعض السكون بينهم الان.

.....

ماما فين؟؟

صلت العشا ونايمة شوية.

ماما قلقانة عليك أوي يا عمر...

وأنا كمان يا هنا والله...

عمر.. ارجوك متعملش في نفسك كده.. هتلاقيها ان شاءالله.

.... طول الايام الي فاتت بفكر في حاجه واحدة.. خايف أسالك عنها.

عن ايه؟؟

عن نور... أنا عارف أنتوا ايه لبعض. أنتوا التلاته. بس مجرد اني افكر انك عارفه حاجه ومش هتقدري تقوليها عشان مينفعش.. ده تعبني أوي يا عليا.

سبحان الله... هي كمان قالت كده بالطبط. مرضتش تقولي ولا تعرفني ااي حاجه عنها بس عشان منطحتش في الموقف ده احنا الاتنين.

....

عمر... زي مانت اخويا هي اختي وزيهها زي هنا تمام.. بس أنتوا الاتنين زوجين. يعني أنتوا ادري بيعضكوا. أنا مكانش ينفع امنعها تمشي ولا اقولك نقطة من بحر الي بينا. هي شافت كده عشان شافت منك كده. وأنت دلوقتي كده عشان شفت منها كده... أنتوا الي صح. مش احنا بس.

الأنت بتقولي اايه مستحيل!! أنتى مش متخيلة البيت عامل ايه من غيرك. وعمر !! ده يهطير من الفرحة لما يعرف الاستنى اكلمه.

..... هنا الاستنى ارجوكي ...

استنى ياا هنا اصبري...

ماما أنتى رايحة فييين؟؟

انقلب الموقف رأسا على عقب في ثواني معدودة.. لم يكفي مجئ هنا ولا اصرارها على التحدث مع أخيها. بل واستقيظ الأولاد ايضا. لاتفاجئ بيهم معلقين بقدمي.. لا يسمحون لي بالخروج ابدأ.

ياالله هنعمل ايه دلوقتي؟؟

هنعمل ايه طبعا هتفضلني متهزريبيش...

ماما خليكي شوووية عشان خاطرني بليز يا ماما...

نور أنتى لاز...

بس خلاص خلاص هنا ممكن تقدي ثانية لو سمحتي أنا هفهمك على كل حاجه..

....

عليا اقلني الباب ده لو سمحتي... قبل ما حد تاني يجيبي.... تعالوا يا حبايبي...

لا مش هينفع نفضل هنا كثير.. تعالوا تدخل أوضتنا احسن وهاتي العيال.. عمر لوجه هتبقى مشكلة.

طيب يالا... وخلي تيلفون هنا ده معاكي.

بس اصل...

مبشش يا هنا مبشش.. من فضلك لازم تسمعني الأول.

ذهبنا جميعا الى غرفتهم. لتعلق عليا الباب علينا على الفور. وتجلس هنا امامي بحماسة. بينما ظل الطفلين معلقين بحضني ايضا.

هنا.. الكلام الي هقولهولك ده يمكن أول مره في حياتي اقولهولك.. بس أنا واثقة فيكي زي ثقتي في عليا تمام.. عشان كده منتظرة منك تسمعني ع الاقل حتى لو مش هتوافقني.

اكيد هسمعك..

... هنا أنا صحيح سبت البيت. وسبت اخوكي... بدون دخول في تفاصيل كثيرة دلوقتي. بس أنا سبته وأنا قاصدة اعمل كده.. مش لازم خناقة ونشد في شعور بعض عشان اسيبه. بس الي لازم تعرفي ان دي تراكمات جوايا بقالها سنين.. لو مكنتش حاولت احلها دلوقتي يمكن هنوصل لحالة اسوء من الخناقات والاهانات قدام شوية.

بس معقوله الحل انك تسيبي كده؟؟ أنتى مش عارفه ده عامل ازاي...

أنا فاهمه.. أنتى فاكرنى أنا كمان مبسوطه. فاكرنى طايرة من الفرحة يعنى وعيشة حياتي.. بس كان لازم الحل يكون صادم. كان لازم يكون صعب كده عشان نمنع بي الاصعب قدام.

....

بتبصلي كده ليه يا عليا؟؟ متستغريش أنا فعلا مش مبسوطه. ايه الي يبسط ف اني ابعد عنكوا وعن ولادي.. بس فرق كبير أووي انى اكون مش مبسوطه وانى اكون مش مرتاحة. أنا هنا مكنتش مرتاحة يا بنات. حياتي معه وصلت لنقطة سودا حيطه سد هتقع علينا من كتر ما بنخبط فيها.. انما دلوقتي بس فهمت ان راحتي اهم من سعادتى. أنا كنت سعيدة معاكوا. أنتوا طول الوقت كنتوا كفاية بالنسبة لى. بس طول ما حنا مش مرتاحين مع بعض كنت هخسر سعادتى دي معاكوا... أنا بس... بحاول الحق الي باقى يا هنا.. منى أو من علاقتنا... عشان ميغيش يوم ونأذي حد تانى بسببنا حتى لو غصب عننا.

ختمت كلامى وأنا اشير بعينى الى هاتين الطفلين المعلقين بحضنى. منذ ان جئت اليهم قبل ساعات. لتظهر هنا تفهمها.. وتتنظر لعليا فى حماسة. قائلة:

.... خلاص عندك حق.. أولا وأخيرا دي خصوصيتكم أنتى صاحبة الشأن فى الموضوع حتى احنا ملناش ندخل فيها.. أنا مش هكلم عمر... بس عشان خاطري خليكى معنا انهارده.. بلاش تمشى كده بسرعة... أنتى واحشنى أوي.

.... ااا ازاي...

مش كده يا ولاد؟؟ مش عايزين ماما تقعد معنا انهارده؟؟

لهل الطفلين فرحين بالطبع مأكدين على فكرة عمتهم.. ليشبثوا بي اكثر. حتى شعرت بان اقدامى ثبتت مكاني بالفعل. واصبح الهروب مستحيلا وليس فقط صعبا. نظرت لعليا فى حيرة. محاولة الاستغاثة بيها. الا انها...

....

ايه رايك يا عليا؟؟ قولى حاجه؟؟

... والله الظاهر مفيش حل غير كده فعلا.. خليكى معنا يا نور.. والصبح رباح... اكيد مش هينفع تمشى دلوقتي كمان.

.... ايوه بس ازاي؟؟ هنفضل أنا وعمر فى مكان واحد كده عادى؟ من غير ما يعرف بيا ازاي بس؟؟

دي متقلقيش منها خالص.. احنا هنفضل في الأوضة دي وننام سوا كلنا. وهو مبيجيش خالص واحنا نايمين.. هتفضلي هنا واحنا هنأكد عليه انه ميخشش ابدأ.

.... مش عارفه اقولكم ايه بجد؟؟

متقلقيش يا نور.. ثقي فينا بس واحنا معاكي..

لم يكن امامي سوى الاستسلام لرغبتهم.. وتعلق تيمور وتارا بي هكذا. على الرغم من ذلك القلق الذي احتل قلبي منذ ان ادركت هنا وجودي. الا اني شعرت كأن كل ما حدث هكذا خلال دقائق بمثابة اشارة لشيئا ما. ولا ادري لماذا ولكن لم يعد علي سوى التسليم له..

....

تجاوزت الساعة الثامنة. ونحن على حالنا متجمعين نضحك بشدة ونتحدث كثيرا. كأن العالم اغلق من حولنا ولم يبقى غيرنا وهذه الغرفة التي احتوتنا كثيرا من قبل. كانت سعادة الأولاد غير عادية وتمكنت ضحكهم هذه من ان تنسني كل شئ اخر وكل احتمالات الخطورة التي ظهرت بباقي هنا للساعات.

حتى انهم لم يعرفوا طريقا للنوم. حتى اقتربت الساعة من العاشرة. فغفوا الطفلين بجانبى قليلا. بينما بقينا أنا والفتيات مستنظتين.. حتى....

الاستنوا هقوم اجيب الاكل بقه أنا جعت أووي.

ياااااا الله نسينا الاكل من كتر الكلام.

.... ياالله...

مالك يا هنا؟؟ وقفتي ليه؟؟

ده صوت الباب..

باب ايه؟؟؟

.... عمر جه عمر جه..

ياالانهار أبيض... شفتوا بقه؟ هعمل ايه أنا دلوقتي؟؟

الاستني خليكوا هنا أنتوا أنا هخرجه بسرعة.. متعملوش صوت عشان العيال بس.

خرجت عليا تلحق أخيها قبل ان يصعد الطابق العلوي حيث توجد غرفتنا.

بينما بقيت أنا وهنا والتوتر يخلق بيننا. لاجد نفسي قائلة:

لو الولاد قالوا اني هنا هتبقى كارثة!!

.... ايه ده عمر أنت جيت امتي؟؟

لسه جاي.. أنتي ايه الي مصيحي لحد دلوقتي؟؟

ااا لا ولا حاجه هنا كانت بتذاكر جوه. والعيال نايمين فقعدت معها.

.... طيب

الأنت رايح فين؟؟

عايز اشوف الولاد شوية يا عليا..

... طب استنى بس اصل...

تعبت أووي والله العظيم.. أناااا دورت عليها في كل حنة.. دورت عليها وأنا اعرف اني مش هلاقيها. أنا أوووحش انسان في الدنيا. و أوووحش اب في الدنيا. الي يضيع حب عمره منه يبقى وحش. الي يأذي ولاده ويحرمهم اهم حاجه في الدنيا يبقى وحش. الي يجرح مشاعر حد وثق في وامنه على نفسه يبقى وحش... أنا... أنا عاملت كل ده وأنا عارف انه غلط.. عاملته وأنا عارف اني بظلمها معيا.. قلت اني بحبها بس معملتش اي حاجه م الحب ده... افكرتها حق مكتسب لنفسي. ايه أنتصرت عليه؟ خدتها منه زي ما خد اخوك منك؟ اهي راحت منكوا أنتوا الاتنين؟ اهي طلعت اشجع منكوا أنتوا الاتنين...

لا أنا وقفت قصاده ولا هو وقف قصادي. بس هي الوحيدة الي قدرت تعمل كده. كانت بتكسبني كل يوم وهي لسه قادرة تبص في عيني وأنا بظلمها وبضيعها مني. كانت لسه بتبصلي نفس نظرتها أول يوم جات عيني في عيناها. يوم ما خسرنا احنا الاتنين. كنت بشوف النظرة دي لحد ما... لحد وقت قريب. أو يمكن بعيد!! أو يمكن أنا الي حبتها في عيناها ولما اختفت... اتجننت بقيت عايزها ترجع تشوفني كده تاني.. عايزها تشوفني ... على طول.

بس.... ازاي هتشوفك وأنت بتكسرها. وأنت بتعاملها وحش. وقاسي عليها... ايه فاكرها هتحمك لحد امتي؟؟ هتحمك ليه اصلا؟؟ عشان ساكته؟؟ اهي مشيت بردوه من سكات... ولا عشان... عشان حبتك.

بس هي حبتني بجد أنا متأكد.. أنا الي كرهتها فيا أنا الي وصلتنا للاي احنا فيه... أنا نفسي بس تعرف اني حبتها بجد. والله العظيم بحبها بجد. ولو كنت اتصرفت غلط مكانش غير قلة حيلة منى... أنا...

حبيبيتي أنتى صاحية كده من امتي؟؟

بابا الأنت بتعيط؟؟

... لا يا الحبيبيتي. بس في ناس كثير واحشاني أووي بعيط عشان مش لاقيمهم جمبي.

امممم مين دول يا بابا؟؟

... اخويا أكرم وبابا وصاحبي و.... امكم.

كنت استمع لكل كلمة تحدث بيها وأنا في مكاني. كنت ابكي ليس فقط لما سمعته ولكن لما سببته كلماته بقلبي ايضا. ما لم تتمكن افعاله ونظراته من فعله سابقا. فعلته كلماته اليوم. تأكد من ان يغرس كل كلماته في قلبي فقط في غيابي. لم اشعر اني قريبة منه بهذه الدرجة من قبل. ولم اشعر اني بعيدة عنه هكذا ايضا. صحيح كان يتألم كان يظهر ذلك كثيرا في صوته.

تألمت معه.. نعم شعرت بتلك النغزة التي كانت تعتصر قلبي من قبل. الفارق الان انها سابقا كانت بسببه والان له فقط. كيف يمكن ان يكون انسانا قاسيا الي هذه الدرجة؟ صحيح فقسوته سابقا هي التي دمرتني. وقسوته الان هي ما ابكتني. فقلبي لم يعد يتحمل كذبات اخرى منه. ولم يتحمل الان هذا الالم له. قد ادركت شيئا اخر الان. لم يكن مراد من قلب حياتي رأسا على عقب. بل عمر.

عمر بكل تفاصيله. كنت قد رحلت عنه لاتمكن من ايجاد الشفاء لنفسي قليلا. الا انه حتى في غيابي تمكن من غرس سهامه في قلبي ايضا. فحتى دموعي لم يعد لي... وليست فقط الامي...

قولي يا تارا.. أنتوا زعلانين مني صح؟؟

لا يا بابا خالص.

يعني مش زعلانين مني عشان مش عارف الاقي مامتكم وارجعها.

بس ماما رجعت يا بابا.

.... اااااااه؟؟

كنت على وشك الاصابة بازمة قلبية في الحال.. فقط شعرت ان بان كل شئ على وشك الانتهاء. لدرجة ان لم يعد امامي سوى ثواني معدودة. قبل ان اجد نفسي امام عينه.

ايوه احنا بنشوفها على طول.. وبتلعب معنا على طول حتى قالتلنا اننا احنا الي هنكسب. وهتجيلنا هدية كبييرة أوووي عشاننا.

..... اااااا حبيبيتي مين الي قالكم الكلام ده؟؟

عمتو عليا... وعمتو هنا كمان انهارده لعبت معنا.

اااااه طب يا حبيبيتي. اكيد أنتوا الي هتكسبوا أنا عارف. وساعتها أنا الي هجيلكم الهدية.

فرحت تارا كثيرا بكلمات والدها لها. حتى اعتدلت من نومتها لتحضنته. بينما ظن عمر ان اختيه لفقوا كذبة اللعب هذه للطفلين حتى لا يحزنوا اثر غيابي. ادركت أنا ان الامر قد مر بالفعل. ولم ياخذ عمر كلمات تارا على محمل الجد حتى...

.... اااا عمور مش يالا بقة عايزين ننام.

خلاص تعالوا.. معلش كنت حاسس انهم واحشني أووي.

حبيبي اكيد وقت ما تحب..بس...

بس اصل كلنا بنصحى بدري أنت عارف.. وبكرا بالذات لازم نصحى بدري كلنا مش كده يا عليا؟؟

ااه ااه هساعد هنا في مشروعها بكرا.

اممممم تمام.. تصبخوا على خير.

والأنت من اهله..

خرج عمر من الغرفة أخيرا بعدما مرت تلك الدقائق الماضية كالسنوات امامي. بقيت شاردة في تلك الالم التي تمكنت مني حتى شعرت بانني لا استطيع التنفس مجددا. ولكن لم ادري هذه المرة هل بسبب الحب ام فقط بسبب الالم؟؟

ليأتي صوت هنا وعليا بجانبني..

ياالله كنت حاسة انه شوية وهينام هنا كمان...

ياالانهار أبيض أنا كان قلبي هيقف... نور اطلعي خلاص عمر خرج.

.... اااا تمام.

أنتى كويسه؟؟ محسش بيكي صح؟؟

لم اجد كلمات توصف ما حدث معي قبل قليل حقا. فقط وجدت نفسي ارتمي داخل ضمة عليا لتحضنتني بحنانها الدافئ ايضا. كأنها ادركت تماما ما مررت بيه في تلك الدقائق.

جاءت هنا الي جانبنا ايضا. لتتضم الينا هي الاخرى. كأن كلامنا كانت بحاجة الي شيئا ما في تلك اللحظة وكنا نعرف جيدا ان الاخرى فقط من يملكه.

حتى مرت دقائق لم نعرف خلالها للكلمات طريق. حتى تمكنت من استجماع نفسي قليلا قائلة:

.... اااا أنا مش قادرة اقف خلاص. خلينا ننام دلوقتي احسن لازم امشي بكرة بسرعة.

.... تمام زي ما تحبي. خليكي هنا بين الولاد. وأنا وهنا جمبكوا هنا.

اشرت لها بالايجاب. لاصعد بالفعل بين تيمور وتارا كي اجد سكينتي بين ضمتهم لي مرة اخرى. بينما غفيت عليا وهنا على الجانب الاخر من السرير.

لم يأتي بعقلي لحظتها سوى شيئا واحد. اريد ان اغرق في نومي فقط كي تنقضي هذه الليلة نهائيا.

....

غرقت في نومي حقا. حتى ضوء ذلك الصباح الذي كان يوقظني قبلا. لم يتمكن من ايقاظي الان ابدأ. حتى تجاوزت الساعة التاسعة صباحا. ولم يتغير حالا ابدأ. كنت قد مازلت بين ضمة أولادي غارقين سويا في نومتنا بهدوء. حتى استقيظ عمر وصعد بالفعل الى الطابق الاعلى وكان على وشك دخول الغرفة حيث كنا... الان...

صباح الخير...

صباح النور.. الولاد لسه نايمين؟؟

اااه لسه بدري.. صاحينا أنا وهنا في البلكونة تعالى افطر معنا.

لأ مليش نفس بالهنا والشفا أنتوا.. خليني ابص عليهم قبل ما اخرج.
ااا لا.. بلاش دلوقتي..

....

اا اصل حرام بيصحوا من النوم يسألوا على مامتهم فلو شافوك دلوقتي هيزعلوا ثاني..
وأنت كمان بلاش تكلمهم وأنت في الحالة دي.

... عندك حق.. صحيح يا عليا.. تارا قالتلي حاجات كده امبارح؟؟
... ها؟؟ حاجات ايه؟؟

يعني انهم بيشوفوا نور على طول وبتلعبوا لعبة كلكوا حتى مكانش باين ابدأ انهم زعلانين
من حاجه ..

اااا اصل مينفعش طبعاً نقولهم مامتكوا سابت البيت. فهنا فكرت في موضوع اللعبة ده وانهم
في فريق واحد. ولما يكسبوا هنجيبيلهم هدية وكده.

ااااااااا احسن بردوه. كده افضل.
مش كده بردوه؟

... طيب أنا هغير هدومي وهنزل..
هتروح فين دلوقتي؟؟

... اي حته.. اي حتى ممكن الاقيها فيها واشوفها ثاني.

ذهب عمر في طريقه.. بينما بقيت عليا لثواني تنظر بحزن من وراء أخيها. من ناحية
حزنا على حالته وعدم قدرتها على مساعدته حقاً. ومن ناحية اخرى لشعورها بان صداقتنا
اصبحت تتعارض مع علاقتها بأخيها.

جات هنا اليها لتجدها شاردة قليلاً :
مالك يا عليا واقفة كده ليه؟؟

... عمر صعبان عليا أووي. معقولة تبقى مراته قدام عينه وميشوفهاش.

وأنا كمان والله. بس مينفعش نتدخل يا عليا.. أنتي شايقة نور مصرة ازاي على قرارها اكيد
هما ادري بالي بينهم. احنا علينا دلوقتي ندعمهم بس اي كان ايه قرارهم. مش ده كلامك؟؟

.... عندك حق.. اصلاً خلاص كل الأوقات الس كان هيعرف بوجودها فيها هنا دي ملهاش
غير معنى واحد. انهم قريبيين من بعض أووي حتى لو بنتهم مسافات.

بالظبط.. وبعدين خلينا نشوفها بقه قبل ما ماما نفسها الي تيجي...
اااه متفكرنيش والنبى.

دخلوا الفتيات الغرفة على الفور. ليجدوا انى قد استقيظت بالفعل حتى بقيت في مكاني
احتضن أولادي.

ياااه صباح الخير..

صباح النور..

يعني لو تستقري على حل بقه .. عايزه يشوفك ولا لأ؟؟

هو مين ده؟؟

عمر.. كان هيدخل الأوضة لولا عليا معنته.

... بجد؟؟ عشان كده شكلك مضايق كده يا عليا؟

.... نور كنت قتلتي قبل كده الي عمر الي أنا اعرفه غير الي أنت عرفتته. تمام يمكن معاكي
حق.. بس عمر الي قدامي دلوقتي أنتى كمان متعرفهوش. متعرفيش حزين ازاي وتعييس
ازااي وضايغ ازاي بس عشان مش عارف يوصلك. في الوقت الي أنتى هنا قدام عينها..
حتى احنا مضطرين نخبي عنه ده.

.... عرفت عرفت يا عليا... شفت بعيني قد ايه هو حزين وتعييس زي مابتقولي.

ااااااه؟

ايووه. امبارح شفت وعرفت... ااا وبالنسبة انكوا مضطرين تخبوا.. أنا عارفه اني مسيلكوا
مشكلة.. وأنا اسفه حقيقي على ده... عامة أنا لازم امشي دلوقتي قبل الولاد ما يصحوا كمان.
وتحصل مشكلة زي امبارح..

... نور أنتى عارفه كويس اني مش قصدي از علك بكلامي. بس بجد وضعكوا ده مز علني
أووي... حقيقي قلقانة عليكوا أنتو الاتنين.

أنا عارفه يا عليا مش محتاجة تبرري. عامة متقلقيش الموضوع مش هيطول اكثر من كده..
مينفعش نسيب القوس مفتوح خلاص.. كفاية الايام الي فاتت.

قبلت الأولاد كثيرا. حتى أوشكت على الذهاب. حتى اعترضت هنا طريقي قائلة:

هنشوفك تاني صح؟؟ دي مش اخر مره؟؟

.... متقلقيش.. حتى لو الأخيرة في حياة اخوكي. مش هتكون الأخيرة معاكوا.

ودعت الجميع وتركت نفسي مجددا بين يدي أولادي.. تأكدنا سويا انه لا يوجد احدا
بالقرب من المنزل. وذهبت مجددا في طريقي. بعدما ادركت تماما ان هذة المرة لن تكون
كسابقها ابدا..

مشيت باتجاه الطريق تماما كالمرة السابقة. حتى وصلت الى السيارة التي سوف
ترجعني الى الفندق مرة اخرى... ولكني لم أنتبه ابدا لحظتها ان هناك من راقب طريقي
معي حتى وصلنا الى الفندق سويا.

اممم .. بس شكله بيحبك بجد.. أنتى كمان كده..

.... ايوه طبعا.. والا مكناش استمرنا للانهارده.

ماشاءالله.. والولاد بقه شبهك ولا شبهه؟؟

تصدق ولا مره سألت نفسي السؤال ده...

بجد!! يعني مش عارفه ولادك طالعين لمين؟؟

لا .. بس الحقيقة كل الي يهمني انهم يطلعوا احسن.. مني ومنه.

ربنا يخلي ويبارك فيهم يارب.

.... امين يارب.. ااا معلىش يا حمزة الوقت اتأخر ولسه عندي حاجات اعملها قبل ما عمر

يجيي.. استاذنك دلوقتي.

ااا طبعا طبعا.. بس خلييني اشوفك تاني بقه لو لسه قاعدة.

ااا الحقيقة مش عارفه ممكن منطولش هنا.. عشان الولاد مش معانا.

اكيد.. فرصة سعيدة.

مع السلامة.

أنتهى اللقاء وأنتهت كذبتى معه. لم الاحظ من قبل انى استطيع الكذب هكذا ابدا. أو
بالاصح لم اكذب هكذا من قبل. رغم ذلك لم يكن من الصحيح ان اقول شيئا اخر. فقط فعلت
ما شعرت انه الاصح فى تلك اللحظة والأمن لى.

اخذت نفسي وصعدت غرفتي أخيرا. فقط كى القى نفسي على سريري استريح من كل
تلك الحروب التى وجدت نفسي داخلها دون ارادة منى.

لم ادري كم مر على من الوقت هكذا. فقط حين بدء ضوء النهار فى الاختفاء.. قمت
اهرب الى شرفتي مرة اخرى.. حتى مضت ساعتين كاملين وأنا فى مكاني. لم اتحمل بردوة
الهواء كثيرا. فدخلت الى داخل الغرفة مرة اخرى. ولكن حين كنت اغلق باب الشرفة لحظت
خيالا لاحدا ما خلفي. لا لم يكن خيالا هناك احدا معى بالغرفة فعلا.

تجمدت مكاني للحظات شعرت انها سوف تطول كثيرا.. حتى لمحت ذلك السكين الذى
كان يوجد داخل الطبق على طاولة الشرفة. لم ادري وقتها هل فقط هذا ما جاء بعقلي؟ ام
فقط هذا ما تبقى امامي؟

ظل هذا الشخص خلفي وامام عيني في زجاج الباب.. لا يتحرك ولا اتحرك أنا ايضا.
لم اتمكن ابدا من رفع عيني لاعلى قليلا كي ارى وجهه ولا النظر ورائي ايضا.. حتى مرت
ثواني كنت احاول استجماع نفسي فيها جيدا. اخذت نفسا عميقا.. لم يستغرق الامر سوى
ثواني معدودة فقط حتى فتحت باب تلك الشرفة سريعا وركضت الى داخلها امسك السكين
بيدي. احتمي بذلك الجدار خلفي.. حتى....

حتى مرت تلك اللحظات مجددا. ولكن هذه المرة وأنا احاول الاستعداد لمواجهة شيئا لا
اعرفه ابدا. كنت احاول التنفس رغم تلك الخوف الذي تملك مني في تلك اللحظة. حتى تلك
اللحظة التي شعرت انها قد تكون نهايتي. حاولت تجنبها تماما. فقط كنت اخبر نفسي ان كل
شئ سوف يكون على ما يرام. ولن يصيبني شيئا تلك الليلة...

كانت عيني لا تفارق باب الشرفة ابدا. حتى لمحت خيال ذلك الشخص يقترب من
الشرفة. لاجد نفسي امام تلك اللحظة التي كنت اتجنبها وابعدها عن راسي قبل قليل. فقط
الفارق الوحيد اني لم اعد امام شيئا لا اعرفه ابدا. بل اني الان وفي تلك اللحظة وذلك المكان
تماما واجه ما كنت اهرب منه طوال اسبوعا كاملا. لا بل طوال خمس سنوات كاملة.
امام...

..... عمر!!

.....

نعم! توقف الزمن مرة اخرى. وتوقفت الارض حيث بقيت أنا. أنتهى الهواء من حولي.
وبقيت أنا بلا نفس.. حتى قلبي لم اعد اسمع نبضه جيدا. رغم انه كان على وشك الخروج
مني حقا من شدة نبضه. بقى كل شئ في مكانه وبقيت أنا انظر اليه اتأكد من ان ما اراه
حقيقي الان. لا بل كنت احاول ايجاد منفذ لنفسي بعدما بنيت كل تلك الحواجز بيننا. كنت
احاول ايجاد ممرا الى خارج تلك الغرفة. أو هذا ما كنت اعتقده فقط. لكن الحقيقة اني كنت
احاول الهروب من عينه التي ظلت عالقة بي كمن وجد شيئا يبحث عنه منذ سنوات. والان
لا يستطيع ان يفارقه ابدا.

...

قبل ساعات من الان

هنشوفك تاني صح؟؟ دي مش اخر مره؟؟

.... متقلقيش.. حتى لو الأخيرة في حياة اخوكي. مش هتكون الأخيرة معاكوا.

ودعت الجميع وتركت نفسي مجددا بين يدي أولادي.. تأكدنا سويا انه لا يوجد احدا بالقرب من المنزل. وذهبت مجددا في طريقي. بعدما ادركت تماما ان هذه المرة لن تكون كسابقها ابدا..

مشيت باتجاه الطريق تماما كالمرة السابقة. حتى وصلت الى السيارة التي سوف ترجعني الى الفندق مرة اخرى... ولكني لم أنتبه ابدا لحظتها ان هناك من راقب طريقي معي حتى وصلنا الى الفندق سويا.

فكان عمر مازال ينتظر داخل سيارته على الطريق المقابل. فمئذ خروجه من المنزل لم يعرف وجهته ابدا. فقط ظل عدة دقائق بالسيارة لا يتحرك منها ولا يتحرك بها ابدا. عينه لا تفارق الطريق ابدا.. كأنه يبحث في كل المارة بجانبه عن اي اشارة حول المكان الذي سوف يبحث فيه اليوم عني.

ولكن لم يخطر بباله ابدا انه سوف يراني شخصيا وأنا اتواجه الي السيارة التي كانت تنتظرني على بعد امتار منه. كي ترجعني الى الفندق. فبمجرد ان لمحني امامه لم يصدق نفسه ابدا. وظلت عينه لا تفارقني كي يتأكد من صحة ما يراه الان بالفعل. صحيح قد اعترته بعض السعادة. حتى ادرك انه لا بد من ان يلحقني طول طريقي بدلا من ان يتعرض له الان.

وبالفعل ظل يلحق بي من المنصورية حتى وصلنا الفندق سويا دون ان أنتبه له. نزلت من السيارة امام الفندق ودخلت سريعا اتواجه الي الاستقبال. بينما ظل هو لحظات يحاول استعياب الموقف من حوله. حتى نزل ورائي ليدخل الفندق يبحث عني بعينه. حتى وجدني اتحدث مع حمزة امام طاولة الاستقبال بالفندق. ظلت عينه لا تفارقنا ابدا وتتابع حديثنا سويا وجلوسنا.. حتى مغادرتي له وصعودي الغرفة ايضا. كانت عينه تحمل الكثير والكثير من الغضب ومشاعر كثيرة اختلطت ببعضها. حتى مرت عدة ساعات وهو جالس بالطابق الارضي للفندق يفكر كيف يمكنه مواجهتي ويحاول ايجاد كلمات تصف كل ما مر بي خلال هذا الاسبوع. الا انه الان شعر بانه تناسى كل شئ فقط بمجرد رؤيتي مع شخص اخر.

فرغم كل تلك المشاعر الغاضبة التي احتلتها. ليس فقط لظهوري امامه من حيث لا يدري. بل ايضا لرؤيتي اتحدث بكل هذا الود طبقا لما خطر بعقله لحظتها بالطبع مع احدا اخر. حاول التحكم بنفسه كثيرا والسيطرة على اعصابه بصعوبة شديدة. حتى قرر استغلال الموقف لصالحه مرة اخرى. فتوجه سريعا الى الاستقبال بالفندق.. محاول التخفي بعيدا عن نظري.

مساء الخير...

مساء الخير يا فندم اهلا بيك..

لو سمحتي عايز اسأل عن حد نازل عندكوا هنا في الفندق.. نور صالح المفروض كنا هنجي مع بعض.. بس هي سابقتني من كام يوم..

... بنعتذر يا فندم مينفعش ندي اي معلومات عن النزلاء.

هههههه لا لا حضرتك فاهمه غلط.. لحظة دي بطاقتي هي تبقى مراتي.. والحقيقة أنا عايز حضرلها مفاجأة في الأوضة عشان عيد جوازنا.. فمن فضلك ساعديني ...ع الاقل قوليلي رقم الأوضة... من فضلك.

....

لو سمحتي.. متخيليش هتفرح ازاي. أنا بقالي شهور بحضرلها المفاجأة دي.. ومع الاسف زعلت مني عشان اتأخرت عليها هنا .. فمساعتك هتفرق كثير معيا.. وتقدري تاخدي الضمانات الي عايزها خلي بطاقتي هنا.. كمان مفتاح العربية الي أنتي عااايزة.

ياااا فندم مينفعش طبعاً... خلاص تقدر تسيب البطاقة حالياً .. بس لحد بكر الصبح لو مدام نور مجتش اكدت على وجود حضرتك كمان.ز هتقدر هبلغ الامن فوراً.

اكيبيد مفيش اي مشكلة.. بس من فضلك بلاش تبلغيها اني موجود دلوقتي.. خليني اصالحها أنا الأول.

...

تمكن عمر من اقناع الموظفة بالفعل. وحصل على رقم الغرفة.. صعد الى الطابق وبمجرد وقوفه امام الغرفة. لم يتمكن من دق الباب. فشعر انه من الافضل ان يدخل الغرفة مباشرة. كي لا امنعه أنا من الدخول اذا عرفت بوجوده.. ظل لحظات يتجول امام الباب. حتى لمح احد عمال الفندق في الممر بالقرب منه. فكان أول ما خطر بعقله...

اااا لو سمحت.. أنا خرجت من الأوضة ونسيت المفتاح جوه. ممكن تفتحتلي بالـ master key؟

طبعاً يا فندم.. تحت امرك.

شكراً جزيلاً.

كأن كل العالم الان قد تكاتف كي ينفذ خطته على اكمل وجه. فبالفعل تمكن العامل من فتح باب الغرفة. ليدخل عمر ممسكاً بالباب سريعاً قبل ان يحدث اي صوت. خاصة وانه حتى فتح الباب امامه. لم يكن يعرف كيف سيواجهني بعد. وكيف ستكون ردة فعلي أنا حين اراه يقتحم غرفتي بهذا الشكل.

الا انه شعر بان كل شئ يسير في الاتجاه الذي يريده بالفعل. حين لم يلح وجودي بالغرفة نفسها. ليجدني أخيرا بالشرفة جالسة فيها شاردة تماما لدرجة اني لم أنتبه بالفعل الى دخوله الغرفة هكذا. تجمد عمر مكانه قليلا حين لمح وجودي بالشرفة. لم يعرف هل يذهب الي ام ينتظر دخولي الغرفة فقط؟؟

شعر بان الامر قد يسغرق بعض الوقت منه. فقرر الاختفاء بالحمام قليلا.. حتى يستجمع افكاره وكلماته لتلك اللحظة التي أنتظارها كثيرا طوال ايام.

فكانت اللحظة الحاسمة حين خرج من الحمام في نفس اللحظة التي كنت اخرج أنا منها من الشرفة.. ليظل لحظات واقفا ورائي ينتظر مني ان اخطو خطوتي الأولى اليه.. الا ان تلك اللحظة جاءت بشكللا مختلف. حين شعرت بوجود احدا ما معي. ودخلت الى الشرفة سريعا احتمي بذلك السكين.

...

.... عمر!!

....

ااأنت .. أنت دخلت هنا ازاي؟؟

لم ينطق بكلمة ولم يعاتبني حتى بنظراته. كان ينظر الي بطريقه مختلفة وكنت انظر اليه بطريقه مختلفة ايضا. كنت انظر اليه بخوف وصدمة كبيرة. بينما كان هو ينظر بشوق وغضب شديد. لم اعرف كيف اجتمعت كل هذه المشاعر بمكانا واحد؟ ولم اعرف كيف تلك الشرفة الصغيرة تلك المشاعر الغريبة ولم تنهار بيينا؟ كما انهت أنا.

دخل الي الغرفة.. وسقطت السكين من يدي. التي لم تتمكن من تحملها اكثر من ذلك. كنت اتنفس بصعوبة شديدة. رغم هذا كان أول ما خطر بعقلي اني لن اريد اظهار هذا له. والاهم لن انسى ابدا ما الذي جلبنا سويا الي هذه اللحظة. ولم يمنعني ذلك الشئ الساكن بعينه تماما من ان اظهر امامه بنفس ذات القوة والشجاعة التي جعلتني انفذ ذلك القرار قبل اسبوع. ولن انهار الان تماما امامه. بل ساطل ثابتته تماما خلف موقفي. ولن اجعله يضعفني.. كما كان من قبل ابدا..

دخلت ورائه. اغلقت باب الشرفة. بقيت انظر ناحيته للحظات. حيث كان يعطيني ظهره.. حتى تمكن هو الاخر من استجماع كلماته. كي ينطق بما لا ينسني ابدا ان من امامي الان هو نفسه عمر.. الذي كنت احاربه منذ سنوات طويلة. واليوم سوف انهي هذه الحرب بنفسني.....

... الأنتى ... هو ده الي أنتى سبتنى عشانه؟؟ هو ده الي سبتى بيتنا وولادنا وحياتنا
عشان تكوني معه؟؟ البني ادم الي كنتي معه تحت أول ما دخلتي الفندق.. والظاهر انه كان
مستنكيكي على نار ضحكته بقت من هنا لهنأ أول ما شافك.. أنا مش قادر اصدق بجد؟؟ الأنتى
ازاي تعملي كده؟؟ رمتي كل حاجه بينا في ثواني بس عشان ده؟؟ عشان واحد ثاني؟؟ ليه؟؟
وامتى وازاي؟؟ الأنتى ازاي كده؟؟ وأنا ازاي... ازاي مشفتش كل ده فيكي؟؟

بس عارفه؟؟ أنتى صح.. خليكي هنا ... كان لازم تمشي فعلا لانك متستاھلش ااي
حاجه م الي كنتي فيها.. وأنا... أنا بتكلم معاكي في ايه اصلا؟؟ بضيع وقتي وخلص....

كان على وشك الخروج من الغرفة بعدما رمى كل احكامه وسمومه في وجهي. قتل
القتيل ثم نصب المحكمة. ونصب نفسه القاضي الوحيد.. ثم اصدر محاكمته دون الشعور
لحاجه وجود محامي.. قلب الطاولة مثلما كان يفعل دائما امام مرأته.. فقط كي يستمر في
تنويم ضميره وخوفه من مواجهة نفسه ايضا. لذلك... هل دهشت؟؟ هل تفاجئت بتلك
المسرحية السخيفة؟؟ ابدأ.. بالعكس تماما. بل اردت في تلك اللحظة تماما من تطبيق كل ما
تعلمته منه سابقا عليه الان.. وفي نفس اللحظة ايضا.

توقف مكانه مندهشا حين سمع صوت تصفيق يدي من خلفه بمجرد ان انهى كلماته.. التفت
الي مرة اخرى. ليجد تلك البسمة تحتل وجهي ويدي لا تتوقف عن التصفيق.. حتى قلت:

.... برافو هاااايل كالعادة.. الايه العبقريه دي؟؟ هااا بقه الدور على ايه دلوقتي.. هتهرب
ثاني مش كده؟؟ لعبت لعبتك اتأكدت ان محدش شايفك.. وبعدين هتهرب ثاني زي ما بتعمل
كل مره تيجي عينيك في عينيا مش كده؟؟

.... الايه؟؟

ايه؟؟ مالك مصدوم ليه؟؟ هو أنت فاكرا ان الشويتين دول هيخلوني اضعف واخاف
واقول ياالخبير أبيض ده بيشك فيا. ده فاكراي سبته عشان حد ثاني.. لأ ثواني بقه الانسى اي
حاجه ثانيه دلوقتي وابررله بسرعة اني مش خاينة وحقيرة زي ما هو شايفني كده.. انسى
كل وجعه فيا طول السنين دي.. وصلحي نظرتة ليكي دلوقتي يالا... الايه يا أخي الايه
الجبروت ده؟؟ الأنت فاكرا نفسك ايه؟؟ فاكرا انك هتفضل متحكم في كل حاجه حواليك لحد
امتى؟؟

ايه فاكرا اني هفضل عبيطة وضعيفة كده لحد امتى؟؟

الأنت نفسك مش مصدق ولا حاجه م الي بتقولها. بس لاقيت قدامك حجة ... حكاية
جديدة تعيش عليها شوية بس عشان محطش عيني في عينيك زي دلوقتي كده واحاسبك على
كل حاجه عملتها فيا.

تحااااسبيني؟؟ أنتي الي تحاسبيني؟؟

اليوه يا عمر.. وأنت الوحيد في الدنيا الي عارف كويس انه حقي. وانك فضلت تهرب سنين بس عشان منوصلش للحظة دي دلوقتي. فضلت عمرك كله ميعشني في كذبة وسجن أنت بس الي عاملته.. أنت بس المتحكم فيه.. وأنت بس الي كنت بنتأكد كل يوم اني جواه. ومش هخرج منه ابدًا.

فضلت تعاقبني على موت اخوك كل يوم.. كأن أنا الي قتلته .. فضلت تاخذ حقك مني فكل مره تقربلي فيها.. ده أنت حتى... ده حتى احتمال موتي مغيريش فيك حاجة. حتى موتي مكانش كفاية بالنسبة لك عشان تفهم.
... الي بتقولي ده... مش حقيقي.

لا حقيقي... ممكن تفضل تنكر طول حياتك. بس بردوه هتبقى عارف انها الحقيقة.. أنت الكذبة الكبيرة. أنت الي كل حاجة عيشنتني فيها من سنين كانت كذبة كبيرة... كل حاجة قلتها وعملتها كانت كذب في كذب.. عشان بس تحتفظ بيا في حياتك.. أنا بس نفسي افهم أنت مخلني جمبك ليه؟؟ الأنت معيا ليه؟؟ كل السنين دي مقدرتش حتى تبص في عيني تقولي انك بتحبني. ورغم كده محتفظ بيا جمبك بس عشان تاخذ حقك مني.

بس أنا بقه اشجع منك.. سبتك لما حبتك.. سبتك وأنا عارفه كويس اني هقعد كثير أووي عشان اكرهك واشيلك من قلبي.. انما أنت كل يوم كنت مصر تخليني اكرهك غصب عني. كنت بتعمل كل حاجة عشان اكرهك بجد..

ضحكت عليا وفهمتني ان اهلك عايزين يقتلونني بس عشان ارضى اتجوزك. اهلك الي مشفتش حد في طبيتهم واحترامهم. حتى خالك أكرم دخلته في لعبتك بس عشان اصدق.. الراجل الي من أول يوم لآخر يوم في حياته مشفتش منه غير كل محبة واحترام.. وأنا بغبائي صدقتك. صدقتك لدرجة اني سلمت لكلامك كده عادي .. عشت شهور بسأل نفسي كل يوم ازاي بني ادم بالطيبة دي يفكر يقتل اصلا؟ ازاي يعاقب حد على جريمة حد تاني. اتاري كل ده كل كذب في كذب وأنت الي أناني لدرجة انك ورطت اهلك الي بيجبوك بجد في خططك دي.. حتى عينيك علمتها الكذب بعد ما كنت صدقت انهم بيجبوا اصلا. خلتنني اصدق شهور انك واحد تاني .. كأن كل الي عشنا قبل عيد ميلادي كوم ومن بعدها كوم تاني خالص. دخلتنا في طريق أنت بس الي كنت عارف هتوجع في ازاي. بقينا واحد تمام.. خدت الي أنت عايزه تمام.. بس ياالترى بقه البني ادم الي كان معيا من أول يوم ده راح فين؟؟

اختفى كأنه مكانش من الاساس.. كنت في حلم وصحيت منه على وجع والم هيفضل محفور جوايا عمري كله.. أنا ... كنت فاكراه ان هو ده الحب.. سنة ونص وأنا فاكراه ان اترك الي بتسيبه فيا هو ده الحقيقة. بقيت اقوم من نومي ادور على البقعة الزرقا الجديدة الي هتظهرلي.. كنت بتألمني وبتوجعني وأنت عاالرف ده كويس.. وفضلت كده بس عشان تنتقم مني على موت اخوك... نسيت انه... مش اخوك بس الي مات اليوم ده يا عمر. اخويا كمان... اخويا الوحيد الي مكانش ليا غيره في الدنيا... تعرف؟؟ كنت فاكراه اننا فاهمين بعض بس عشان عشنا نفس الوجع. لكن حتى دي طلعت كذبة.

انهيت كلامي والتفت ناحية الشرفة. ابكي.. ابكي نفسي وكل ما كسرني. ابكي لما مر امام عيني في لحظات سريعة الان. كل شئ بدأ من تلك اللحظة التي جاءت عيني بعينه فيها يوم اجتمعنا سويا بمكان وجعنا الابدي فوق جثث اخوينا. حتى تلك اللحظة التي نعيشها الان حين رفع يده علي واراد كسر كرامتي ايضا كأن لم تكفي ابدا كسرة قلبي.. اراد التأكد من دفني ارضا الى الابد... ولكن لماذا يدق قلبي هكذا اذن؟ لماذا ينبض كأنه لم يكن موجودا سابقا؟؟ لماذا ينبض الان مثل.... مثل ذلك اليوم الذي صدقت فيه حب عمر أول مره؟؟ الم يكن هذا خداعا؟ الم تكن اعلان حربه علي؟ اذن لماذا لا تذهب عينه في هذا اليوم من امام عيني الان؟؟... هل مازالت حقا...

افقت من شرودي على صوت تكسير قوي يأتي من خلفي. ينذر عن ان عمر قد قام بفعلته مرة اخرى ولكن هذه المرة ايضا لم يكفي هذا...

.... الأنت اتجننت ايه الي بتعمله ده؟؟

اه اتجننت... اتجننت بيكي أنتى.

هل حقا ما يحدث الان؟ نعم! فأنا بين يديه الان ياخذ روعي ويرجعلي انفاسي التي سبق وهربت اليه منذ زما بعيد. الان فقد ادركت. نعم مازلت احبه. احبه لدرجة تجعلني اتنفس معه نفس الهواء مرارا وتكرارا فقط لانه الان ذكرني بهذا الشخص الذي كنت انظر في عينه قبل سنوات.. ذكرني بهذا الشخص الذي احببته ووجدت نفسي داخل عينه ولو لفترة قصيرة. نور أنا بجد بحبك ومستحيل اتخلى عنك.

الأنت محتاج قلبك عشان تكون معيا...

أنا مش محتاج غيرك أنتى وبس.

كنت دائما اصدق ان الحب يفعل المعجزات. وان لم يكفي لأبي سابقا. فهذا لا ينفي قوته وتأثره ابدا. فالحب الذي رايته من أخي كان يكفيني دائما. والحب الذي صدقت وجوده بقلب امي لي دائما كان كفاية ايضا. صحيح استغرق الامر مني سنوات عديدة لادرك ان للحب اشكالا عدة. وان كل علاقة بحياتنا تحمل قدرا مختلفا من هذا الحب. فهناك عليا وهنا التي جمعنتي بيهم علاقة متخلفة دائما. فكانوا سببا لاضحاكي وصمودي دائما.. فكنت اعيش معهم شيئا مختلفا تماما عما اعيشه مع عمر رغم وجودنا جميعا اسفل نفس السقف. رغم وجود الالم والأوجاع بين جدران غرفة. فكانت دائما هناك الضحكات وحتى بعض الدمعات ولكنها ليست موجعة ابدا بين جدران غرفة اخرى.

حتى عالية والخال أكرم واسرته.. لم اعرف سابقا ابدا معنى التقدير والمحبة الغير مشروطة الا عندم اقتربت منهم وضموني اليهم دون التفكير في شيئا اخر. رغم كذبات عمر التي حأوطتني في بداية علاقتي بيهم. الا ان محبتهم واحترامهم ودعمهم لي في اصعب أوقاتي دائما. كان كافيا ان يهدم اسوارا عالية دائما..

صحيح اني قد اختبرت كل تلك المشاعر تحت سقف بيتا واحد. كنت اعتقد اني عرفت الحب والصداقة والعائلة في هذا البيت. حتى اختبرت مشاعر مختلفة تماما حين اصبحت ام. فوجود تيمور وتارا بحياتي لم يكن فقط سببا لتمسكي بالحياة. بل ادركت اني اصبحت اقوى واكثر اصرارا في وجودهم. فرغم معرفتي السابقه دائما بعدم تحمل قلبي. لم يخطر ببالي ابدا التخلي عنهم. حتى وجود احتمالية موتي اثناء ولادتهم لم تكن ابدا كافية لي. ولكن ما اختبرته معهم منذ اللحظة الأولى التي سمعت صوت بكائهم فيها. كان شيئا خياليا تماما لم توجد كلمات لوصفه ابدا. ولن تكفي كلمات لمعرفته ايضا. فقط كنت ادرك طوال اربع سنوات ان ربنا لم يضع بقلبي محبتهم الفطريا فقط. لم كان يزداد يقيني دائما بانني عرفت محبة امي ايضا من خلالهم. رغم اني لم اعرف منها سوى رائحتها وبعض الصور وحكايات عنها. ولكن كانت تغمرني سكينه غريبة بمجرد وجودهم معي وضمهم لي. صحيح فكل الرأوبط الانسانية بالحياة تكمن اهميتها في مشاركتها. الا رابط الام بطفليها.. فحتى وان كان من طرفا واحدا فهو يكفي ويزيد دائما.

....

كنت اعلم دائما انى اختبر مشاعر متخلفة تماما مع عمرى. ليس بشكل عام ولكن حتى الحب بيننا كان مختلفا دائما. فذلك الرجل الذي كان ينتقم منى ويعنفنى بشكلا أو باخر كلما تقرب منى سابقا. يختلف تماما عن هذا الرجل الذي يحتضنى الان بحنانا تام وحب كبير لم اعرفه معه من قبل. حتى تلك الليلة الأولى التي تمكن منى فيها كانت تختلف عن الان. رغم انى رايت نفس الشوق ونفس المحبة بعينه اليوم ايضا. الا اننا البارحة اصبحنا اشخاصا مختلفين تماما حتى فى تقبلهم لبعضهم. صحيح لم امنع نفسي عنه ولم يكن هو ينتقم منى. كأني لأول مره اعرف معنى الحب الحقيقي فى وجوده. ولأول مرة ايضا ادرك اننا روحا واحدة تتنفس فقط فى جسدين مختلفين.

حل الصباح وكلا منا لا يترك يد الاخر كأننا للتو اجتمعنا. فتحت عيني أولا لاجد نفسي بين يديه. مستندة على صدره كأني لم ارد تركه ابدا. لم ينطق احدنا بكلمة لفترة من الزمن. ربما دقائق.. وربما اكثر....

... لو تعرفى بحبك قد ايه.. أنا معرفتش طعم الحب غير معاكى. ومحبتش غيرك فى الدنيا.. مكنتش بحلم غير بيكى ومكنتش عايز غيرك م الدنيا. كنت بحلم باليوم الي تكونى فى ليا وعلى اسمى.. بس فجاة وأنا مستتى خسرت اهم واحد فى حياتى.. كنت غرقان فى احلامى.. فجاة لاقيتنى قدام وجع كبير وجع مكنتش متخيل ابدا انى اعيشه. وجع عرف يدخلى من اقرب حد ليا. مكنتش فاهم انى نسيت اخويا ومركزتش بس غير على الي خده منى. ولما اختفى واستخى مكانش فى قدامى غيرك. أول مرة جرحتك فيها لما كنا واقفين فى البلكونة .. للحظة نسيت الوجع الي فى عينيك ومشفتش غير وجعى بس.. فوجعتك زيادة.. وقتها رمتنى بالمياة. بس الحقيقة كنتى بتفوقنى.. وقتها لو كنت فهمت انى بنفذوجى على اخويا فى الشخص الغلط.. يمكن مكنتش ضيعينك من ايدي ابدا.

كل حاجه بقت تحصل بسرعة لدرجة انى فعلا لهت نفسي ونسيت اعيش زعلي على اخويا وصاحب عمري.. نسيت انى فقدت اتنين مش واحد. ونسيت ان حواليا ناس كثير موجوعه كمان. أولهم البنات الي بحبها الي المفروض كنت احميها حتى من نفسي. لاقيتني بلجاً للكذب والخطط بدل ما اعترفك بمشاعري.. أنا فعلا كدبت عليكى.. كدبت حتى على نفسي.. عيشتك في وهم انى اقدر احميكي اتارني اكثر واحد اذاكى بجد.. بس كنت بحبك دايمًا والله العظيم بحبك. المشكلة بس... انى في وسط كل ده نسيت. نسيت لدرجة ان مشاعر تانيه جوايا فضلت تكبر لحد ما اتحكمت فيا. كل الي حصل لحد عيد ميلادك كان حقيقي.. والله العظيم كان حقيقي. بس مش عارف ليه ولا مره استجمعت شجاعتي وقدرت اقولك انى بحبك. كأنى فعلا كنت خايف ده يظهرني ضعيف قدامك. حتى بعد ما... ما بقينا واحد. صحيح انى ملكت الدنيا في ايدي. بس وقتها غروري اتحكم فيا. كنت عارف كويس انك بتحبنى.. كنت مستنى ان أنتى الي تيجي وتقولي الأول. ولما أنتظاري طال. لاقيت مشاعري القديمة رجعت تتملك منى تانى.. بقيت حاسس ان مراد بينا في كل لحظة بكون معاكى فيها. عارف انك ملكيش ذنب. حتى مشاعره ناحيتك أنتى مش مسؤوله عنها.. بس رغم كده مكنتش اعرف اسيطر على نفسي. كنت بوجعك وأنا عارف انى بوجعك... لحد ما مع الوقت نظرتك ليا اتغيرت.. فهمت انى بدأت اخسر حبك حتى قبل ما اكسبه. أو بمعنى اصح كنت فاكر انك مكنتيش بتحبنى اصلاً. فبقيت عايز اتملكك والسلام.. كنت دايمًا بقولك انك ليا وانك بتاعتني أنا وبس. الحقيقة انى كنت بفكر نفسي دايمًا مش أنتى بس.. كنت بحاول امنعك دايمًا انك تفكري أو حتى تحسى ان عندك حلول تانيه أو مكان تانى.. مش بيقولوا لو فضلت تقول لنفسك كل يوم فكرة معينة هتصدقها.. وأنا خلثك تصدقى ده...

ولما مشيتى ... فجأة مشيتى.. كنت هتجنن عليكى.. فجأة كل الاسوار العالية الي بنتها بايدي اتهدت. الحقيقة انى مفهمتش ايه الي حصل غير بعد فوات الأوان. لما دورت عليكى كل يوم وملقنتكيش. لما فهمت انك فعلا مش عايزنى الايكي. لما كل يوم كنت اصحى الاقبي انه مش حلم وانك فعلا مش معيا. مش موجوده جمبى. أنا فعلا خفت... خفت لأول مرة لما لاقيتنى هواجه ولادنا كل يوم وأنا السبب انهم يخسروكى. لما فهمت انى هعيش بذنبك وأنا اصلاً ذنوبى كثيرة. معاكى حق.. أنتى الي معاكى الحق... أنا خسرتك من قبل حتى ما الايكي. ومحدث غيرى السبب في ده.

كنت ابكي في صمت وأنا اسمعه. نعم سمعت كل شئ.. كل كلمة تقوه بيها. وهو ايضا يعرف انى سمعته.. الحقيقة انى فهمت لأول مره لماذا احببت هذا الرجل. فهو الان لم يعترف لي فقط. بل أخيرا تمكن من فهم نفسه وما بداخله حقًا. ومايشعر بيه للجميع وليس فقط لي. فهو لم يكره مراد.. بل كره ذلك الضعف الذي شعر بيه بسببه. كره استسلامه لشيطانه بان ليس اي مما حدث يكفي. بل اراد دائمًا ان يواجهه بنفسه.

لم ينفس عن غضبه ولا حزنه بشكل كامل. فصار يضرب بيه يمينا ويسارا. حتى انه نسي انى أنا من اصبحت احاوط اطرافه كلها. فصارت ضرباته تطولني أنا وحدي. ووحدي فقط.. صحيح صرت أنا منفذ غضبه. ولكن حتى هذا لم يفييه. كان يستزيد كل يوم طمعا وحقدا تجاه مراد. ثم تجاهي أنا حتى أنتهى منا جميعا. الى ان اصاب نفسه بنفسه ايضا..

كانت لمساته مختلفة تماما هذه المرة. لم يمسك بي كي يوجعني. ولم يتركني بعدها ابدا. كان يحمل يدي بين يديه تماما كما لو كانت تنتمي اليه فقط. اما أنا فشعرت فقط في تلك اللحظة انى اريد الانصات له. صحيح تمكنت كلماته من قلبي ايضا. ولكن ولو في مكان عميقا جدا بداخله. كنت اشعر بان حزني منه لم يزول بعد... أو ربما لن يزول ابدا.

نور أنا عارف انك سامعني... عارف انى اذيتك كثير.. بس كمان عارف ومتأكد انك حبتني بجد.. عشان كده طلبي الوحيد منك لو لسه بتحبني. لو في جواكي اي امل صغير ليا متسببنيش.. متخليش غضبي يهزم حبي تاني... عشان خاطري.

.... وايه الحل يا عمر؟؟ كل حاجه هتبقى كويسه بس عشان... عشان بقينا واحد ولا عشان مقدرتش ابعده عنك؟ أنا لما طلبت الطلاق بجد كنت عارفه كويس انه احتمال موجود.. حتى لو وصلنا لهننا بس في لحظة ممكن تتخلى عني زي ما اتخلت عني زمان. الفرق الوحيد انه المرة دي هتكون على طول. عشان كده لسه لازم اقولك يا عمر.. لو أنت الي لسه جواك اي كره أو غضب ناحيتي ابعده عني... ابعده عني لانى مش هسيبك تأذني أو تعاقبني تاني.. حتى لو لسه ب...

ب... ايه؟؟ ب ايه قولتي؟؟ نور أنا عمري ما اتخليت عنك ولا كرهتلك.. بس لو في لحظات ضعفت وانهممت قدام خوفا وضعفي.. ده بس لان الغضب عمى لي عينا.. وصدقتي فهمت انه مكانش غضب منك أنتى قد ماكان غضب من نفسي قدامك.. قدام وقوفك قوية وصامدة رغم خسرتك ووجعك كل ده. أنا معرفتش اكون زيك.. معرفتش اعمل زيك... وأواجه نفسي.

أنا مش هسيبك تضعي منى تاني يا نور.. مش هسيبك تاني. ولا هسيبك تروحي منى ابدا. كان يتحدث بثقة رهيبه. كان يتحدث بثبات والاهم من ذلك كان يتحدث بصدق.. نعم.. كانت كلماته تحمل الكثير من الحب والندم وايضا الصدق الذي لم اراه منذ زما بعيد في عينه.

صحيح انى اثناء تفكيرى في كل شئ لم اضع بالاعتبار احتمال صمود عمر امام كلماتي ابدا. كنت افكر دائما بان وضعه على الحافة سوف يظهر حقيقته. قبل اسبوعا فقط كنت لا اصدق ابدا احتمال لاحقه بي أو تمسكه بي في حياته مجددا. اقدمت على خطوة تركي للبيت وأنا اعني جيدا انها قد تكون النهاية بالفعل. الحقيقة انى اردت حقا انهاء الامر من جذوره. ليس فقط لما عيشنه سويا من قبل. ولكن لانى اردت رؤية تلك النهاية بعيني دون البقاء داخل احتمالات اخرى.

ولكنى ادركت فقط اليوم ان حتى النهايات يمكن ان تحمل وجهين.. فالوجه الأول كان تلك النهاية التي تخيلتها أنا والاخر هو الذي وضعه عمر امامي اليوم.

اللاكثر حاجة في الدنيا. ياريت اقدر اخليكي تضحكي كده على طول.

متحملش نفسك فوق طاقتها يا عمر.. مش مضطر تعمل ده كله ولا تثبتلي حاجة.

اممم أنتي فاكربي هنا دلوقتي عشان عايز اثبتلك حاجة؟ مش عشان عايز اكون معاك فين ما تكوني مش كده؟

مش دي الحقيقة؟ الي أنت فيه دلوقتي كله من احساسك بالذنب ناحيتي. بس عايزة اقولك انك مش مضطر تحس كده دلوقتي.. تمام غلطت في حقي وجعتني شوية بس احساسك ده مش هيعوض حاجة.. ببساطة شديدة لان ضميرك الي بيحركك دلوقتي. وضميرك ده هو نفسه الي غيبته عنك اربع سنين. يبقى ازاي دلوقتي أنا اصدقك و اثق في؟؟

....

.... امشي يا عمر.. ارجع البيت .. ارجع لعائلتك وحياتك. أنا صحيح بقيت جزء منها. بس مكاني فيها مش طويل. هيفضل موجود عشان ولادنا طبعاً. بس مش هياثر فيها زي مانت متخيل.. وأنا صدقتي مش عايزة حاجة. الحاجه الوحيدة الي تهمني ان ولادي ميتأثرش بالي حصل. يعني لو ضميرك صاحي دلوقتي. هو ده الي عايزك تفنكره بضمير بس.

...

هتفضل ساكت كده؟؟ كنت من امبارح بتتكلم كأنك ماصدقت تتكلم. ايه الي حصل؟

... مستنيكي تخلصي عشان ارد عليكي.

اخلى ايه؟

كلام..

طب أنا خلصت على فكرة.

متأكدكده؟؟

عمر!!

ليأتي رده الذي لم اكن اتوقعه وربما لم أنتظره ابدا. جاء ليخبرني مجددا ولاخر مرة اني وجدت ذلك الشخص الذي اضعته قبل سنوات. أو بالأصح الذي تركني قبل سنوات في بداية طريق. كنت لا اعلم عنه شيئاً. واجبرت ان اعرفه بمفردي.

كنت اقول هذا وأنا اعني تماما ما اقصده. صحيح كان قلبي يبكي دما وأنا اقله. الا انى اردت التأكد للمره الأخيرة انى استطيع الجلوس بجانب هذا الشخص يضمنا نفس الوشاح. دون ان اخاف. دون ان تنظر عيني عنادا بيه والاهم من ذلك دون ان ينبض قلبي متسرعا من قسوة حربه وليس حبا.

والحقيقة انى لم اتوقع يوما ابدا. ان من يشفي كل تلك الجراح هو نفسه من أوجعني بها سابقا. فحتى ذلك الرد لم يكن الا مرهما يدأوي جروحا عميقة ظلت انبشها مرارا وتكرارا كي تذكرنى كل ما عشته. ليأتني هو مجددا ولكن هذه المرة كي يرمم ما تركه في نفسي وليس كي يوقع جروحا جديدة.

... ليه عاملت كده؟؟

عشان أنا ضيعت اربع سنين من حياتي ساكت مبقولش الي في قلبي. كان المفروض اقول واعمل حاجات تانيه كتير. بس... سكت. سكت وبس.

دلوقتي لما تيجيلي الفرصة اتكلم واعمل مينفعش اصبر ولا اضيع وقت تاني. ولما اقول حاجه لازم اقف وراها وابقى قد كلامي. وأنا انهارده الصبح بس قلت انى هعرفك قد ايه أنا بحبك. يعني اي كان الي هيجصل من دلوقتي ورايح ده حبي الي مكنتش فاهمه. يعني حقي انى اعبر عنه بطريقتي.. ويعني.. ردا على كلامك. تمام عارف انك مش هتصدقني بسهولة ولا الي عاملته يتصلح بسهولة.. بس هو مين قال انى عايز حاجه تيجي سهلة؟ هو مش المفروض احارب عشانك شوية يعني؟ مش المفروض اتعب عشان اخليكي تسامحني زي ما تعبتك معيا؟ ولا هما كلمتين ونظرة وابتسامة وخلص.

نعم أنا احب هذا الرجل. لا بل اعشقه تماما.. هذا هو نفسه من وقعت في حبه منذ سنوات. وهذا هو نفسه ما كنت ابحت عنه كثيرا لدرجة جعلتني اصدق انى اضعته للابد. الحقيقة ان لا شئ يضاهي سعادتي في تلك اللحظة حتى دموعي لحظتها لم تكن سوى من سعادتني المطلقة. الذي اختبرتها الان لأول مره مجددا مع عمر وبسببه ايضا.

....

امممم معنى كده انها اتصلت بيا أنا الفين مرة.

صحيح اأنا قادرة اتخيل ده.. خلاص يالا أنت يا عمر دلوقتي.. ارجع طمنهم بنفسك احسن بلاش تكتفي بالتليفون.

.... امم عندك حق.. وأنتى...؟

أنا هتصل بيها دلوقتي .. و... كده لازم ارجع عشان اشوف الولاد.. اسبقني أنت الأول احسن.

تمام... زي ما تحبي..

حاولنا سويا استجماع امرنا وتجهز عمر للرحيل. بينما كان يودعني والحب لا يفارق عينه ابدأ. لبترك قبلته على وجنتي ولم يتمكن سوى الباب من قطع نظراته الي. الذي ربما كان سوف يظل خلفه يوما اخر كاملا.

بينما كنت أنا لا اكف عن الابتسام ايضا. تذكرت هاتفى وتوجهت سريعا الى الهاتف للتحدث مع عليا على الفور.

الو ايوه يا عليا ازايك... عارفه عارفه والله حقك عليا أنا كويسه الحمدلله مفيش حاجه.. بس كان فاصل شحن ومكنتش مركزة اشحنه اليومين دول. لا لا متقلقيش... اا صوتي؟ طيب هحكلك كل حاجه لما اشوفك.. متقلقيش

ايوه هاجي انهارده لازم.. ماشي يا حبيبتى مع السلامة.

بالطبع كان القلق قد تمكن منها كليا خلال هذه الساعات الماضية. حاولت تهدئتها قليلا الا انها بالطبع لم تتمكن من الانتظار اكثر لتفهم ما سبب اختفائي هكذا خلال تلك الساعات. الا انها شعرت ببعض الفرح في صوتي فاصبح هذا كافي اليها الي حدا ما. وان كل شئ على ما يرام ايضا.

لذلك لم ارد التأخير اكثر.. كنت اتجهز بحماس حتى انى لأول مره منذ سنوات طويلة كنت ابتسم امام المراة. حيث شعرت بان وجود عمر يحأوطني في جميع ارجاء الغرفة. كانت عيني تنتقل بين كل تلك الزوايا التي جمعتنا. لاجد نفسي ابتسم مرارا وتكرارا حين اذكر كلماته ونظراته الي.

الحقيقة انى لم اتمكن من مغادرة الغرفة ايضا. كأني اصبحت اتنفس فقط بهذا المكان. وجدت خطواتي تذهب سريعا الى الشرفة. لاجلس مجددا على تلك الاريكة التي جمعتنا بالامس. حيث ترك ذلك الشال. وضعته على كتفى في الحال اشم رائحته بداخلي. اغمضت عيني قليلا لاختبر نفسي ذلك الاختبار الأخير الذي اردت ان اجد جوابه لنفسي هذه المرة.

لاجد نفسي لا اتذكر سوى تلك الساعات الماضية التي جمعتني بعمر في تلك الغرفة. ولا يخطر ببالي اي من تلك اللحظات الموجهة السابقة التي عشتها مع عمر من قبل. لتأتى تلك الدموع مجددا تخبرني الكثير ايضا. لادرك امرا لم الحظه من قبل ابدأ. فأنا لم ابكي فرحا ابدأ سوى مع عمر. بينما كنت لا اعرف سوى البكاء حزنا على ما فقدته قبله.

كانت ملامح الريبة والتوتر تمكنت من وجهها تماما. بينما كنا نصعد سويا الي الطابق الاعلى.. ليحتل الخوف والصدمة وجهها ايضا حين ترى عمر امامها فجأة. بينما لم اذعر ولم اتراجع أنا ايضا. للتفاجئ بما تراه امامها في الحال.

... ااه نور جيتي أخيرا .. كده تتأخري عليا كل ده؟؟ تعالي بقه أوريكي مفاجأة.

.... مأنأ جيت اهو.. قتللك اني جايه انهارده متقلقش.

حمدلله ع السلامة يا حبيبتى...

بينما كان عمر يستقبلني بتلك الحفاوة والحماس الشديد. كانت علامات الاندهاش والصدمة لاتزال تحتل وجه عليا تماما وهي تتابع هذا المشهد امامها. لانظر أنا اليها مبتسمة بينما كانت تحاول ادراك ما تعيشه الان. حتى تحدث اليها عمر قائلا:

عليا.. مالك يابنتي سرحانة كده ليه؟؟

ااا ها لا ابدأ.. بس يعني مش فاهمه.. بأول افهم ايه الي أنتوا في ده.. هو مش المفروض انك سبتي البيت وكل الي حصل الايام الي فاتت دي.. ولا ده كان حلم ولا ايه؟؟

هههههههه لا لا يا حبيبتى مكانش حلم ولا حاجه.. أنا هفهمك..

لا استنوا بقه تفهمها وتفهمك بعدين.. تعالي بس معيا كده لو سمحتي.

ااستنى بس واخذني على فين؟؟

تعالي في مفاجأة لازم تشوفيها.

ليسحيني عمر بحماسة من يدي الي غرفتنا. بينما لم تتمكن عليا من فهم ما تراه امامها بعد. ليفتح ذلك الباب الذي كنت قد اغلقتة ورائي منذ ايام طويلة. ولا انوى فتحه مجددا. الا ان عمر فعل فعلته مرة اخرى.. وقرر اغلاقه للابد ايضا.

...

.... قوليلي بقه نغير الوان كمان ولا الأوضه بس؟؟

... نعم!! أنت بتقول ايه؟؟

امم بصي بقه.. بما اننا بنغير شوية حاجات... أو كل حاحه يعني.. فأنا قلت انه أول حاحه لازم تتغير فعلا هي الأوضه.. كل حاحه فيها لازم تبقى جديدة وعلى ذوقك. حتى الالوان لو حابة.. بصراحة أنا مكنتش بقدر ادخلها ابدأ وأنتى مش فيها. ومش عايزك ترجعها وهي كانت سبب م الاسباب الي خليتك تسييني.

.... اأنت بتتكلم جد؟؟ أنت عايز تعمل كده فعلا؟؟

عايز اعمل كده عشانك. وعشأنا... وعشان انسيكي اي حاحه وحشة كنت أنا أو غيري سببها زمان.

... عمر بس أنت بجد...

نعم؟!

أنا الي بسألك دلوقتي.. برايك ان الحب بيهدى مع الوقت بيقل؟؟ تخيلي اتنين فضلوا مع بعض عشر سنين. عشر سنين بحالهم كل يوم وكل ليلة. تفتكري وهما بيشفوا بعض كل يوم وعينهم في عيون بعض كل يوم.. تفتكري حبهم بيقل يعني؟ السنة الأولى كان في قمته بعدها بدء ينزل واحدة واحدة.

أنا كنت فقدت ثقتي في كل حاجة يا عليا.. حتى الحب.. تفتكري هصدق بسهولة انه بيعيش؟ ومين قال انه المفروض يعيش يا حبيبتي.. الحب لو ممرش كل شوية بصعوبات تغيره وتقله من مرحلة لتانية. يبقى ضعيف ميستاهلش حتى دقة من قلبك. الصعوبات جزء من حياتنا احنا ربنا خلقنا كده. فلما الحب يواجه اي حاجة صعبة من دي يبقى لازم يقف قدامها ويواجهها. ده بيبقى اختبار لصلابته وقوته.. مش عشان يضعفه وينهي وبس.

لو الحب مصمدش قدام كل ده. يبقى العيب في هو مش في الصعوبات. وقتها يبقى لازم نشكر الازمات دي انها بينتلنا المعدن الحقيقي ورا كل ده.

كلامك حلوو ومترتب ومقنع.. بس لو احنا نفسنا بقه معرفنش نقف كثير قدام الازمات دي ونحافظ عليه يبقى العيب في مين وقتها. احنا ولا الحب؟

ومين قال انكم موقفتوش! أنا مش شايقة قدامي دلوقتي غير اتنين عرفوا يعدوا ويخرجوا من دايرة حزن ووجع كبيرة. كانت ممكن تخدمهم في دوامة كبيرة مش هيخرجوا منها ابدا. غير في حالتين يا مكتبيين كارهين الدنيا والناس. يا اتنين جواهم شر كبير يدمر ويحرق كل حاجة حولهم.

بس الي قدامي دلوقتي ناس تانية. اتنين قدروا بينوا بيت وعائلة واتولد بينهم حب من قبل حتى ما يفتدوا ناس غالية عليهم في حياتهم.

أنتوا حبكم مش ضعيف يا نور ولا هاش.. كل الحكاية انه عامل زي خيط من القطن رقيق أووي يعني لازم تفضلوا حريصين عليه أووي طول ما هو ممدود بينكوا.

...

سكتي يعني!! بتفكري في الكلام ولا خايقة تصدقي بردوه؟؟

أنا عمري ما كدبتك يا عليا.. دايمًا كان كلامك بالنسبة لي معنى ودليل. مش بس عشان تطمنيني. أنتى بتوريني الحقيقة الي قدامي بس كل مره بباقي خايقة اصدقها وامشي وراها.

بس المره دي أنتى الي رحتي للحقيقة دي بنفسك. مخفتيش منها وفهمتيها.

أنا عمري ما انكرت حقيقة في حياتي يا عليا. تقبلت كره ابويا ليا وخسارتي لامي وحب اخويا.. حتى ظلم ابويا الي ادركه في اخر دقائق من حياته.. تقبلت كل ده وعشت بيه.. بس

كنت محتاج الوقت ده يا عمر.. مش أنا بس. الفرق الوحيد اني خدت الخطوة قبلك أو يعني
بمعنى الصبح ...

وجهيتها بشجاعه قبلي؟؟

اممم يعني نقدر نقول كده..

اهووو أنا دلوقتي بس اتأكدت من الاحتمالات الي كانت بتخطر على بالي.

احتمالات ايه؟؟

انك بتحبني... بتحبني لدرجة خلتك تحطني قدام مرايتي بجد بدل ما تتخلي عننا وتسيبينا
وتمشي فعلا. فهمت انك ممشتيش عشان كرهتيني مشيتي بس عشان خفتي عليا حتى من
نفسى.. وخفتي علينا وعلى بيتنا... مش لانك اتخلتني عننا.
قلتلني الكلام ده قبل كده على فكرة..

لأ.. لما قلته قبل كده كنت بقوله لنفسى قبلك.. كنت متعلق باحتمال ان لسه ليا حب في قلبك..
كنت بقولك الكلام ده وأنا بحاول ابعده الشك الي جوايا انه يكون أنا بس الي شايف كده.

انما دلوقتي خلاص.. بقيت متأكد. معاكي حق.. يمكن كل الي حصل حصل بس عشان نفهم
احنا فين دلوقتي من حياة بعض. مش بس كنا فين قبل كده.

يعني كنت حاسس اني مش بحبك اليومين دول ورغم كده عاملت كل الي عملته ده؟؟

.... انا الي عملته كان لازم اعمله ومن زمان.. مكانش ينفع اذايكي قبل كده باي شكل
من الاشكال و تحت اي مسمى.. كان لازم اكون احسن على طول وأنا الي احميكي
وارعاكي.. مكانش ينفع غضبي يدخل بيننا للدرجة الي تخليني اخسرك طول السنين دي. أنا
الراجل يعني العادي ان أنا الي اشيل الحمل عنك.. بس الي حصل اني زودت حملك..
وفضلتي شايلني وشايلة حمل العلاقة دي لوحدهك... يعني قمتي بدوري.. للدرجة الي تخليكي
تاخدي خطوة اصلاحها لوحدهك كمان.

كل ده وأنا بس عامل اذي واكسر فيكي وفينا سوا.. تعرفي؟! امي مره زمان قالتلي ان
الجواز الحقيقي بببده بالحب ويكمل بالمسؤولية. يعني ممكن نكون بنحب بعض جدا بس لو
مفهمناش مسؤوليتنا تجاه بعض نضيع. وممكن نكون محبناش بعض في الأول بس بالعشرة
والمسؤولية يتولد الحب بينا. في الحالتين مفيش حاجه منهم ينفع تقف لوحدها. العلاقة السليمة
هي الي تتبنى بالأتنين.

كان معها حق.. وأنتي كمان معاكي حق.. أنا الي غلطان.

... عمر أنا ... حقيقي مش عارفه اقولك ايه.. بس كلامك ده دلوقتي يخيلني اقف جمبك وادعمك حتى لو لسه مش قادرة اسامحك. وبجد كبيرك في عيني أووي ... متعرفش قد ايه صراحتك دي وتقبلك لكل ده فارق عندي قد ايه..

وكمان خيلني افهم دلوقتي.. أنا مكنتش زعلانة منك يا عمر. أنا زعلانة عليك. زعلانة ع الاخ المثالي والابن العظيم.. الي بس كان ناقصه حته صغيرة في صورته الكبيرة دي عشان تكمل.

ختمت كلماتي وأنا اضمه بقوة. اضمه امتنأنا وحبا ودعما وصدقا. اضمه اعترافا مني ان هذا الشخص المائل امامي الان اصبح افضل بكثير مما كنت اريد أو اتوقع حتى... لا بل هذا هو اصله الطيب تماما. هذا هو الشخص الذي احبته عليا وقدرته هنا. هذا هو نفسه قبل ان تحتله مشاعر الكراهية ويلوثة الغضب من نفسه قبل الاخرين. هو نفسه متصالحا متقبلا لذاته مدركا لحقيقته والاهم من ذلك شجاعا لدرجة تجعله يتقبل اخطائه ويعترف بيها لاحدا غيره ايضا. هذا هو نفسه من احببته قبل وازداد حبي له الان بعدما ادركته أنا الاخرى.

....

عند الباب اكتفيننا سويا بتوديع بعضنا بالنظرات.. لم ارد ان يترك البيت والأولاد وحدهم الان ويأتي لايصالي مثلما اراد. ولم ارد ان نعتبره وداعا بيننا لدرجة تجعلنا نظلم بعضنا الاخر حين يمنعني من الذهاب.

كنا نتطلع الي بعضنا في حب وشوق.. متأكدين تماما ان هذا اليوم لن يكون الأخير وهذا الفراق لن يطول ولن يتحول الى وداع ابد.

ذهبت في طريقي وأنا افكر بيه وبكلماته. التي اصبحت تحتل مكانها في عقلي وقلبي سويا دون ادنى تأخير. كأن كل تلك الحواجز والاسوار السابقة لم تكن فقط تمنع رؤيتنا لبعضنا البعض بشكل حقيقي. بل وتمنع تصديق كلا منا للاخر ايضا.

كنت شارده في طريقي .. والبسمة لا تغادر وجهي... حتى جاء ذلك الصوت الذي لطالما عرفته وحفظ بعقلي دائما. الفارق الوحيد اني لم اتوقع ابد ان اسمعه هنا تماما والان ايضا. الصوت الذي غاب عني لايام عدة.. والحقيقة اني لم افكر حتى كيف ولماذا اختفى هكذا... لتأتي تماما الان من ورائي على بعد سنتيمترات فقط تقول:

حمدلله ع السلامة.... نورتي بيتك يا مرات ابني...

.... طنط غالية!!

اقتربت المسافة بيننا قليلا لاتمكن من رؤية ملامحها وتعبيراتها ايضا بوضوح. الذي كان يظهر عليهم بعض الغضب والعتاب ايضا.

.... طنط غالية أنتى ايه الي...

ايه مستغربة ليه؟؟ مستغربة انى عرفت بوجودك ولا اني لافيتك هنا؟؟

لأ.. هتصدقني لو قلناك مستغربة اكثر انك جيتي دلوقتي... مش المكان الي مفاجئي التوقيت هو المفاجأة.

أنا قلت اسبيك براحتك خالص.. تهدي وتفوقي كده وبعدين نتكلم.

صحيح مينفعش حد يتدخل بين الراجل ومراته... بس أنا مش ام عمر بس. عشان كده بكلمك المره دي وأنا حاطة نفسي مكان ملك بالظبط. لازم اقولك دلوقتي الي هي كانت هتقوله.

.... صدقيني يا طنط ماما لو كانت عايشة في حاجات كتير أووي مكانتش هتحصل.

عندك حق.. مفيش حاجه في الدنيا تعوض الام والاب.. ولا الاخ كمان.. عشان كده بسألك دلوقتي يا نور ازاى قدرتي تسيبي بيتك وعائلك وهما فقدوا اخ تاني؟؟ في وسط حزني على اخويا وفراقه.. اكتشف انك قررتي تعاقبي ابني وتختبري جوازكم بالي عملتي ده!

.... هو ده الي مضايكك مش كده؟؟ اني مكنتش موجوده معاكي وعشانك مش كده؟؟ مش مهم بقه االي حاجه تانيه مش مهم ايه الي وصلنا لكده؟ مش مهم ايه الي ابنك عمله؟ مش مهم الاسباب والنتائج. بس حضرتك وابنك واخوكي مش كده.. مش ملاحظة حاجه يا طنط؟؟ أنتي في كل جملتك الي فاتت دي مجبتيش سيرتي خالص..

وهو ده بالظبط الي أنا عملته.. فكرت في نفسي مش في حد تاني.. بس الفرق الوحيد.. اني فكرت في نفسي عشان خاطر ولادي.

لو دخلنا دلوقتي في اختبار امومة ليا وليكي مش هنخلص من هنا لسنين قدام.. لان ببساطة مفيش فرق بينا زي ما أنتي فاكرة. احنا الاتنين عاملنا كل حاجه عشان ولادنا. عشان كده أنا اكثر واحدة فاهمكي.. وعشان كده أنا الي لازم أسألك دلوقتي.. ايه الي فرق زمان عن دلوقتي؟؟ يعني أنتي زمان حولتي تمشي بردوه ورجعتي متجوزة عمر.. دلوقتي ايه الي رجعتي بي؟؟

أنا المره دي ممشتيش عشان ارجع بحاجه.. أنا المره دي مشيت عشان الاقي الي كان ضايع مني بمعنى اصح اعرف اذا كان ليا اصلا من الاساس ولا لأ.. واظن دي اكثر حاجه صح حصلتلي بعد كل الي شفته.

ومعاكي حق أنتي اكثر حد هيفهمني.. عشان كده هتبقني عارفه كويس اني زمان لما مشيت مكنتش هرجع فعلا.. بس ابنك.... صدقيني لحد دلوقتي مش قادره افهم ازاى صدقته لما قالي الكذبة دي؟؟ وليه صدقته اصلا.

ابني مخدعكيش ولا كذب عليك.. كل الحكاية انه عمل كل حاجه عشان يدافع عن حبه.. يدافع عنك.

واضح ان الموضوع ده وراثه عندكوا.. بس حقيقي اكبر غلط ممكن حد يعمله في حد انه يقرر عنه ويشوفه ان الحاجة دي هي الي الصح والانسب بالنسبة له.

تمام.. خليني معاكي للاخر.. لو كان جه بشكل مباشر وقالك أنا بحبك ولازم نتجوز دلوقتي
عشان حياتك في خطر.. كنتي وافقتي؟؟

ومراد لما قالك انه حب عليا بجد.. صدقتي؟؟... لما قرأتني الجواب ده قدرتي تسامحي في دم
ابنك الكبير؟؟

لأول مره في حياتي رايت ذلك التعبير على وجهها. تمكنت الدهشة من ملامح غالية
التي كانت تحافظ على ثباتها وقوتها في احلك الظروف. تفاجئت غالية بمعرفتي بذلك
الجواب الذي اتى الي بيتهم قبل سنوات طويلة باسم عليا. واختفى تماما دون حتى ان تعرف
بوجوده. تفاجئت اني عرفت بوجوده. وادركت ما فيه.. وليس فقط هكذا بل وقد حافظت على
سرهما معي طوال هذة السنوات.. حتى رغم ما فعلته هي معي ايضا.

لترجع بذكراتها لاكثر من اربع سنوات كاملة حين دق ذلك الباب. واستلمت ذلك
الجواب بنفسها.. وتتذكر دهشتها حين رأت ذلك الاسم عليه وعرفت مصدر ذلك الجواب
جيدا. "سجن المزرعة"...

لتنفتح الجواب بنفسها دون اي أنتظار.. وتجد ما كانت تحاول انكاره طوال اشهر طويلة من
قبل.

"خليني اشوفك ولو لآخر مره يا عليا.. من فضلك"

اذن ما لمحته في عين مراد وعليا قبل اشهر كان حقيقا. ما شعرت بيه يحتل نظرات
مراد كان حقيقا. ألهدة الدرجة هو جري؟ ام هو فقط مختل؟

لم تتأخر ثانية .. ولم تفكر بشئ اخر. حتى لم تلحظ وجودي اعلى السلم حين سمعت
دقات الباب وكنت على وشك الذهاب اليه. الا ان تردد اسم عليا في اذني أنا الاخرى جعلني
اتجمد مكاني. حين احتلنتي تلك الدهشة ايضا اثر توقعي مصدر ذلك الجواب.

ذهبت غالية مباشرة الي غرفتها.. ولم تمر دقائق حتى خرجت في طريقها.. لرؤية
صاحب ذلك الجواب بنفسها. وتنفيذ رغبته.... وان كانت بشكللا اخر.

...

قبل اربع سنوات واكثر.. سجن المزرعة

مراد طاهر عبدالله.

الافندم...

زياره.

.... بجد؟؟ مين؟؟

واحدة قريبتك مقاتلتش اسمها.

عليا!!

تحمس مراد كثيرا. لدرجة جعلته يبتسم بشدة كما كان يبتسم تماما كلما تذكر وجهها وملامحها وعينها التي غرق فيها تماما من قبل. رغم ضيق هذه الجدران عليه. ورغم تلك العتمة التي كان يقع فيها احيانا. منذ جلسة المحكمة ونطق ذلك الحكم بحقه. الا انه لم يشعر ابدا سوى بالسكينة والشجاعة التي لم يجدهم قبلا بعد فعلته تلك. لم يندم للحظة انه استسلم للشرطة. ولم يندم انه اعترف بذنبه ولم يهرب من مصيره المحتوم ايضا. ولم يندم ابدا انها كانت سببه لذلك. فقط كان يشعر ان ذلك الحب الذي ملأ قلبه تجاهها ذلك اليوم. هو ما سوف يبقيه على قيد الحياة مجددا. وان كان عليه ان يقضي ايامه الباقية على حافة الموت هكذا.

ذهب متحمسا لغرفة الزيارة. لتمر عليه لحظات فتح العسكري للباب كيوما كاملا.. ولكن الغريب ان حماسه لم تنتهي ابدا.. حين وجد امامه ما لم يتوقعه ابدا. حين وجد امامه ذلك الشخص الذي كان يعرف مسبقا ايضا.. انه عليه مواجهته حتما يوما ما. ولكنه فقط لم يكن يتوقع ان يأتي ذلك اليوم بهذه السرعة هكذا.

... هههههه تصدقي لحد خر لحظة كنت بأول ابعث شكى انه مش عليا الي جات.... بس بردوه كنت عايز اصدق انها صدقتني لدرجة انها تقبل تشوفني دلوقتي.

.... وأنت متخيل ان بنتي هتقبل تشوف قاتل اخوها بس حتى لو كان ده اخر طلب لي؟؟

.... لو كانت عرفت كانت جات.. أنا حاسس بكده. مصدق ده... بس أنا متأكد انها حتى موصلهاش الجواب من اصله.

مضبوط .. عشان كده أنا الي جيت دلوقتي اسألك عايز ايه يا مراد؟؟ ايه الي لسه متعلق بيه بره السجن ده؟؟ ايه الي بتحاول تثبته بالي عاملته؟؟

خطفت بنتي.. وسلمت نفسك وانهارده بكل جرأة بعث تشوفها.. أنت عايز ايه بالظبط؟؟

.... من سنين كتيره فانت.. كان عندي ١٦ سنة تقريبا تعبت أووي ورقدت في السرير ثلاث ايام بحالهم. كانت حراراتي بتطلع وتنزل. كنت بخترف وبترعش.. مكانش في على لساني غير امي.. مكنتش بشوف غيرها اصلا..

بس الي حصل... هي الوحيدة الي كنت بشوفها لما صورة امي تغيب من قدام عيني.. مكانتش بتسييني ابدا.. اهتمت بيا وبعلاجي لحد ما وقفت على رجلي تاني.. واحنا صغيرين بنبقى هشين أووي. بنفكر اننا مفيش بعد كده.. بس بيجي دور برد صغير يرقده مكانه.. وقتها اي حد بيجي يطبطينا علينا ويهتم بينا.. بنحس انه بيدأوي جروحنا القديمة واي نغزة جوأنا.

اهو أنا كنت فاكر ان خيال نور الي شفته من تعبي هي صورة امي الي مبتفارقنيش ابدا.. تخيلت ان نور هي امي الي ملحتش اشبع من حضنها من صغري. افتكرت ان دقات قلبي ساعتها عشان حبتها. لكن الحقيقة اني حبت الشعور الي سابتها جوايا وكانت بتسييه كل مره تهتم بحاجه تخصني كده.. حبت امومتها الي فرضتها عليها الايام بحكم انها البنات

الوحيدة في بيتنا. لكن الحقيقة ان دي مكانتش حاجه مميزة ولا خاصة ليا.. اهتمامها بيا وأنا عيان الاكل الي كانت بتحضره. الهدوم الي كانت بتكوايها وكل حاجه كانت بتعملها. كانت بتعملها لينا كلنا.. حتى ابوها الي مكانش بيبيص في وشها بالايام... كانت بتعمل كل حاجه على اكمل وجه... لان ده العادي.. لانها دايمًا كانت الاحسن في كل حاجه... كانت بتعمل الي عليها حتى من غير ما حد يطلب..

قمت جيت أنا فسرت كل ده انه حب.. الحب الي فقدته في موت امي.. والي مكنتش حتى بتكلم عنه سنين.. فجة ظهر قدامي أكانه شبح تمام.. الواحد بيفتكر انه متقبل الخسائر الي في حياته. لكن الحقيقة انه بيتاقلم معها بس.. عشان كده اي ضربة ولا نكش صغير فيها بيخلي يرجع ثاني لأول مره حس بيها بالخسارة دي وعاشها.. أنا كنت فاكِر وجود عمي وكريم قدر يملئ الي المكان الي فضي بموت ابويا وامي.. هما مغلطوش في حاجه ولا مره حسسوني بكده.. بس المشكلة فيا أنا.. جوايا أنا... أنا الي اتعودت على قولة عمي واخويا اكثر م قلت بابا وماما.. أنا الي عشت وأنا عارف انه ناقصني حاجه مش هتتعوض ورغم كده كنت فاكِرها متعوضه بوجودهم جمبي... الي حصل اني متقبلتش النقص ده.. أنا اتجاهلته... اتجاهلت احتياجي لامي واهتمامها بيا.. عشان كنت فاكِر اني شاطر وقدرت اقف على رجلي لوحدي.. كنت كل ما انجح في حاجه وامشي خطوة لقدام.. اقول أنا شاطر أنا كويس أنا قادر أنا نجحت.. اتاري كل ده بيخليني اطمع اكثر.. بس اطمع في الكلمة الحلوة والتصقيفة الي من القلب.. اطمع اني اشوف نظرة الفخر الي في عين عمي واصحابي. اتاراني بحاول بكل ده اداري شوقي لاهلي واحتياجي ليهم... الي بردوه... خليني افكر ان حبي لنور وجوازي بيها هيعالج كل ده جوايا.. بس عشان في يوم تعبي اهتمت بيا وادتني دوا وفضلت جمبي لحد ما اتحسنت.

هو الوحيد الي كان فاهمني.. هو الوحيد الي كان فهم كل اللغطة الي جوايا دي.. هو الوحيد الي كان بيتعامل مع الكلكوعه دي ومكنتش حتى بتكسف اكلمه عنها.. أكرم!! ابنك الكبير وصاحب عمري الي خسرتة بايدي.

أكرم مكانش صاحب عادي.. الحقيقة انه من صغرنا كان بيهتم بيا وبحياتي اهتمام اب واخ كبير فعلا...

اهتم بيا لدرجة انه حتى في غيابه هداني الهدية الي حلت اكبر عقدة في حياتي. غيابه عمل الي قلمه ليا معلمهوش... عليا. عليا عاملت الي محدش فيكم قدر يعملوه.. غلبتني بحبها قبل ما تغلبني بشجاعته وقوتها. حبها هيخليني اقضي الي باقي من ايامي بس وأنا ضميري مرتاح وحاسس ان ربنا مسامحني.. واني هشوف امي وابويا ثاني.. حتى لو فضلتي في النار ليوم القيامة.

الحب الي شفته في عينها يخليني متأمل ان في فرصة ثانيه حتى وهما بيلقوه على رقبتي حبل المشنقة.

....وتفتكر ده سبب كافي عشان أكرم يسامحك؟؟ حتى لو قدرت أنت تسامح نفسك.

أنتظرت غالبية ابنتها لتعلق هي أولا عما قرأته الان. بينما كانت عيناها تتحدث بالكثير والكثير لم تتمكن من النطق بكلمة حتى وجدت يد امها ترفع وجهها عن تلك الورقة لتنظر الى عيناها مباشرة.

قولي الي أنتي عايزه يا عليا وخطر على بالك. أنتي عارفه كويس اني بسمعك مهما حصل.

... يااا امي ده... معقوله الي بالي صح؟؟

ايوه صح.. مراد الي بعث الجواب ده. بعته ليكي مخصوص عايز يشوفك زي مأنتي شايفة كده.. صدقيني مش دي المشكلة خالص. قوليلي يا عليا

الأنتي حبتي بجد؟؟ حستي ناحيته اي حاجه يعني؟؟

.... ايه يا ماما الي بتقولي ده .. أنا مستحيل...

عليا... اسمعني أنا بسألك بجد أنا بسأل البنت الي وقفت قدامه وبصيت في عينه بجد يوم ما كان عايز يخطف نور.. الي أنتي شفتي في عينه ساعتها بجد كان حب؟؟ طول الفترة الي فاتت دي كنتي مصدقة انه حبك.

... ليه يا امي؟؟ ليه بتسألني الاسئلة دي دلوقتي؟؟ أنا... أنا كنت بأول انسى كل ده ...

عشان أنا سمعته انهارده وهو بيتكلم عنك وشفته عينه الي كانت مستتية تشوفك بفرحة بس الاهم من كده... اني شففت مراد ابن جميلة وطاهر لأول مره بعد مدة طويلة أووي. شففت الولد الصغير الي كبير وبقى بيتكلم عن الحب حتى وهو بيحارب نفسه. شففت الراجل الي رغم كل الي حصل لسه في حته في قلبي مش عارفه تغضب عليه. عشان.... شففت الولد الي مكانتش سفرتنا بتخلي من وجوده.

عشان كده لازم اسألك أنتي حبتي مراد ولا لأ؟

.... سؤالك صعب أوي يا امي.. لان أنا اليوم ده مكنتش شايفة غير قاتل اخويا. حتى لما شففت ندمه ... أنا مكنتش اعرفه من قبل الي حصل مشفتش البني ادم الي قاتله كلكوا انه قتل اخويا وابن عمه بدم بارد. أنا معرفتش غير الي شففته اليوم ده ومسمعتش غير الي قاله اليوم ده. بس... الي سمعته لغبطني

الي شففته منه وقتها. مش ده البني ادم الي قدر يمسك سلاح ياخذ بيه روحين. مش ده البني ادم الي لمفروض اخاف منه لما اعرف انه جمبي. ده اداني سلاحه بايده يا امي عشان أنا الي اعاقبه. رضي انه يموت على ايدي بس عشان مفضلش اكرهه بقية حياتي.

مقدرش انكر اني صدقت الي سمعته وشفته منه وقتها. بس لأ حتى لو ندم حتى لو قلبي دق ساعتها لاي حاجه مينفعش انسى انه قاتل اخويا. مش هقدر ابص في عينه مرة تانيه وأنا عارفه كويس انه قدر يحبني وهو ... وهو كاسر قلبي بالطريقة دي.

...انهارده سألته سؤال .. لو كانت كل حاجه مختلفة وكنا موصلناش للي احنا في دلوقتي.
كنتي قبلتي حب مراد ليكي؟؟ ورضيتي باي مستقبل معه؟؟

.... مش عارفه. مش عايزة افكر في احتمالات مش هتحصل. عمري ما فكرت في شكل
الحياة الي ممكن اعيشها مع حد تاني. يمكن لاني محبتش حد قبل كده. ويمكن لان أول مره
قلبي دق . دق للشخص الغلط.

ضمت غالية ابنتها اليها من جديد. ضمتها مطمئنة ساكنة تعرف تماما ما تحتاجه ابنتها
في الحال. لم تكن تعاقبها على شئ ولم تحأول ايلامها ابدأ. فقط كانت تنصت لابنتها باهتمام.
كما انصتت لمراد قبل ساعات تماما.

تعرفي انك بتفكرني بنفسي أول ما حبت ابوكي. كنت اساسا حاسة بمسؤولية كبيرة تجاه
ابا وأكرم اخويا. مكنتش حاسة اني اقدر ادي اي حد تاني غيرهم اي مشاعر جوية... بس
يحيي مسابنيش وقدر ده وشال معيا الحمل. عمره ما حسسني اني ضعيفة ولا زيادة عليه...
عشان كده عمري كله قضته وأنا بتمنى ربنا يرزقكم بحد زيه. حد يشيلكم في حزنكم وتعبك
مش يحملكم اكثر. بس... لازم تعرفي حاجه يا عليا وتكوني متأكدة منها.. أووعي تحملي
نفسك فوق طاقتها الي تشيلي حمل خسارة اخوكي لوحدهك. متحسيس بالذنب عشان حبتي.
ولا عشان محاسبتيش الي عمل كده. خليكي واثقة انك عاملتي وبتعمل الصح دايمًا عمرك ما
خذلتيني ولا اخترتني ثقتي فيكي ابدأ.

أنتي تستاهلي احسن واحد في الدنيا يا حبيبتي وهيلافكي صدقيني. هيجيلك الي يعرف
يحافظ على قلبك ده كويس ويحصل اي كسرة فيه. حتى الي مكسرهاش هو.

سرحت عليا في حديث امها. وهي تضع يدها على قلبها مرة اخرى لتجد انه ينبض
بشدة ولكن هذه المره لا ينبض مثلما كان امام مراد. لعلها بداية موفقة لتتمكن من ترميم
جروحها بيدها حتى يأتي ذلك الوقت الذي تتحدث عنه امها الان.

....

.... تعرفي كنت فاكراه ان الي عشته طول السنين دي اكبر حاجه ممكن تحصل لاي
حد... دلوقتي بس فهمت انه صفر ع الشمال قصاد الي بسمعه منك دلوقتي.

ليبيه؟ ليه كل ده؟؟ قوولي كسبتي ايه من ده كله؟؟ ازاى قدرتي تخبي علينا كل ده؟

أنا ام. ام عملت وبتعمل كل حاجه عشان ولادها. ولادي كلهم مش الي روعي فيهم بس.
مش بتقولي انك اخترتني جوازك بالطريقة دي عشان مصلحة ولادك ومستقبلهم. تمام يبقى
أنتي المفروض اكثر واحدة تفهمني. وتفهمي ان مصلحتكوا عندي فوق كل شئ.

ام صح ام عظيمة ... مع الاسف يا طنط غالية أنتي فرقتي بينا حتى في امومتك...
متأكدة ان اصحابك لو كانوا عايشين دلوقتي مكنتش قدرتي تتحكمي في مصايرنا كلنا
بالطريقة دي. أنتي عاملتي كل ده بس عشان لاقيتنا كثير عليك. فجأة لاقتي في عيال كثير

أووي في رقبتك. الفرق بس انك قررتي تتحملي مسؤوليتهم وهما كبار. متأخر أووي بعد ما الدنيا كانت هي الي علمتهم يقفوا لوحدهم ويحاربوها بالاقسى الاشكال. أنتى فكرتي عننا في كل حاجه ونسيتي ان الي واقفين قدامك دلوقتي مش العيال الي اهلهم امنوكي عليهم. دول كبروا لدرجة انهم غلطوا بنفسهم واتحملوا اغلاط غيرهم كمان.

اتلفت للجهة الاخرى لاجد الشارع امامي. الذي كنت احاول الوصول اليه قبل دقائق. حتى تقاطع طريقي مرة اخرى مع والدة زوجي وجدة أولادي التي لطالما ظننت انها تقف كالجبل خلفنا دائما. حتى اكتشفت الان انها وقفت امامنا ايضا.

لم ادري اي طريق علي ان اسلك الان. كنت اشعر سابقا ان عودتي لذلك البيت مقيدة بالكثير من الوعود والاحلام. التي وان تحقق بعضها خلال يومين فقط. الا ان تحقيقها كلها لم يكن بيدنا نحن من الاساس.

حتى ادركت الان ان طريقي دائما ما يؤدي لذلك المنزل من الاساس. حتى وان هربت منه مرارا وتكرارا الان.

الان فقط ادركت ان ظلمة عمر التي غرقنا فيها سويا من قبل. كانت نابعة من ذلك الظلام البعيد الي احتل اخر كل طريق دخله سويا.

....

(٣١)

كان عقلي مستغرقا في تفكيره طوال طريقي الى الفندق. لم ادري حتى اني وصلت الي بابيه ولم اسمع صوت السائق بعدما أوصلني اليه. ولم ادري كيف سعدت الي غرفتي وكم مر علي وأنا متجمدة مكاني هكذا على ذلك السرير الذي حمل حزني وفرحي قبل ايام. واليوم ايضا توجب عليه حمل شتات امري ايضا.

مرت ساعات طويلة كنت اعرف فيها ان هاتفي مغلق. حتى لم احاول النظر اليه.. حل الظلام سريعا من حولي ولم يبقى سوى نور تلك الشرفة التي اصبحت ملاذي ومصدر امنى هي الاخرى.

وجهتني اجلس بنفس المكان الذي سبق وجمعتني أنا وعمر من قبل. وجدنتي احاول ان اجد رائحته من حولي الان كي تحاوطني مجددا. ولكن الفارق الوحيد ان هذه المره لم تحتل

ذكره عقلي ورؤيتي ايضا. ولكني غرقت في كلمات غالية وحديثها معي لدرجة جعلتني ابكي ليس فقط على حالي. بل على ذلك الحال الذي وقعنا فيه جميعا من قبل تحت رحمة امومتها تلك.

لم ادرك انى غفيت في مكاني ايضا بالشرفة حتى جاء صوت الفجر يوقظني. كانه ينادني أنا فقط الان. لم اكن استطيع تجاهله ابدا. فقط وجدت نفسي اتنفس هواء ذلك الصباح الجديد. الذي لحكمة ما لا يعلمها غير الله جعلني ادركه اليوم ايضا.

قمت من مكاني وتوجهت للوضوء مباشرة. ورميت نفسي في صلاتي بين يد الله داعية له ان يزيل تلك الغيمات عننا جميعا ويرشدنا سويا للطريق الصحيح بعيدا عن كل تلك المتاعب والعقبات.

....

غرقت في نومي كاني لم اعرف له طعما منذ اياما طوال. لم افق سوى على صوت ذلك الباب الذي كان يدق بقوة كأن كل الاخبار السئية بالعالم تجمعت خلفه الان. استقيظت من نومتي فزعا. لاذهب اليه فورا لافتح الباب وأنا لم استجمع حالي بعد. في ايه؟؟ أنت مين؟؟

ااا أنا اسف يا فندم.. بس جوز حضرتك موجود قدام الفندق من قبل الفجر مش عايز يمشي ولا يحرك عربيته. بعض النزلا اشتكوا من انه حاجز خروجهم من الفندق كمان.

.... أنت بتقول ايه؟؟ جوزمين؟؟ عمر؟؟ عمر هن دلوقتي؟؟

ايوه يا فندم.. الحقيقة كان لازم نبلغ حضرتك الأول قبل اتخاذ اي اجراء معه.

ااا تمام تمام مفيش داعي شكرا جزيلا. أنا هكلمه حالا يبعد العربية من الباب. شكرا

لم اكن ادرك بعد كيف وصل الامر الى هنا. حتى وجدنتي ابحت عن هاتفي سريعا واركض الي الشرفة مباشرة. لاجد منظرا لم اكن اتخيله ابدا.

كان عمر واقفا امام السيارة بالفعل كأنه احتل مدخل الفندق تماما. يصول ويجول مكانه. حتى رفعت عينه تجاه شرفتي ليجدني امامه فرحا كأنه كان ينتظر رؤيته الي منذ زما طويلا.

الوووو ايوه يا عمر أنت بتعمل ايه هنا؟؟ ايه الي أنت عامله ده كله بس؟؟

تيلفونك مققول ليه من امبارح.. من سبعد ما مشتيتي بأول اكلمك كثير مش لاقيك. لحد ما جيت الفندق هنا قوليلي انك وصلتني فعلا وبردوه تيلفونك مققول.. مقدرتش اروح غير لما اطمن عليكى واشوف انك كويسه.

هههههههههه أنت بتتكلم جد؟؟ معقولة قلقت للدرجة دي؟؟

ايووه طبعا كنت هتجنن من امبارح لحد ما جيت وقالولي انك هنا..

لاذهب اليها حيث كانت عليا تنتظرنني في حماس.. وتضمني اليها هي الاخرى ترحيبا
وامتنأنا على ما حدث.

أنتي بجد مش متخايلة فرحتي برجوعك ازايا؟؟ لسه مش مصدقة الاصلاح.

ههههههههههه هو أنتوا توأم حتى في اندهاشكوا كده.

فرح أوي مش كده؟؟

امممم يعني لو اقول كان هيكسر عظمي من كتر الفرحة مبقاش ببالغ والله.

ههههههههههه أنتي كمان شكلك فرحان بجد. كأنك أنتصرتي في حرب كنتي خسرتيها من
زمان.

.... معاكي حق.. كأنني فجأة لاقيت القوة والعدة الي تخيليني اخرج منها كويسه. لا وأوقف
الحرب دي كمان.

وأنتي دلوقتي احسن بجد؟؟

.... اكذب عليك لو اقولك اني استوعبت كل الي حصل وجد عليا. الحاجه الوحيدة الي
اقدر اقولها لك بجد.. هي اني أخيرا فهمت انه كل الي حصل ده حصل بس عشان يوصلني
لهنا. للنقطة دي دلوقتي. ولو كان ده بس السبب الوحيد.. فأنا راضية ع الاقل تقبلت انه كان
لازم يحصل بالشكل ده.

ربتت عليا بحنانها المعتاد على كتفي وابتسمت بامان لي كأنها تخبرني بالفعل ان كل شئ
اصبح على ما يرام الان. لتقول لي مجددا وهي تعنها بكل قلبها.

حمدلله على سلامتك يا حبيبيتي.. حمدلله على سلامتك من كل حاجه ...

كنت ابادلها الابتسام وتلك الطمئننة التي توسطت بيننا.. حتى جاء ذلك الصوت الذي
اعرفه جيدا. ليخبرني بانه اصاب سهامه مجددا. دون اي حراك منه.

حمدلله ع السلامة.. نورتي بيتك يا مرات ابني.

....

شفتي يا ماما.. نور رجعت زي ما قلتني.

اكيد يا حبيبيتي.. الام متقدرش تبعد عن عيالها ايدا.

صحيح يا طنط.. معاكي حق.

أنا هروح اصحي هنا بقه عشان نفطر كلنا مع بعض.

...

مستنيني اقولك ايه يا طنط؟؟ كان معاكي حق ولا أنتي صح؟؟

صدقيني يا بنتي عمرها ما كانت حرب بينا لما حد يفوز يبقى الثاني خسر. حتى لو مفهمتنيش دلوقتي بكرة تفهمي ان الام مهما عاملت بيكون لصالح ولادها وبس. المشكلة انه حتى اني ام زيك ده مش كفاية عشان اصدقك. لازم أنا وولادي نعيش نفس القدر ثاني عشان اقدر احكم. وأنا عمري ما اتمنى لولادي حاجه واحده بس م الي عشتها دي. ولا أنا كمان.. صدقيني. الي عايزك تعرفيه اني مش ندامنة على ايه حاجه م الي حصلت. خاصة وأنا بشوف نتيجتها قدامي عيني دلوقتي.. هي الامومة كده.. بنفكر دايمًا للمدى البعيد المهم مستقبل ولادنا.. حتى لو هيتألموا شوية في حاضرهم.

جايز معاكي حق.. وجايز المهم في كل ده انك واقفه ورا الي كل عاملتي. ربنا حكمته واسعة وكبيره لدرجة اننا لما مبنفهماش بندور في بعض على المبررات والاسباب عشان نلاقي حد نلومه لما ننجرح أو نتعب. الحقيقة اننا اصلا مش لازم نفهمها وممكن نعيش ونموت واحنا معرفناش ايه الحكمة م الي حصل.

عشان كده بقولك لا أنا الي دوري احاكمك أو احاسبك ولا هغير حاجه م الي حصلت وهاحصل.. كله بايد ربنا وهو الوحيد الي عارف ان كان معاكي حق فعلا ولا كل حسابتك دي كانت غلط.

ربنا يكملك بعقلك يا حبيبتى.. ويهدي سركم دايمًا.

... أنا هروح أشوف عمر.. وانزل اساعد عليا بسرعة.

هتقدري تسامحني في يوم م الايام؟؟

.... صدقني لو قدرت اعمل كده في يوم هسامحك بجد.. يمكن يومها كمان اقدر اسامح بابا..
و اخلي ولادي يسامحوني كمان.

!!! يسامحوكي على ايه؟؟

على اني سبتهم الايام دي.. ومكنتش معهم على طول.. أنا بقول اني عاملت وبعمل كل
حاجه عشانهم وليهم.. بس ما دي وجهة نظري أنا ورؤيتي أنا للي حصل. بس يمكن هما
نفسم ميقلوش ده. يمكن هما يغلطوني ويفتكروني ضحت بيهم وهان عليا زعلمهم.. مين
عارف...

أووعي تفكري في كده.. أنتي احسن ام أنا شفتها في حياتي.. لو في حد ظالم فينا بجد
هيبقى أنا.. ظلمتك ووصلتك لكده ورغم كده متخلتيش عنهم حتى وأنتي بعيدة عني. والدليل
اهو فضلوا متأكدين انك هترجعيلهم زيي واكثر كمان. المهم اننا مع بعض دلوقتي.. ودول
ولادنا احنا يعني عمر ما حاجه وحشة تدخل بيننا وبينهم طول ماحنا واقفين قدامهم ومعهم..
مش كده ولا ايه؟؟

عندك حق.. وهما كمان اكيد معهم حق سواء دلوقتي أو بعدين.. الحقيقة اني فهمت
حاجة مهمه أوي من كل الي حصل.. حتى لو هيحصل حاجه وحشة. اكيد هيبقى في حاجه
تانيه قصادها هي الي هتخلينا نتحمل الوحش ده.

و ده بالظبط الي يهمني دلوقتي.. حتى لو هيكرهوني بعدين أو يزعلوا مني المهم اني
اسيبلهم حاجه حلوة مني يتمسكوا بيها وسط زعلمهم ده.

ضممني عمر اليه وهو يقبل رأسي ليخبرني بعدها ما لم اكن اتوقع سماعه منه ابدا..
ليتمكن مرة اخرى من غرس سهامه في قلبي دون اي تأخير.

أنا فخور بيكي أوي يا نور.. وبجد عمري ما اتخيل زوجة ولا ام لولادي احسن منك
مهما شفت في حياتي.. ولو كنت بحبك من قبل كده .. فأنا كل يوم بتأكد ان حبي هيزيد يوم
عن يوم وعمره ما يخلص جوايا الابداء.

....

سكتي ليه؟؟ قولي اي حاجه...

مش عارفه هندم تاني ولا لأ الحقيقة.. بس الي فهمته أنا كمان في اليومين دول. أن
مشاعري تخصصني لوحدني حتى لو شاركتها معاك. مينفعش أندم أنني حسنت حاجه ناحيتك
سواء أنت تستحقها أو لأ .. عشان كده الحاجه الوحيدة الي حاسها جوايا فعلا دلوقتي هي أنني
...أنا كمان بحبك يا عمر.

.... الأنتي قلتي ايه؟؟

أنا كمان بحبك.

لم يكن يغمرنى بحبه فقط في تلك اللحظة. بل كان يؤكد لي اني لن اندم مرة اخرى على حبي له. ولن انكسر مرة اخرى لذلك الحب. والاهم انه لن يضحي بهذا الحب ابدا في سبيل اي شئ اخر. ولن يسمح بدخول اي شئ بيننا.

صحيح... فالحب هو ما جعلنا نصل الي هذا اليوم الان وليس الوجد والم فقط كما كنت اعتقد. الحقيقة ان الله من علي بالكثير والكثير.. كي يجعلني افهم فقط ان خسارتي لاحبائي لم تكن الا سبيل لاحباء اخريين. احباء سوف يجعلهم جزءا مني و لي. احباء سيجعلوني اقوى واشجع كي أواجه كل شئ من اجلهم. واتمسك بحياتي اكثر لهم.

فالحياة هكذا.. اذا اخذت شيئا قيما وكبيراً منك رغماً عنك. تأكد انها سوف تعطيك شيئاً اكبر واقيم ايضاً. لدرجة تجعلك تشعر انك عوضت عن كل تلك الخسارة والأوجاع. لدرجة سوف تجعلك نفسك تندهش انك أخيراً تمكنت من قبول هذه الخسارة.. بعدما كنت تعتقد انها اخر الطريق.

...

تمت بحمد الله

٢٤/١٢/٢٠٢٣

(وفي الختام...)

روايتي الاولى... الانسان عبارة عن كتاب كبير. كتاب صفحاته ملونة. مش بس أبيض و أسود.. ورغم أنه مش بيكون صاحب أول صفحات في حياته. ميقدرش يهرب حتى م الي هيتكتب فيها بحلاوته ومره.

لكن الحكمة الحقيقية أنه يدرك بدري أنه صاحب آخر صفحات فيه. بل أنه كمان صاحب أكبر عدد صفحات فيه. ولو مش بايده صفحاته الاولى. حياتنا عبارة عن محطات.. عمرنا ما هنعرف نهرب م المحطة الوحشة. ولا نقف بس في المحطة الحلوة.

لكن بردوه أساس كل الرحلة هو أننا ندرك بدري وقبل فوات الاوان. أننا مش ماشين لوحدها ولو حتى طلعتنا من محطاتنا لوحدها. في السكة هنلاقي كتير ناخده معنا. وبردوه كتير نتخلي عنه ونسيبه ورانا.

أتمنى دايمًا نفهم بدري أمتي نتخلي وأمتي منسيش؟ ناخذ مين معنا ونبعد عن مين؟

نقف عند أنهي محطة ونجري باقصى سرعتنا منبصش ورانا عند أنهي محطة؟

يمكن تكون الرواية دي محاولة مني للتصالح مع فكرة الصفحة الثانية من الاساس. لاني مش بصدق فيها. الصفحة الثانية الي دايمًا بتيجي بعد وجع و ألم كبير خد مننا أكثر ما أدانا. أو... بنبقى فاكرين كده ومصدين ده لحد ما يعدي الوقت الي بيخلينا نشوف الصورة كاملة بس حتى لو لسه موجعين.

فنشوف أننا لاقينا حاجات زي ما ضايعينا حاجات. لاقينا ناس تانيه زي ما فقدنا ناس تانية قريبة وجزء مننا. يمكن بناخد وقت كبير بس لحد ما نفهم أن الحياة كلها بتعلمنا ده حتى ولو بضر بنا في أكبر جدار. بس عشان نفهم أننا أتخلقنا في الدنيا عشان نهد الجدار ده.... مش نمشي جمبه.